عقيدة الكتاب المُقدَّس؛ مُقدِّمة

د. مارك طومسون

دراسات قصيرة
في اللاهوت النظاميّ

المُحرِّران: غراهام كول وأورِن مارتن

عقيدة الكتاب المُقدَّس؛
مُقدِّمة

The Doctrine of Scripture:
An Introduction

تأليف

د. مارك طومسون

Authored by

Mark D. Thompson

ترجمة

صموئيل ناجي نعمان

Translated by

Samuel N. Naaman

Published in Arabic by الناشر في العربيَّة

LUCERNA
PRESS

جميع حقوق الطبع في النسخة العربيَّة محفوظة للناشر، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أيِّ جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها، أو استنساخه بأيِّ شكل من الأشكال، دون إذنٍ خطِّيٍّ مُسبَّق من الناشر. ومن يخالف ذلك يضع نفسه تحت طائلة القانون.

Book: The Doctrine of Scripture: An Introduction (Arabic Edition).

Author: Mark D. Thompson.

Arabic Translation: Samuel N. Naaman.

Proofreading: Peter A. Thabet.

Internal design and Cover: Samuel N. Naaman.

Arabic Publisher: Lucerna Press, in partnership with Crossway

الكتاب: عقيدة الكتاب المُقدَّس؛ مُقدِّمة (الإصدار العربيّ).

الكاتب: مارك طومسون.

ترجمة وضبط نهائيّ: صموئيل ناجي نعمان.

تدقيق لغويّ: بيتر عادل ثابت.

الإخراج الفنِّيّ والغلاف: صموئيل ناجي نعمان.

الناشِر في العربيَّة: مطبوعات لوسِرنا بالشراكة مع كروسواي.

Originally published in English under the title: *The Doctrine of Scripture: An Introduction*

Copyright © 2022 by Mark D. Thompson

Published by Crossway

a publishing ministry of Good News Publishers

Wheaton, Illinois 60187, U.S.A.

This edition published by arrangement

with Crossway.

All rights reserved.

«تَظـلُّ عَقِيـدَة الكتَـاب اَلمُقـدَّس مَسْـأَلة تأْسيسـيَّة -وَلَكنَّهَـا أيْضًـا محـلُّ نِـزَاعٍ شـديدٍ- فِي الأوْسـاط المسـيحيَّة. وَلذَلِـك فَـإِنَّ الحاجَـة مَاسَّـةٌ إِلى أَعمَـالٍ تَكُـون مُختصرَة دُون إِغفَـال لِلْقضايَـا الأساسـيَّة، وَواضِحـة دُون تَبسِـيط، وَثَريَّـة فِي مَادَّتِهـا العلْميَّـة دُون إِدخَـال القـارئ فِي مَتاهَـةٍ. لَقـد قَـدَّم مـارك طُومسـون مِثْـل هـذَا العمـل. كمَـا هُـو اَلْحـال مـع الشُّروحـات المدْروسـة والْمُقْنعـة اَلأُخـرى لِلْمذاهـب الأرثوذكسـيَّة[1] فِي هَـذِه السِّلْسـلة، فَـإِنَّ هـذَا العمـل عـن الكتَـاب اَلمُقـدَّس يَعتَمِـد على ثَـروَة مِـن المصـادر التَّاريخيَّـة والْمعـاصرة لِتزْوِيـد القـارئ بِمقدِّمـة جَيِّـدَة لِلْمَوْضـوع. إِنَّ «عَقِيـدَة الكتَـاب اَلمُقـدَّس» سَـيكُون كِتابًـا رائعًـا لِمجْموعـات المناقشـة أو الدِّراسـة الخاصَّـة.»

كارل ترومـان Carl R. Trueman، أُسْـتاذ الدِّراسـات الكتابيَّـة والدِّينيَّـة، كُلِّيَّـة غـروف سـيتي Grove City College.

«لَقـد زَوَّد مـارك طُومسـون أَتبَـاع اَلمسِـيح بِمقدِّمـة مُـنيرَة وَمنعِشـة عـن الكتَـاب اَلمُقـدَّس. إِنَّ هـذَا العمـل المُسْـتنير كِتابِيًّـا والْمُـشكَّل لاَهونيًّا يُقِـرُّ وَحْـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس وحقَّانيَّتـه وكفايتـه، مِمَّـا يُوجِّـه اَلقُـرَّاء إِلى اَلمسِيح والتَّلْمَذة المسيحيَّة الأمينة. بِبسـاطةٍ، إِنَّ «عَقِيـدَة الكتَـاب اَلمُقـدَّس» هـو إِسْـهَامٌ مُمتـازٌ فِي هَـذِه السِّلْسـلة المتـميِّزة مِـن Crossway. إِنَّنِي، وَبِكُلِّ اِرتِيـاحٍ وَحَمَاسَـةٍ، أُوصي بِهَـذا الكتَـاب الجوْهـريِّ اَلمُنظَّـم بِعنايـة وَالـذِي تَسـهُل قِراءَتـه لِلْغايـة.»

ديفيـد دوكـري David S. Dockery، رَئِيـسُ التَّحالُـف اَلـدوْلِيِّ

---

١ المقصود هنا هو المدلول المعنويّ للكلمة لا الاصطلاحي؛ (المُتَرجِم).

لِلتَّعْليـم المسـيحيِّ International Alliance for Christian Education؛ أُسْـتاذ اللاَّهـوتِ البـارز بِكلِّيَّـة اللاَّهـوتِ المَعْمدانيَّـة الجنوبيَّـة الغرْبيَّة Southwestern Baptist Theological Seminary.

«على الرَّغْـم مِـن مَكانَـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس بِاعْتبـاره الأكْثر مبيعًـا فِي التَّاريـخ، لاَ يَـزَال هُنَـاك اِرتبـاك بِشـأْنِ مَـا يقولـه، وماهيَّتـه، ومَـا إِذَا كان عَلَى المسـيحيِّين أن يتَّبعـوا الأسْـفار المقدَّسـة عِوَضًـا عـن اَلمسِيح. يُجيـب طُومسـون عـن هَـذِه الأسْـئلة وَيكشِـف بِدقَّـة هـذَا التَّناقـض المـصيريَّ. وَهُـو بِذَلـك يُـؤدِّي خِدْمَـة إِرْشـاديَّة لِلْكنيسـة. مِـن أَجْـل اِتِّبـاع اَلمسِيح، يَجِـب على التَّلاميـذ أن يتَّبعـوا اَلقِصَّـة ويثقـوا بِشـهادة الكتَـاب اَلمُقـدَّس، لِأنَّ اَلقِصَّـة فِي النِّهايـة تَـدُور حَـوْل اَلمسِـيح، والْمسـيح يُحـدِّد شَـهادَة الكتَـاب على أَنَّهَـا كَلمَـة اَللَّـه. لَكِـنَّ الإِسْـهَام الحقيقـيَّ لِكتـاب طُومسـون هـو الطَّريقـة اَلتِي تُوضِّـح بِهَـا فُصولـه عَقِيـدَة الكتَـاب اَلمُقـدَّس المتضمَّنـة فِي مَـا عَلَّـم بِـه يَسُـوع.»

كِفِـن فانهـوزر Kevin J. Vanhoozer، أُسْـتاذ البحْـث فِي عِلْـم اللاَّهـوتِ النِّظامـيِّ، مَدْرَسـة ترينـيتي اللاَّهوتيَّـة الإِنْجيليَّـة Trinity Evangelical Divinity School.

«بِالنَّظـر إِلى ‹أَزمَـة السُّـلْطة› الحادثـة حاليًّـا فِي كُلِّ مَكَانٍ مِـن حوْلنَـا، فَـإِنَّ الكنيسـة بِحاجـة مَاسَّـة إِلى شُرُوحٍ كِتابِيَّـةٍ ولاَهوتيَّـةٍ وَاضِحـةٍ وَأَمينَـةٍ لِماهِيَّـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس، إِلى جَانِـب الالْتزام المتجـدِّد بِكلمـة اَللَّـه المقدَّسـة. فِي هَـذِه المُعالجـة المُتَـيَسِّرة لِطبيعـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس، حَقَّـق مـارك طُومسـون تقْريبًـا مَـا

لاَ يُمْكِـن تَصـوُّرُه: لَقـد وصـفَ وَشرَحَ ودافـعَ عـن جميـع النِّقَـاط الحاسـمة اللاَّزمـة لِكيْ تَفهَـم الكنيسـة وَتعِـي مَـا يُمَثِّلـه الكتَـاب اَلمُقـدَّس لِهَـذا الـعصْر. ومَـا هُـو مُفيـد جِـدًّا فِي مُناقشـته هُـو كَيْـف أَسَّـس عَقِيـدَة الكتَـاب اَلمُقـدَّس أوَّلاً وبجـدارة على عَقِيـدَة اَللَّـه، أيْ اَللَّـه الثَّالـوث اَلـذِي يَتَكلَّـم. وَمِـن خِلاَل القيَـام بِذَلـك، فَهُـو يُسَـاعِد الكنيسـة على فَهْـم طَبِيعَـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس اَلتِي تُركِّـز على اَلمسِيح ولمـاذَا الكتَـاب اَلمُقـدَّس ضَرورِيٌّ لِلْغايـة، وَذُو سُـلطَة، وصحيـح. لاَ أَسـتطِيع أن أُفكِّـر فِي كِتَـاب آخـر عـن الكتَـاب اَلمُقـدَّس يَكُـون فِي مُتَنـاوَل جميـع المسـيحيِّين، أمينًـا فِي شَرحِـه، وحكيمًـا فِي اِسْـتنْتاجاته. إِنَّني أَوصَى بِـه بِشـدَّة.»

سـتيفِن وِلَـم Stephen J. Wellum، أُسْـتاذ اللاَّهـوتِ المسـيحيِّ، كُلِّيَّـة اللاَّهـوتِ المَعْمدانيَّـة الجنوبيَّـة The Southern Baptist Theological Seminary.

«إِنَّ أَردَت اَلحُصـول على سَرْدٍ تمْهيـديٍّ مُوجَـز لِوجْهـة النَّظـر الإنْجيليَّـة الكلاسـيكيَّة لِلْكتَـاب اَلمُقـدَّس اَلتِي تـسير على هَـدْي بنيـامين وارفيلـد B. B. Warfield مـع الاعْتمـاد أيْضًـا على الأصْـوات الأحْـدث -خَاصَّـةً جـون وِبَـستر John Webster وكِفِـن فانهـوزر- فلاَ تَتَجـاوَز هـذَا الكتَـاب.»

كِلي كابِـك Kelly M. Kapic، أُسْـتاذ الدِّراسـات اللاَّهوتيَّـة، كُلِّيَّـة كوفنانـت Covenant College

صدر بالعربيَّة من سلسلة

«دراسات قصيرة في اللاهوت النظاميِّ»:

- الثالوث؛ مُقدِّمة
- شخص المسيح؛ مُقدِّمة
- صفات الله؛ مُقدِّمة

مع عميق الامْتنان لِزملائي،

السَّابقين والْحاليِّين،

فِي كُلِّيَّة مُور اللاَّهوتيَّة Moore Theological College،

سيدني Sydney.

المحتويات

تقديم السلسلة ١٣
تمهيد ١٧
تقديم ٢١

١. يَسُوع والْكتَاب اَلمُقدَّس ٤١
٢. الله النَّاطق ٧٣
٣. مِن منطوقات الله إِلى «كَلمَة اَللَّه المَكْتوبَة» ١٠٥
٤. طَابع الكتَاب اَلمُقدَّس [١]: الْوُضُوح والْحَقَّانيَّة ١٤٥
٥. طَابع الكتَاب اَلمُقدَّس [٢]: الْكِفَايَة والْفعَّاليَّة ١٩٣
٥. قِراءةُ الكتَاب اَلمُقدَّس كَتابِعٍ لِيسوعَ ٢٢١

لمزيد من القراءة ٢٢٩
الفِهْرِس العَام ٢٣٣

تقديم السلسلة

قال المفكِّر اليونانيُّ القديم هيراقليطس إنَّ على المفكِّر أن يستمع إلى جوهر الأشياء. وتحتاج سلسلة من الدراسات اللاهوتيَّة التي تتناول الموضوعات التقليديَّة التي تشكِّل علم اللاهوت النظاميِّ إلى القيام بذلك عينه. وعليه، في هذه الدراسات، يتناول اللاهوتيُّون جوهر العقيدة. تهدف هذه السلسلة إلى تقديم دراسات قصيرة في علم اللاهوت تتوافق مع كلٍّ من التقليد المسيحيِّ واللاهوت المعاصر من أجل تجهيز الكنيسة لِأَن تفهم وتحب وتعلِّم وتطبِّق ما أوحى به الله في الكتاب المقدَّس حول مجموعة متنوِّعة من الموضوعات. وما قد يُفقد في سعينا إلى المعالجة الشاملة للمُحتوى يمكن أن يُكتَسَب عبرَ ما يُسمِّيه جون كالفِن John Calvin «الإيجاز الواضح Lucid brevity»، على حدِّ وصفه في رسالة الإهداء على تفسيره لرسالة رومية.

بالطبع، ستكون الدراسة الشاملة لأيَّة عقيدة أطول لا أقصر،

إذ أنَّنا بصدد التفاعل مع ألفَي عامٍ من إقرارات الإيمان والمناقشة والجدال. نتيجةً لذلك، يجب أن تكون الدراسة القصيرة أكثر انتقائيَّة ولكنَّها يجب أن تنتقي ببراعة. وحمدًا لله، فإنَّ المساهمين في هذه السلسلة لديهم القدرة على الإيجاز والدِقَّة. الهدف الرئيسيُّ هو ألاَّ يتحوَّل التبسيط إلى إخلال. والامتحان الحقيقيُّ هو ما إذا كان موضوع الدراسة القصيرة يقتضي التخلِّي عن بعض ما تعلَّمته مَتَى أردتَ الاستزادة من الدراسة المتعمِّقة. إذ يمكن التوسُّع فيما هو بسيط. لكنَّ الإخلال يحتاج إلى تصحيح. بصفتنا محرِّرَين، نعتقد أنَّ أجزاء هذه السلسلة تجتاز ذلك الامتحان.

وبينما يختلف التركيز في كلِّ جزءٍ، إلاَّ أنَّ جميعها (١) يمثِّل مقدِّمةً للعقيدة موضوع الجزء، (٢) يضعها في سياقها، (٣) يصيغها ويطوِّرها بناءً على الكتاب المقدَّس، (٤) يجمع الخيوط المتناثرة معًا، (٥) ويأتي بها إلى حيِّز التأثير على الحياة المسيحيَّة. صلاتنا إذًا أن تساعد هذه السلسلة الكنيسة على أن تتلذَّذ بإلهها الثالوث عن طريق التفكير إِثْرَ أفكاره -التي يعلنها بجزيل نعمته في كلمته المكتوبة، والتي تشهد لكلمته الحيَّة، يسوع المسيح- من خلال العمل القويِّ الذي لروحه القدُّوس.

غراهام كول Graham A. Cole وأورِن مارتن Oren R. Martin

تَمْهِيدٌ

ذات مَـرَّة، سـأَلَ رئيـس الأسـاقفة تُومـاس كرَنمـر Thomas Cranmer، اَلـذِي دفـع لاَحقًـا حياتـه ثمنًـا لِتلْمذتـه المسـيحيَّة خِلاَل اِضْطرابـات القـرْن السَّـادس عشـر؛ «كَيْف يُمْكِن لِأيِّ شَـخْصٍ أن يَقُول بَعْـد ذَلِـك إنَّـه يَعتَرِف بِالْمسـيح وديانتـه، إِذَا لَم يَذْعن بِنَفْسِـه، بِقَدر مَـا يُمْكنـه أو يَسـعُه، لِأن يقْـرأ ويسْـمع، وهكـذَا يعْرف، أَسـفَار إِنْجيل اَلمسِـيح وعقيدتـه؟»[1] لَقـد فَهِـم كرَنمر أنَّ اِتِّبـاع اَلمسِـيح يَنطَوِي على العيْـش تَحْـت سُـلطَة تعاليمه اَلتِـي تَصِل إِلِيْنَـا فِي الكتَـاب اَلمُقدَّس. إنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس لَيْـس رَفاهَـة اِخْتياريَّة بِالنِّسْـبة إلى الْمسـيحيِّين. فقـراءة الكتَـاب اَلمُقـدَّس، أو سَـماعُه مَقـرُوءًا (ومشْـروحًا)، هُـو عمل جليـل. والسَّـبب فِـي ذَلِـك يَكمُـن فِـي قناعاتَنَـا بِشَـأن مَاهِيَّـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس والْكيْفيَّـة اَلتِـي يَعمَـل بِهَـا فِي العالـم، وَكذَا بِشَكلٍ أَساسِـيٍّ

1 Thomas Cranmer, "A Fruitful Exhortation to the Reading and Knowledge of Holy Scripture," in *Certain Sermons or Homilies Appointed to Be Read in Churches in the Time of Queen Elizabeth of Famous Memory* (repr., London: SPCK, 1864), 1.

لقد قمت بتحديث اللغة قليلاً عن اللغة الإنجليزيَّة الإدواردية لكرَنمر.

أَكثَـر، فِـي اَلثقَـة بصَلاَح مَـن أعْطانَا «كَلمَـة اَللَّه مَكتُوبةً»، كمَا يُسَـمِّيهَا كرَنمـر فِـي مَكَانٍ آخر.[٢]

ومـع ذَلِـك، يَبدُو أنَّ هَـذِه اَلثقَة تَتَضاءَل اليـوْم، فقد تمَّ تَجاهُل هَـذِه القناعـات فِـي عدِيـدٍ مِـن الأماكـن. وَفِـي ظِـلِّ اَلهُجوم اَلـذِي لاَ هَـوادَة فِيـه علـى مـدى القرْنيْـنِ ونصْف القـرْن الماضي -مِن الفلْسـفة المتشـكِّكة، والْوضْعانيَّـة العلْميَّـة، والنَّزْعـة التَّعْديليَّـة الأخْلاقيَّـة مُؤَخَّـرا- حَلَّـت مَصادِر السُّـلْطة اَلأُخرى محـلَّ الكتَاب اَلمُقـدَّس. يَبدُو أنَّ أَصـوَات الخبْـرات الشَّـخْصيَّة والْإجْمـاع الثَّقافـيِّ الحاليِّ تَحظَى بِاهْتمـامٍ أَكبَـر لَـدى عدِيـدٍ مِـن المسـيحيِّين. وعنْدَمَـا يَحـدُث هـذَا، تُصْبِـح الكنائـس اَلتِـي ينْتمـون إِلَيْهَـا، وَالتِـي يقودونهَـا فِـي كثيـرٍ مِـن الحـالات، اِنْعكاسًـا أَعجَـف لِانْشـغالات المجْتمـع اَلْأَوسـع وقناعاته.[٣] وَكمَـا كتب التَّقَـويُّ الأَلْمانيُّ يُوهان ألبرِخـت بِنغل Johann Albrecht Bengel مُنْـذ مَـا يَقـرُب مِـن ثلاثمئـة عـامٍ، فَـإِنَّ موْقفَنَـا مِـن الكتَـاب اَلمُقـدَّس هُـو مِقيَـاس مَوثُـوق إِلـى حـدٍّ مَـا لِقـوَّة الكنيسـة ومقْـدَار أمانتهَا:

> إِنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس هُـو أَسَـاس الكنيسـة: والكنيسـة هِـي حَامِيـة الكتَـاب اَلمُقدَّس. فعنْدَمَا تَكُون الكنيسـة بِصِحَّة قَويَّة،

---

٢ البند العشرون من بنود العقيدة التسعة والثلاثين.

٣ اعترضَـت بعـض الأصـوات الرائعـة على أفول الكتاب المقدَّس. فكتب تشـيسلاف ميلوش Czeslaw Milosz، الشـاعر الأمـريكيُّ البولنـديُّ والحائـز على جائـزة نوبـل: «يـشكِّل الكتـاب المقـدَّس الصالـح العـامَّ للمؤمـنين واللاأدريِّين والملحدين».

Milosz, *Widzenia nad Zatoka San Francisco* (Paris: Insitytut Literacki, 1969), translated in Clive James, *Cultural Amnesia: Notes in the Margin of My Time* (London: Picador, 2007), 486.

يذهـب جيمـس نفسـه للقـول: «ومع ذلـك، يمكنك أن تكـون غير مؤمـن، ولا تزال مندهشًـا من مدى اسـتعداد حتَّى المؤمـنين لترك الكتـاب المقدَّس» (ص. ٤٨٨).

يُضيء نُور الكتَاب اَلمُقدَّس. أَمَّا عِنْدمَا تَمرَض الكنيسة، يَخفِت نُور الكتَاب اَلمُقدَّس بِسَبب الإهْمال. وهكذَا اَلْحال، فَإِنَّ الشَّكْل الخارجيَّ لِلْكتَاب اَلمُقدَّس والْكنيسة يَبدُو أَنَّه يُظْهِر إِمَّا صِحَّةً أو مرضًا بِالتَّوازي؛ وكقاعدةٍ عَامَّةٍ، فَإِنَّ الطَّريقة اَلتِي يَتِمُّ بِهَا التَّعامل مع الكتَاب اَلمُقدَّس تَتَناظَر تمامًا مع حَالَة الكنيسة.[٤]

صَلاَتِي هِي أَنَّ اِهْتمامًا جديدًا بِالْعقيدة المسيحيَّة بِشَأن الكتَاب اَلمُقدَّس كمَا تتناولهَا كُتُب مِثْل هذَا الكتَاب، سَوْف يُقَوِّي، بِنعْمة اَللَّه، قناعتنَا بِأَنَّ الكتَاب اَلمُقدَّس هُو كَلمَة اَللَّه اَلحَيِّ، اَلتِي لَهَا كُلُّ الموثوقيَّة والْقوَّة والتَّأْثِير فِي كُلِّ مَا تُعلِّمُه. إِنَّهَا الأدَاة اَلتِي يسْتخْدمهَا الرُّوح لِتغْيِير الحيَاة وتوْجيههَا فِي تَلمذَةٍ مُثْمِرةٍ. إِنَّنَا بِحاجة إِلى تَجدِيد ثِقتنَا وجسارتنَا بِأَنَّ اَللَّه صَالِح وأَنَّ اَلكلِمة اَلتِي أَعْطانَا إِيَّاهَا هِي عَطيَّة صَالِحة مِنْه إِلَيْنَا.

إِنَّ مَا بَيْن يديْك لَيْس كِتابًا دِفاعِيًّا يَهدِف إِلى أن يُمثِّل دِفاعًا مُعادًا عن مِصْداقيَّة الكتَاب اَلمُقدَّس وجدارته. فَكمَا قال تشارلز سبِرجِن ذات مَرَّة: «إِنَّ الكتَاب اَلمُقدَّس هُو نَفسُه إِجابةُ كُلِّ اِعتِراضٍ على الكتَاب اَلمُقدَّس».[٥] لِذَا فبالْأحْرى، يُقصَد بِالْعَمل اَلذِي بَيْن يديْك أن يُمثِّل تقْديرًا لاَهوتيًّا لِلْكتَاب اَلمُقدَّس، رابطًا إِيَّاه فِي

4 Johann. A. Bengel, *Gnomon of the New Testament*, trans. and ed. Andrew R. Forrest, 5 vols. (Edinburgh: Clark, 1857–1858), 1:7.

تمَّ تعديل الترجمة الإنجليزيَّة فِي:

Walter C. Kaiser Jr., *Toward an Exegetical Theology: Biblical Exegesis for Preaching and Teaching* (Grand Rapids, MI: Baker, 1981), 7.

5 Charles Spurgeon, "Speech at the Annual Meeting of the British and Foreign Bible Society, May 5th 1875," in *Speeches by C. H. Spurgeon at Home and Abroad* (London: Passmore & Alabaster, 1878), 17.

كُلِّ مُنَاسبَة بِشَخص وَطَبيعَة اَللَّه اَلذِي أعْطانَا إِيَّاه. وَأنَا أَكتُب بِصفتي غيورًا لاَ يَستَجِي بِالْكتاب اَلمُقدَّس. وَأجد أنَّ التَّقْدير اَلذِي سأرْسم مَلامِحه فِي الصَّفحات التَّالية هُو تَقدِيرٌ مُقْنِعٌ. إلى جَانِب ذَلِك، يُمْكنني أن أَشهَد أنَّ أَبِي السَّماويَّ قد خاطبَني مِرارًا وتكْرارًا فِي صَفَحات الكتَاب اَلمُقدَّس. وتواجهتُ بِنعْمة وَرحْمَة وَسُلطَة مُخَلِّصِي يَسُوع اَلتِي لاَ مثيل لَهَا؛ وخَدَمَني الرُّوح اَلقُدس مُعَزِّيًا إِيَّاي تَارَةً ومتحدِّيًا إِيَّاي تَارَةً أُخرَى. وتشْرح العقيدة المسيحيَّة بِشَأن الكتَاب اَلمُقدَّس سبب ذَلِك.

إِنَّني مُمتَنٌّ لِأولَئك الَّذين طَلَبُوا مِنِّي الإسهام فِي سِلْسلة دِراسَات قَصِيرَة فِي اللاَّهوتِ النِّظاميِّ. كمَا أَنَّنِي مُمتَنٌّ لِأجْيَالٍ مِن الطُّلاَّب فِي كُلِّيَّة مُور اللاَّهوتيَّة وأماكن أُخرَى، الَّذين شَحذَت أسْئلتهم تفْكيري بخصوص هذَا الموْضوع وأعدَّتْني لِهَذه اَلمهمَّة. وَأنَا مدين بِشَكلٍ خاصٍّ لِأولَئك الَّذين خَدمتهم جنْبًا إلى جَنْبٍ، فِي الماضي والْحاضر، فِي إِطَار الامْتياز الرَّائع المتمثِّل فِي تَدرِيب الجيل القادم مِن القساوسة والْمعلِّمين. فنحْن نَتَقاسَم الاقْتناع بِأنَّ مَا يحْتاجه العالم فِي هَذِه اللَّحْظة هُو رِجَال ونساء تَسُود عَليهِم كَلمَة اَللَّه فيبْذلون كُلَّ ذَرَّة مِن طَاقتِهم لِيشاركوا هَذِه اَلكلِمة الواهبة لِلْحيَاة مع الآخرين حين يُوجِّهون النَّاس نَحْو يَسُوع. إنَّ الكتَاب اَلمُقدَّس يَتَحدَّى العالم ويغذِّي تَلامِيذ اَلمسِيح.

تَقْدِيم

كَيْف نُقدِّم وصْفًا لِعقيدتنَا عن الكتَاب اَلمُقدَّس؟

فِي مُعظَم الكنائس المسيحيَّة، الكاثوليكيَّة أو البروتسْتانْتيَّة، الغرْبيَّة أو الأرْثوذكْسيَّة الشَّرْقيَّة، التَّقْليديَّة أو المعاصرة، يَحتَلُّ الكتَاب اَلمُقدَّس مَكانَةً مَركزِيَّةً. فيُقْرأ بِصَوتٍ عالٍ، ويُشْرَح فِي العظَات، ويُناقش فِي لِقاءَات المجْموعات الصَّغيرة. فِي الكلِّيَّات اللاَّهوتيَّة حَوْل العالم، تَتَضمَّن المناهج دِراسةً لِلنَّصِّ الكتابيِّ، غالبًا بِاللُّغات اَلتِي أُعْطيَ بِهَا فِي الأصْل: العبْريَّة والآرَاميَّة والْيونانيَّة الدَّارجة آنذاك. وما زَال إِصدَار التَّفاسير على كُلِّ سفرٍ مِن أَسفَار الكتَاب اَلمُقدَّس مُسْتمِرًّا بِمعدَّلٍ مُذْهِلٍ. كمَا كُتِبَ اَلمزِيدُ والْمزِيدُ مِن الأطْروحات والْمقالات الأكاديميَّة بِخصوص الكتَاب اَلمُقدَّس أو أَجزَاء مِنْه أَكثَر مِن أيِّ نصٍّ أَدبِيٍّ آخر.

لَقد أسر الكتَاب اَلمُقدَّس خَيَال المسيحيِّين عَبْر اَلقُرون. كَتَب أُوغسْطينوس Augustine، أُسقُف هِيبو Hippo، فِي القرْن

الخامس: «إِنَّ الكتَاب اَلمُقدَّس يَتَحدَّث بِالْفِعْل بِطريقةٍ تَسخَر بِسموِّهَا مِن اَلقُرَّاء المخْتالين، وَترعِب بِعمْقِهَا المتيقِّظين مِنْهم، وتغذِّي بِحقِّهَا نُفُوس الأكابر، وَتطعِم بِحلاوتهَا نُفُوس الأصاغر».[١] كمَا اِتَّخذ مَارتِن لُوثَر Martin Luther، مُصْلِح القرْن السَّادس عشر، موْقفه الشُّجَاع فِي مَدِينَة فرميزة Worms بِشَأن تَعالِيم الكتَاب اَلمُقدَّس: «إِنَّني أَعتَبر نَفسِي خاضعًا لِلْكتَاب اَلمُقدَّس وضميري أسير كَلمَة اَللَّه».[٢] أيْضًا كتب جُون كَالفِن John Calvin المعاصر لِلوثر وَذُو النُّفوذ اَلكبِير: «لاَ يُمْكِن لِأَحد أن يَتَذوَّق حَتَّى أَدنَى طَعْم لِلْعقيدة الصَّحيحة والسَّليمة مَا لَم يَكُن تِلْميذًا لِلْكتَاب اَلمُقدَّس».[٣] على اِمتِداد النَّسَق نَفسِه، كتب رئيس الأساقفة الإنْجليزيُّ تُوماس كرَنمر: «بِالنِّسْبة إلى الإنْسان المسيحيِّ، لاَ يُمْكِن أن يَكُون هُنَاك شَيْء ضَرورِيٌّ أو مُرْبِح أَكثَر مِن مَعرِفة الكتَاب اَلمُقدَّس [...] [فَهُو] يَحوِي بِالْكامل مَا يَجب أن نفْعله ومَا يَجب أن نَتَجنَّبَه، ومَا يَجِب أن نُؤْمِن بِه، ونحبَّه، ومَا يَجِب أن نَسعَى إِلَيه، وَهذَا كُلُّه فِي يد اَللَّه فِي نِهاية المطَاف».[٤] ذات مَرَّة، كتب كارل بارت Karl Barth، وَهُو أحد الأصْوات اللاَّهوتيَّة الرَّئيسيَّة فِي القرْن العشْرين: «كَانَت المسيحيَّة دائمًا ومَا زَالَت دِيانة حَيَّة فقط بِمقْدَار كوْنهَا لاَ

1 Augustine, *The Literal Meaning of Genesis*5.3.6 ,, trans. John Hammond Taylor (New York: Newman, 1982), 150.

2 Martin Luther, "Luther at Worms (1521)," in *Luther's Works*, ed. Jaroslav Pelikan and Helmut T. Lehmann, 66 vols. to date (St. Louis: Concordia; Minneapolis: Fortress, 1955–), 32:112.

3 John Calvin, *Institutes of the Christian Religion*, ed. John T. McNeill, trans. Ford Lewis Battles (Philadelphia: Westminster Press, 1960), 1.6.2.

4 Thomas Cranmer, "A Fruitful Exhortation to the Reading and Knowledge of Holy Scripture," in *Certain Sermons or Homilies Appointed to Be Read in Churches in the Time of Queen Elizabeth of Famous Memory* (repr., London: SPCK, 1864), 1, 2.

تَخجَـل مِـن أن تَكُـون دِيانـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس فِعْليًّـا وجدِّيًّـا».[٥] وَفِـي أحد المناسـبات الشَّـهيرة، عِنْدمَا سُـئِل عن «أهمِّ اِكتِشـاف فِي حَياتِه اللاَّهوتيَّـة الطَّويلـة»، أَجَـاب: «يَسُـوع يُحبُّنـي، هـذَا مَـا أَعرِفـه **لِأَنَّ الكتَـاب اَلمُقدَّس يُخْبرنـي بِذَلك**».[٦]

لِمـاذَا يوجَـد مِثْـل ذَلِـك الاهْتمـام المسْـتمرِّ بِهَـذا الكتَـاب، أو بِالْأَحْـرى بِهَـذه المجْموعـة الأدبيَّـة مِـن الأَسْـفار، علـى مـدى أَلْفَـي عـامٍ؟ لِمـاذَا يَبـذُل الرِّجَال والنِّسـاء هَـذِه الطَّاقـة لِدراسـتهَا وتعْليمهَا لِلْآخريـن؟ لِمـاذَا كان البعْض، مِثْـل وِيلْيَام تِنْـدَل William Tyndale، علـى اِسْـتعْدادٍ لِلْمخاطرة بِحياتهـم جَرَّاء تَرجمَة الكتَـاب اَلمُقدَّس إِلى لُغَـة دَارِجـة أو عن طريق تَهرِيب اَلكُتب المقدَّسـة إِلـى أَماكِن لاَ تُوجَد فِيهَـا حُرِّيَّـة دِينيَّـة؟ لِمـاذَا يَسـعَى البعْـض اليـوْم بِهَـذه الشَّراسـة إِلى اِسْـتبْعاد الكتَـاب اَلمُقدَّس مِن كُلِّ سـاحات الحوَار اَلْعـامِّ؟ بِاخْتصارٍ، لِمـاذَا أَثَـار هـذَا الكتَـاب مِثْـل هـذَا العـدَاء لَـدى البعْـض وَولَّـد مِثْـل هـذَا الإِخْلاص لَـدى آخريـن؟ يوجَـد كِتَاب آخر، وَهُو الكتَـاب اَلصغِير اَلـذِي تَحمِلـه الآن بَيْن يديْـك، يُعْطِي إِجابة عن هَذِه الأَسْـئلة. وتكْمن هَـذِه الإِجابـة فِي العقيدة المسـيحيَّة بِشَـأن الأَسْـفار المقدَّسـة.

عَقِيدَةٌ مَسيحِيَّةٌ عن الكتَاب اَلمُقدَّس

تَنبُـع العقيـدة المسـيحيَّة بِشَـأن الأَسْـفار المقدَّسـة مِـن إِنْجيـل يَسُـوع اَلمسِـيح. عِنْدمَـا لَخَّـص الرَّسـول بُولُـس الرِّسـالة المسـيحيَّة،

5 Karl Barth, *Church Dogmatics*, trans. G. T. Thomson and H. Knight (Edinburgh: T&T Clark, 1956), 1/2:495.

6 Martin Rumscheidt, "Epilogue," in Karl Barth, *Fragments Grave and Gay*, ed. Martin Rumscheidt, trans. Eric Mosbacher (London: Collins, 1971), 124 (emphasis added).

وسرَدَ مَا وَصفَه بِالْأَشْياء ذات الأهمِّيَّة اَلأُولى («فِي الأَوَّلِ»)، كتب: «أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ ظَهَرَ لِصَفَا ثُمَّ لِلاثْنَيْ عَشَرَ» (كورنثوس اَلأُولى ١٥: ٣-٥). توفِّر الأسْفار العبْريَّة، أيْ أَسفَار العهْد اَلقدِيم، السِّيَاقَ الأساسيَّ لِفَهم مَا جاء مِن أَجلِه يَسُوع ومقْدَار أهمِّيَّته. بيْنمَا يكشِف العهْد اَلجدِيد، وَهُو نِتَاج الإرْساليَّة الرَّسوليَّة اَلتِي بدأهَا يَسُوع عِنْد صُعوده (مَتَّى ٢٨: ١٨-٢٠)، عن مَعْنى وعلاقات وعواقب الإنْجيل بِإشارة شِبْه دَائِمة إلى العهْد اَلقدِيم. إنَّ العبارة الصَّغيرة المتكرِّرة لَدى الرَّسول بُولُس: «مَاذَا يَقُولُ الكتَابُ؟» (رُومية ٤: ٣؛ غَلاطِيَّة ٤: ٣٠) هِي مِثَال وَاضِح جِدًّا. لِماذَا كان هذَا الاحْتكام إلى الكتَاب شديدَ الأهمِّيَّة؟ وماذَا يَعنِي؟ ومَا هِي عَواقِبه على الحيَاة الآن بَيْن القيامة والْمجيء الثَّاني، وَحتَّى على الحيَاة فِي الجانب الآخر مِن ذَلِك اليوْم اَلعظِيم؟ إنَّ هَذِه الأَسئِلة هِي بِمثابة المنْشأ لِلْعقيدة المسيحيَّة بِشَأن الكتَاب اَلمُقدَّس.

إنَّ الاهْتمام المسيحيَّ بل وَحتَّى الإخْلاص التَّامَّ لِتعاليم الكتَاب اَلمُقدَّس هُمَا جُزْء لاَ يَتَجزَّأ مِن التِّلْمذة المسيحيَّة. مِن الصَّعْب أن يَصمُد اِدِّعاؤنَا بِأنَّنَا تَلامِيذ لِيسوع اَلمسِيح إذَا لَم نَأخُذ الكلمات اَلتِي صَادَق عليْهَا (العهْد اَلقدِيم) وتلْك اَلتِي سلَّمْنَا إيَّاهَا (العهْد اَلجدِيد) على مَحمَل اَلجِدِّ. إذ يَنبَغِي أن يَتَبنَّى التِّلْميذ المسيحيُّ مَوقِف يَسُوع نَفسَه تُجَاه الكتَاب اَلمُقدَّس. وَكمَا هُو اَلْحال فِي جميع مجالاَت الحيَاة اَلأُخرى، فَإنَّنَا نَسعَى إلى أن يَكُون لَديْنَا «فِكْرُ اَلمسِيح» (كورنثوس الأولى ٢: ١٦؛ فيلبِّي ٢: ٥-٨). كَذلِك

كتـب الرَّسـول بُولُـس إِلـى تِلْميـذه تِيموثـاوس -بِالْإِشـارة أَوَّلاً وقبْل كُلِّ شَـيْء إِلـى العهْـد اَلقدِيـم وَلكِـن بِامْتدادٍ مَعقُـولٍ إِلى العهْـد اَلجدِيد أَيْضًـا- أَنَّ هَـذِه هِي «الْكُتُبَ الْمُقَدَّسَـةَ، الْقَـادِرَةَ أَنْ تُحَكِّمَكَ لِلْخَلاَصِ، بِالإِيمَـانِ الَّـذِي فِـي الْمَسِيحِ يَسُـوعَ». (تِيموثاوس الثَّانيـة ٣: ١٥).[٧] قد نُؤْمِـن بِأَقـلِّ قَـدْرٍ مِـن المعْرفـة بِمَـا يعلِّمـه الكتَـاب اَلمُقـدَّس، إِذ إِنَّـه فِـي نِهايـة المطَـاف، وَمِـن خِلاَل الإِثْبَـان بِنَـا إِلـى يَسُـوع والْوثـوق بِه، نَنَـال الحيَـاة الأبديَّـة (يُوحنَّا ٣: ١٦). ومع ذَلِـك، لاَ يَمضِي وَقْتٌ طويلٌ قَبْـل أن نكتَشِـف أَنَّـه لِكـيْ نَعـرِف ونفْهم يَسُـوع علـى حَقِيقَـة هُويَّته، وليْـس فقـط كمَـا نتخيَّلـه، فَإِنَّنَـا يَجِـب أن نَفهَم وُعُـود اَللَّـه المتعلِّقة بِـه ومَـا جـاء مِـن أَجلِـه، والْفـارق اَلـذِي يصْنعـه مجيئـه فِـي حَياتِنـا الآن، والْأَبْعـاد المناسـبة لِلرَّجَـاء اَلـذِي يضْمنـه لَنَـا. لِذَلـك سُـرْعان مَا نَجِـد أَنفُسـنا، نَحْـن الَّذيـن نَتبَـع يَسُـوع، قَارِئِيـن ومبْتهجيـن بِالْكتـاب اَلمُقدَّس.

تَكمُـن أَهَمِّيَّـة هـذَا اَلأُفـق فِـي الطَّريقـة اَلتِـي يَبقَى بِهَا يَسُـوع فِي قَلْـب العقيـدة المسيحيَّة بِشَـأن الكتَـاب اَلمُقـدَّس.[٨] وعنْدَمَـا يَحدُث ذَلِك، فَإِنَّه لاَ يُمْكِن أن يَكُون هُنَاك تَناقُض بَيْن سُـلطَة يَسُـوع وَسُـلطَة

٧ يكمُـن أسـاس هـذا «الامتـداد المعقـول» في أشـياء مثـل اسـتخدام بولـس لاقتبـاسٍ مـن إنجيـل لوقـا بالتـوازي مـع سـفر التثنيـة في تيموثـاوس الأولى ٥: ١٨ (مُتَّبِعًـا الصيغـة التمهيديَّـة «لأَنَّ الْكِتَـابَ يَقُـولُ»)، كذلـك تشـجيعه لأهـل كولـوسّي أن يقـرؤوا رسـالته عندمـا يجتمعـون ثـمَّ ينقلونهـا إلى الجماعـات الأخـرى (وقـراءة الرسـائل التي أرسـلها إلى الآخريـن) في كولـوسّي ٤: ١٦، ووصـف الرسـول بطـرس لرسـائل بولـس (حتَّى تلـك الأشـياء «عَسِرَةُ الْفَهْـمِ») بأنَّهـا تتسـاوى مـع «مَـا فِي الرَّسَـائِلِ كُلِّهَا» في بطـرس الثانيـة ٣: ١٦.

٨ مـن بين أولئـك الذيـن أوضحـوا هـذه النقطـة بوضوحٍ كبيرٍ وقوَّة إقناعٍ كان جون غريشـام ماتشِـن J Gresham Machen:

"Shall We Defend the Bible?," reprinted in *Things Unseen: A Systematic Introduction to the Christian Faith and Reformed Theology* (Glenside, PA: Westminster Seminary Press, 2020), 45–47; and John W. Wenham, *Christ and the Bible*, 2nd ed. (Grand Rapids, MI: Baker, 1984), 9–10.

الكلمات اَلتِي أُعطِيت لَنَا فِي الكتَاب اَلمُقدَّس. إِذ تُفهَم هُويَّة يَسُوع فِي إِطَار المحدَّدات اَلتِي تَوفَّرَت لَه فِي العهْد اَلقدِيم. فالْأَلْقاب المسيَّانيَّة العظيمة المنْسوبة إِلى يَسُوع («اِبْن دَاوُد»، «اِبْن الإِنْسان»، «اِبْن اَللَّه»، «العبْد المتألِّم»، «اَلرَّبُّ»، إِلخ) تَرجَع أُصولُهَا كُلُّهَا إِلى العهْد اَلقدِيم ومَا يَتَنبَّأ بِه. كمَا تَحمِل كلمات الرُّسل سُلطَة يَسُوع لِأَنَّهم شُهوده المُعيَّنون والْمتحدِّثون بِاسْمه. بل إِنَّ كِرازة الرُّسل بِالْإِنْجيل يُمْكِن أن تُوصَف بِأَنَّهَا «كَلِمَةُ اَلمسِيح» (رومية ١٠: ١٧؛ كُولوسِّي ٣: ١٦). أَيْضًا تَحدَّث يَسُوع نَفسه عن كَيْف أَنَّ «كُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هذِهِ وَيَعْمَلُ بِهَا» يَبنِي بَيتَه على صَخرَةٍ يُمْكنهَا الصُّمود فِي وَجْه أَقوَى العواصف (مَتَّى ٧: ٢٤-٢٥). ومع ذَلِك، فَإِنَّ كلمات يَسُوع هَذِه نَجِدهَا فقط فِي الكلمات المكْتوبة فِي الأناجيل. تَكلَّم يَسُوع أَيْضًا عن كَيْف أَنَّ الأَسْفار المقدَّسة تَشهَد عَنْه (يُوحنَّا ٥: ٣٩-٤٠) وَعلَّم تلاميذه «الأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ» مِن جميع الأَسْفار المقدَّسة (لُوقَا ٢٤: ٢٧)، ومع ذَلِك فَإِنَّ وُصولَنَا حَتَّى إِلى كلمات يَسُوع هَذِه، وقراءته لِلْعهْد اَلقدِيم اَلتِي تُظْهِر أَنَّه يَدُور حَوْل يَسُوع، نَجدهمَا موْجودتيْن فقط فِي العهْد اَلجدِيد. وَمِن اَلأُمور الحاسمة هُنَا، كمَا أَوضَح يَسُوع هُو عمل الرُّوح اَلقُدس اَلذِي وعد يَسُوع الرُّسل بِشأْنه: «يُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ» (يُوحنَّا ١٤: ٢٦)؛ و«يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ» (يُوحنَّا ١٦: ١٥).

فِي بَعْض الدَّوائر المسيحيَّة المعاصرة، يُرسَمُ خطٌّ بَيْن السُّلْطة الشَّخْصيَّة لِيسوع اَلمسِيح وَسُلطَة الكتَاب اَلمُقدَّس. بل

يُقتَرَح أيْضًا أن «نَتبَع يَسُوع لا الكتَاب اَلمُقدَّس».[٩] ومع ذَلِك، فَإِنَّ فَصْلاً كَهذَا لاَ يُمْكِن لَه أن يَصمُد. إِنَّنا لاَ نَعبُد كِتابًا. هذَا الأمْر صحيح ولم يُعْتَرَض عليْه بِجدِّيَّة على مَدَار أَلفَي عامٍ مِن التَّاريخ المسيحيِّ. وَحتَّى إِعلاَن وِيلْيَام تشيلينوُرث William Chillingworth اَلشهِير (أو سَيِّئ السُّمْعة فِي بَعْض الدَّوائر) اَلذِي يَقُول «إِنَّني أَقُول إِنَّ الكتَاب اَلمُقدَّس، والْكتَاب اَلمُقدَّس وَحدَه، هُو دِيانة البروتستانت»، هُو إِعلاَن يَجِب قِراءَته فِي سِياقه، إذ يَتَّضِح أَنَّه لَم يَكُن يَقتَرِح مِثْل هذَا الفصْل المذْكور.[١٠] إِنَّ شَخْص يَسُوع النَّاصريِّ، مسيح إِسْرائيل وَمخلِّص العالم، هُو وَحدَه مَن نَعبُد بِه وَمِن خِلاله اَللَّهَ اَلحَيَّ. وَهُو كَلمَة اَللَّه، بِشَكلٍ لاَ يُشارِكه فِيه آخر. تَأمَّل مَارتِن لُوثَر Martin Luther ذات مَرَّة فِي الطُّرق المخْتلفة اَلتِي يُمْكِن مِن خِلالِهَا اِسْتخْدام عِبارة «كَلمَة اَللَّه»: عن الإنْجيل اَلذِي أُعلن لَنَا بِأمانة مِن خِلاَل كلمات الأنْبياء ومَا وعظ بِه الرُّسل، وكلمَات الكتَاب اَلمُقدَّس، وشخْص يَسُوع اَلمسِيح. لَكنَّه ذكَّر ضُيوفه حِين كان مَعهُم على العشَاء بِأنَّ واحدًا مِن بَيْن كُلِّ هؤلاء هُو «مِن نَفْس جَوهَر اَللَّه».[١١]

٩ «المسيحيُّون ليسوا أولئك الذين يؤمنون بالكتاب المقدَّس، ولكن أولئك الذين يؤمنون بالمسيح.» John Barton, *People of the Book? The Authority of the Bible in Christianity* (London: SPCK, 1988), 83. Cf. Nicholas Wolterstorff, *Divine Discourse: Philosophical Reflections on the Claim That God Speaks* (Cambridge: Cambridge University Press, 1995), 295–96.

10 William Chillingworth, *The Religion of Protestants a Safe Way to Salvation* (London: Clarke, 1664), 335. Mark D. Thompson, "The Sufficient Word," in *"Tend My Sheep": The Word of God and Pastoral Ministry*, ed. Keith G. Condie (London: Latimer Trust, 2016), 27–44.

١١ قال لوثر هذا النوع من الأشياء عدَّة مرَّات خلال حياته المهنيَّة، من محاضراته الأولى في سفر المزامير في ١٥١٥-١٥١٦ إلى المحادثة على العشاء عام ١٥٤٠:

Luther's Works, 10:220; 54:395

تأتي عبارة «في جوهر الله» من المحادثة اللاحقة.

ومع ذَلِك، تَبقَى النُّقْطة الرَّئيسيَّة هُنَا هِي أَنَّه لِكيْ نَأْخُذ الشَّخْص على مَحمَل اَلجِدِّ، يَجِب أن نَأْخُذ على مَحمَل اَلجِدِّ الكلمات اَلتِي أعْطانَا إِيَّاهَا. تمامًا كمَا أَنَّه مِن العبث أن تَدَّعِي أَنَّك تَأْخُذني على مَحمَل اَلجِدِّ إِذَا كُنْت تَرفُض بِانْتظامٍ مَا أقوله، أو تُحرِّف كلماتي لِتعْني شيْئًا بِخلاف مَا كُنْت أَقصِده، أو حَتَّى تَرفُض الاسْتماع فِي المقَام الأوَّل -كان هذَا هِو حالُ مُعظمنَا فِي بَعْض الأحْيان- هَكذَا هِو اَلْحال مع يَسُوع اَلمسِيح. فلأنَّه أَيَّد العهْد اَلقدِيم وَكلَّف الرُّسل بِإرْساليَّتهم اَلتِي أَنتَجت العهْد اَلجدِيد، بِهَذا يَكُون أَخْذُ يَسُوع على مَحمَل اَلجِدِّ **هُو** أَخْذ الكتَاب اَلمُقدَّس على مَحمَل اَلجِدِّ. وبالْمثْل، كمَا سَنرَى، إِذَا كان رُوح اَللَّه هُو اَلذِي تَكلَّم مِن خِلاَل الأنْبياء وَكَان جُزْءًا لاَ يَتَجزَّأ مِن إِنتَاج الكتَاب اَلمُقدَّس اَلمُوحى بِه حقًّا وصدْقًا، فحينئذٍ يُكون أَخْذ الكتَاب اَلمُقدَّس على مَحمَل اَلجِدِّ **هُو** أَخْذ الرُّوح وخدْمَته بِجدِّيَّة أيْضًا. إِنَّ وَعْد يَسُوع لِلرُّسل بِأَنَّه سَيرسِل الرُّوح إِليْهم يَتَلازَم مع التَّكْليف اَلذِي أعْطاهم إِيَّاه بِأَخذ كلماته إِلى أَقصَى الأرْض وَآخَر الزَّمَان، وَهذَا الوعْد هُو المصْدر الحقيقيُّ لِلْعهْد اَلجدِيد.

فِي كثيرٍ مِن الأحْيان عَبْر التَّاريخ المسيحيِّ، وَفِي مُحاولات لمجاوبة أُولئك الَّذين لَديهِم شُكُوك حَوْل سُلطَة الكتَاب اَلمُقدَّس، بدأ اللاَّهوتيُّون المسيحيُّون مُناقشاتهم بخصوص طَبِيعَة واسْتخْدام الكتَاب اَلمُقدَّس. فِي بَعْض الأحْيان بَدؤُوا بِمناقشة كَيْف نَعرِف، وكيْف يُمْكننَا (أو حَتَّى مَا إِذَا كُنَّا نَستطِيع) مَعرِفة اَللَّه، وَطَبيعَة النُّصوص الدِّينيَّة، أو تصْريحات إِقْرارات الإيمان لِتقْلِيدٍ لاَهُوتيٍّ مُعيَّن. بدأ آخرون بِطريقة دِفاعِيَّة أَكثَر، فناقشوا مِصْداقيَّة

الكتَـاب اَلمُقـدَّس مِـن حَيْـث وَصفـه لِلْأَحْـداث التَّاريخيَّـة، وَتحقِيـق النُّبـوَّات، وتأْثيـره اَلقَـوِيِّ على أُولئـك الَّذيـن قَـرؤُوه على مـرِّ اَلقُرون، أو قُوَّتـه التَّفْسـيريَّة عِنْدمَـا يَتَعلَّـق الأمْـر بِالْعالم كمَا نعْرفـه ونخْتبره. لاَ يُعتبَـر أيٌّ مِـن هَـذِه الأسـاليب خَاطِئًـا تمامًـا، وَلكِن يُمْكِـن أن تُؤَدِّي إِلـى نَتائِـج عَكسِيَّة. إِنَّ الاحْـتكام إِلـى سُـلطات خَارِجِيَّـة (فَلسـفِيَّة أو تاريخيَّـة أو أيِّ سُـلطَة أُخـرَى) يُمْكِن أن يقوِّض فِـي الواقع الادِّعاء بِأنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس هُـو السُّـلْطة النِّهائيَّـة فِـي مَسـائِل الإيمـان والْحياة المسيحيَّة.

إِنَّ الاحْـتكام لِطبيعـة النُّصـوص الدِّينيَّـة وَكيفِيَّـة عملهَـا ضِمْـن الأنْظمـة الدِّينيَّـة يَفشَـل فِـي تَقدِير تَفـرُّد الكتَاب اَلمُقـدَّس: فَهُو لَيْس مُجـرَّد اَلبدِيل المسـيحيِّ لِلْقـرْآن أو البهاغافاد غِيتَـا.[١٢] وَحتَّى اليهوديَّة، علـى الرَّغْم مِـن أَنَّهَا المؤْتمَن التَّقْليديُّ لِوَحْـي وإيمَان العهْد اَلقدِيم، فَإِنَّهَـا تَتَعامَـل مع نصِّ الشَّـريعة والْأَنْبيـاء والْكتابات بِطريقـة تَختَلِف اِخْتلافًـا كبيـرًا عـن الطَّريقـة اَلتِي يَتَعامَـل بِهَـا المسيحيُّون. مِـن اَلممْكِـن والْمناسـب بِالتَّأْكيد الدُّخول فِي مُنَاقشَـة بخصوص المسـائل اللاَّهوتيَّـة بـدءًا بِعَـددٍ مِـن النِّقَـاط المخْتلفـة (علـى سـبيل المثَـال، شَـخْص وَطَبيعَـة اَللَّـه، طَبِيعَـة اَلمهمَّـة اللاَّهوتيَّـة، نُقطَـة البدايـة الكتابيَّـة فِـي اَلخلـق، أو حَتَّى النِّهايـة اَلتِي تَتَّجِه إِلَيْهَا كُلُّ الأشْـياء). إِلاَّ أنَّ البـدْء بِيسـوع يَضمَـن نهْجًا **مَسـيحِيًّا** مُتميِّزًا وَحازِمًا نَحْو المناقشـة وتجنُّبًـا لِخَطـر التَّصْريحـات العامَّـة والتَّجْريديَّة.

يَحمِـل التَّجْريـد فِـي طَيَّاتِـه خطـرًا خاصًّـا. مِـن اَلمهِـمِّ أن نُميِّـز بِدقَّـة بَيْـن شَـخْص وكلمَـات وَعمَـل يَسُـوع والْمفْهـوم اللاَّهوتـيِّ

١٢ نصٌّ مُقدَّس لدى الهندوس؛ (المُتَرجِم).

لِلتَّجَسُّـد. فَبَينمَـا كَانَت دِراسـة شَـخْص يَسُـوع تَحْـت عُنْوان **التَّجَسُّـد** يَتِـمُّ تسْـويغهَا علـى أَسَـاس يُوحنَّـا ١: ١٤ وَهِـي مُفيـدَة لِلْغايـة فِـي مَجمُوعـة مِـن السِّـياقات، فَـإِنَّ العقيـدة المسـيحيَّة بِشَـأن الكتَـاب اَلمُقـدَّس مُثبتَـة بِـشَكلٍ وثيـق فِي مَا قَالَه هـذَا الشَّـخْص بِالْفِعْل. لَقد أَدَّى التَّسَـرُّع فِـي الاحْـتكام إِلـى لاَهُـوت التَّجَسُّـد فِي سِـيَاق العقيدة بِشَـأن الكتَـاب اَلمُقـدَّس إِلـى اِسْـتنْتاجات مُلتبسَـة.[١٣] إِذ إِنَّ اِتِّحـاد اللاَّهـوتِ والنَّاسـوتِ فِي شَـخْص يَسُـوع اَلمسِيح هُو اِتِّحـاد فريد مِن نَوعِـه (كمَـا اِعتـرَف لُوثَـر) ولاَ يُمْكِـن، مـن دون ذِكْـر بَعْـض الشُّـروط والْمحـدَّدات، أن يُشـبَّه بِهويَّـة كَلمَـة اَللَّـه وكلمَـات كُتَّـاب الكتَـاب اَلمُقـدَّس مِـن البشـر.[١٤] إِنَّ الانْتبـاه إِلى نمـط خِدْمَة يَسُـوع، وَكذَلِك مَا عَلَّمـه فِـي الواقـع لِرُسـلِه عن الأَسْـفار المقدَّسـة اَلتِي كَانَت فِـي عَصرِه وعـن خِدْمتِهـم المسْـتقْبليَّة، يُسـاعدنَا فِـي تَجنُّب خطر الاسْـتنْتاجات غَيْـر الملائمـة المسْـتوْحاة مِـن التَّجَسُّـد.

عَقِيدَة كِتابِيَّة عن الكتَاب اَلمُقدَّس

مِثْـل هـذَا الالْتـزام بِنقْطـة اِنـطِلاقٍ مَسـيحِيَّة يَنطَـوِي بِالضَّـرورة علـى الاحْـتكام إِلى نـصِّ الكتَـاب اَلمُقدَّس نَفسـه. ففِي النِّهايـة، وَكمَا

13 Peter Enns, *Inspiration and Incarnation: Evangelicals and the Problem of the Old Testament* (Grand Rapids, MI: Baker, 2005).

١٤ «لا يوجـد اتِّحـادٌ أقنومـيٌّ بين اللاهـوت والناسـوت في الكتـاب المقـدَّس. لا يمكننـا أن نـوازي بين ‹نقـش› الـروح القـدس وتجسُّـد ابـن الله.»

Benjamin B. Warfield, "Inspiration," in *The International Standard Bible Encyclopedia*, ed. James Orr (Chicago: Howard-Severance, 1915), 1473–83; reprinted as "The Biblical Idea of Inspiration," in Benjamin Breckinridge Warfield, *The Inspiration and Authority of the Bible*, ed. Samuel G. Craig (Phillipsburg, NJ: Presbyterian and Reformed, 1948), 162.

رأيْنَـا، فَإِنَّنَـا نَعـرِف شَـخْص يَسُـوع وكلماتـه وعملـه مِـن خِلاَل شَـهادَة اَلنَّـصِّ الكتابـيِّ، مـع عِبـارَاتٍ دَاعِمـة مُوجَزَة فقـط فِي نُصُـوصٍ أُخرَى مُعَاصـرَة تقْريبًـا، مِثْـل تِلْـك اَلتِـي كتبهَـا اَلمُـؤرِّخ الرُّومانـيُّ بُوبليـوس كُورنيليـوس تاسـيتوس Publius Cornelius Tacitus (٥٦-١٢٠م)، والْمـؤرِّخ اليهـوديُّ فلافيـوس يوسـيفوس Flavius Josephus (٣٧-١٠٠م)، وَحاكِـم بِيثينيـا، بلينـي الأصغـر Pliny the Younger (٦١-١١٢م).[١٥] لَقـد اِحتكَـم يَسُـوع نَفسُـه بِوضـوحٍ إِلـى العهْـد اَلقدِيـم فِـي مُوَاجهَـة رَفْـض الفرِّيسـيِّين أن يَأتُـوا إِلَيـه: «فَتِّشُـوا الْكُتُـبَ لأَنَّكُمْ تَظُنُّـونَ أَنَّ لَكُـمْ فِيهَـا حَيَـاةً أَبَدِيَّـةً. وَهِـيَ الَّتِي تَشْـهَدُ لِـي» (يُوحنَّا ٥: ٣٩)؛ وَأَمَـرَ الرُّسـل لِيكونوا شُـهودًا لَه «فِي أُورُشَـلِيمَ وَفِـي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّـامِرَةِ وَإِلَـى أَقْصَـى الأَرْضِ» (أَعمَال الرُّسـل ١: ٨). إِنَّنـا نَذهَب إِلى الكتَـاب اَلمُقـدَّس لِنتعَلَّم عن يَسُـوع، وَيسُـوع اَلذِي نَجـدُه هُنَاك هُو اَلـذِي يَمُدُّنَـا بِالْموْقـف المناسـب تُجَـاه الكتَـاب اَلمُقـدَّس.

ومـع ذَلِـك، هـل نَتَجـادَل هَكـذَا بِبسـاطة فِـي دَائِـرةٍ؟ يَبـدُو أنَّ اَلحُجَّـة تَتَلخَّـص فِـي هـذَا: الكتَاب اَلمُقدَّس هُـو كَلمَة اَللَّه لِأنَّ يَسُـوع يَقُـول فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس إِنَّـه كَذلِـك، وَشَـهادَة الكتَـاب اَلمُقـدَّس لِموْقـف يَسُـوع مِـن هـذَا الأمْـر مَوثُوقـة لِأَنَّهَـا كَلمَة اَللَّـه. يُقَـال أحْيانًا إِنَّ اَلمنْطِـق معيـب، لِأَنَّـه يَفتَـرِض الاسْـتنْتاج مِـن البداية. ومـع ذَلِك، يُمْكِـن اَلـرَّدُّ علـى هَـذِه التُّهْمـة المتمثِّلـة فِـي التَّفْكيـر الدَّائـريِّ اَلمُفرغ علـى عددٍ مِـن المسْـتويات.

أوَّلاً، كمَـا أَوضَـح كثيـرون، فَـإِنَّ دَرجَـة مِـن الاسْـتدارة هِـي أَمْر لاَ

15 Tacitus, *Annals of Imperial Rome* 15.44. Josephus, *Antiquities of the Jews*18.3.3 (disputed) and 20.9.1. Pliny the Younger, *Letters* 10.96.

مفـرَّ مِنْـه عِنْدمَـا نَتَجـادَل بشـأن السُّـلطات النِّهائيَّـة. فيجـادل أَنصَار النَّزْعـة العقْلانيَّـة عـن السُّـلْطة النِّهائيَّـة لِلْعقْـل بِاسْـتخْدام العقْـل. ويشـير أَنصَـار النَّزْعـة التَّجْريبيَّـة إِلـى التَّجْربـة بِاعْتبارهَـا التَّحَقُّـق النِّهائـيَّ مِـن جَاذِبيَّـة التَّجْربـة. كمَـا كتـب جُـون فِريـم John Frame: «تَكُـون جميـع أَنظِمـة الفكْـر دَائِريَّـة بِمعْنًـى مَـا عِنْدمَا تَسـعَى لِلدِّفَاع عـن مِعْيارهَـا النِّهائـيِّ لِلْحقيقـة»، و«لاَ يُمْكِـن لِأَيِّ نِظَـامٍ أن يَتَجنَّـب اَلمنْطِـق الدَّائـريَّ، لِأَنَّ جميـع الأَنْظمـة [...] -غَيْـر المسـيحيَّة وَكذَلِك المسـيحيَّة- تَسـتَنِد إِلى اِفْتراضاتٍ مُسـبَّقَة تَتَحكَّم فِي نهْجهَا المعْرفيِّ وَحججِهـا واسْـتخْدامهَا لِلْأَدِلَّة».[١٦] لَيسَـت كُلُّ اَلحُجج الدَّائريَّة شِـرِّيرة. أَيْ أَنَّهَـا لاَ تَنتَقِـص مِـن الاسْـتنْتاج النِّهائـيِّ فِـي كُلِّ الأَحْـوال، لاَ سِـيَّما عِنْدمَـا تَكُـون مِـن هـذَا النَّوْع مِـن اَلحُجج.[١٧] كمَا كتب فِريـم فِي مَكَان آخـر: «لاَ يُمْكِـن لِلْمـرْء أن يَتَخلَّـى عـن سُـلْطته الأساسـيَّة فِـي سِـيَاق مُرافعتـه الدِّفاعيَّـة عَنهَا!».[١٨]

ثانيًـا، يَجِـب مُراعَـاة طَبِيعَـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس كمَـا هُـو لَديْنَـا. بيْنمَـا نَقُـول مُحقِّيـن إِنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس هُـو عمـلٌ وَاحِـدٌ تَشـملُه سَـردِيَّة كُبـرَى، وَشـخصِيَّة مَركزِيَّـة، ومؤلِّـف رَئيسِـيٌّ وَاحِـد، فَإِنَّـه فِـي

16 John M. Frame, *Systematic Theology: An Introduction to Christian Belief* (Phillipsburg, NJ: P&R, 2013), 734; Frame, *The Doctrine of the Knowledge of God* (Phillipsburg, NJ: Presbyterian and Reformed, 1987), 130:
«إنَّ المنطـق الدائـريَّ في نظـامٍ مـا لـه مـا يبرِّره بشكلٍ صحيح **فقـط** عند نقطة واحـدة: المحاجاة عن المعيـار المُطلـق لذلك النظام.»

١٧ استكشـف الفيلسـوف جـون غريكـو John Greco مسـألة المنطـق الدائـريِّ بشكلٍ عـامٍّ وبالارتباط بــ «موثوقيَّـة الوكيل» المرتبطـة بلورنس بونجـور Laurence BonJour.
John Greco, *Putting Skeptics in Their Place: The Nature of Skeptical Arguments and Their Role in Philosophical Inquiry* (Cambridge: Cambridge University Press, 2000), 186.

18 John M. Frame, "Review of Wenham's *Christ and the Bible*," *Banner of Truth Magazine* 118/119 (July–Aug. 1973): 40.

نَفْس الوقْتِ مَجمُوعة مِن الكتابات مِن مُؤلِّفِين بشريِّين مُخْتلفين مَكتُوبة على مدى فَترَة طَوِيلَة. يَكشِف الفحْص اَلدقِيق أيْضًا عن مَجمُوعة مُتَنوِّعَة مِن الأنْواع النَّصِّيَّة (النَّاموس، والْأمْثال، والشِّعْر، والنُّبوَّة، والرَّسائل، والرُّؤْيَا، بِالْإضافة إلى السَّرْد التَّاريخيِّ)، مِمَّا يُبْرِز تِلْك الأصْوات وَوجُهات النَّظر المتعدِّدة اَلتِي تُشكِّل اَلكُلّ. هُنَاك مَلمَس وَعُمق فِي الكتَاب اَلمُقدَّس، مِمَّا يُثير الشُّكوك فِي مَسْأَلة أنَّ شَهَادتَه الذَّاتيَّة دَائرِيَّة مُفْرِطة. إنَّ الاحْتكام إلى الكتَاب اَلمُقدَّس هُو فِي الواقع اِحتِكام إلى اَلوُعود المسجَّلة فِي سِفْر التَّكْوين، وَالتِي تُمِّمَت فِي تَارِيخ إسْرائيل اَلمُسجَّل بَعْد قُرُون، وَالتِي أَلمَح إلَيْهَا وَأَعاد إقْرارهَا الأنْبياء الَّذين كَتبُوا فِي مَا بَعْد، مُطَعَّمَةً بِصَوت دَاوُد اَلشعْرِيِّ والْأقْوال الحكيمة لِسلَيْمان فِي اللَّحظات المناسبة. إنَّه اِحتِكام إلى تَحقِيق العهْد اَلجدِيد لِوَعد العهْد اَلقدِيم وتوقُّعاته فِي سِجلِّ حَيَاة يَسُوع وخدْمَته، وكلماته (وَفِي بَعْض الحالات كلمات خُصومه)، وكلمَات مَن فوَّضَهم مِن المرْسَلين والْمتحدِّثين بِاسْمه.

يَقِف العهْد اَلجدِيد فِي اِتِّصالٍ عميق مع العهْد اَلقدِيم، لَكِن بِإسْهامه اَلمُميَّز. إذ يَحمِل التَّحْقيق فِي طَيَّاتِه مَا هُو أَكثَر مِمَّا قد يُظْهِره الوعْد فِي لَمحَة عَابِرة. مِن اَلمُؤكَّد أنَّ شَخْص يَسُوع اَلمسِيح والْإرْساليَّة الرَّسوليَّة لِلْأمم لَهمَا مَعنى على خَلفِيَّة العهْد اَلقدِيم ولكنَّهمَا يتجاوزانه بِطرقٍ مُهمَّة. فالْواقع أَكبَر وأفْضل وأكْثر إشْراقًا مِن التَّوَقُّع. ويجْمع يَسُوع بِصفته اَلمَسِيَّا عِدَّة خُيُوط مِن وُعُود وَنبُوَّات العهْد اَلقدِيم، وَبذَلِك يتجاوزهَا جميعًا. إنَّه رئيس الكهَنة الأعْظم وَهُو أيْضًا اَلضحِيَّة القربانيَّة؛ هُو اَلمَلِك المنْتصر وَهُو

أيْضًـا العبْـد المتألِّم؛ هُـو اَلنبِيُّ، مِثْل مُوسَـى، اَلذِي يَتكلَّـم بِالْكلمات اَلتِي أعْطاهَـا إِيَّـاه اَللَّـه وَلَكنَّـه أيْضًـا المحْـور الرَّئيسـيُّ لِتلْـك الكلمات ومحْتواهَـا. فِـي العهْـد اَلقدِيـم، تُجتَـذَب اَلأُمـم لِعبـادة اَلـرَّبِّ على جبل صهيون (المَزامِير ٨٦: ٩؛ مِيخَا ٤: ٢؛ إِرْسـالِيَّة فِي طَوْر التَّمرْكز)، بيْنمَـا فِـي العهْـد اَلجدِيـد يُدفَـع تَلامِيـذ يَسُـوع إِلـى أَقاصِـي الأرْض (مَتَّـى ٢٨: ١٨-٢٠؛ أَعمَـال الرُّسـل ١: ٨؛ إِرْسـالِيَّة فِـي طَـوْر الانْـطلاق خُروجًـا مِـن المرْكـز). ومع ذَلِـك، فَإِنَّ الاخْتلافـات اَلتِي يجْلبهَا يَسُـوع إِلـى المشْـهد مَنطقِيَّـة تمامًـا، بـل إِنَّهـا مُتَوقَّعَـة فِـي العهْـد اَلقدِيـم نَفسـه (على سـبيل المثَـال: التَّكْويـن ١٢: ٣؛ يُونان).

فِـي العهْـد اَلجدِيـد أيْضًـا، يُمْكِـن تَمييـز اَلعدِيـد مِـن النَّبـرات والتَّأْكيـدات المميَّـزة. فأصْوَات بُطرُس وبولس ويوحَنَّا ويعْقوب وَكاتِب العبْرانيِّيـن اَلـذِي لَـم يَذكُـر اِسْمه كُلُّهَـا لَهَـا أجْراسـهَا المميَّـزة. يُمْكِـن تَمييـز التَّأْكيـدات الخاصَّـة وأنْمَـاط التَّفْكير المميَّزة بِسـهولة نِسْـبيًّا. إِذ تُوجَـد وَحـدَة غَنيَّـة مِـن التَّرْكيـز والْغَـرض عَبْر العهْـد اَلجدِيـد بِأكْمَله بِالتَّـوازي مـع تَنـوُّع لاَ يُمْكِـن إِنْكاره فِـي التَّعْبيـر والاهْتمـام اَلمُحـدَّد. تُقـدِّم الأناجيـل الأرْبعـة شَـخْصَ يَسُـوع وخدْمَتـه مِـن وُجهـات نظـر مُعَيَّنَـة مـع اِخْتلافـات دَقِيقَـة فِـي الاهْتمـام والتَّرْكيـز بِالـشَّكْل اَلـذِي يتوقَّعـه المـرْء مِن شُـهُود العيَـان فِي أَحدَاثٍ مُمَاثلَة. فَشَـهادَة شُـهُود عيَـان مِـن الرُّسـل عن يَسُـوع (مَتَّى ومرْقـس ويوحَنَّا) تَتَوازَى مـع نَتائِج التَّحْقيـق والْبَحْـث اَلدقِيـق مِـن قِبـل شَـخْص مُرْتَبِـط اِرْتباطًا وثيقًـا بِالرُّسـل (لُوقَـا).[١٩] كَذلِـك كَانَـت لَـدى بُطـرُس مَخـاوِف خَاصَّـة عِنْدمَـا

١٩ يتبـع إنجيـل مرقـس نمـط وَعْـظ بطـرس؛ ومنذ زمـن بابيـاس على الأقلِّ، اعـتُبر ملخَّصًـا لما جمعه بطـرس بشـهادة العيـان عـن حيـاة يسـوع وخدمته. مـن ناحيةٍ أخـرى، كان لوقـا رفيقًا للرسـول بولس في سفره

P. W. Barnett, *Jesus and the Logic of History* (Leicester: Inter-Varsity Press, 1997),

كتـب رَسـائِله، وَلكِـن عِنْدمَـا عَبَّـر عن تِلْـك المخـاوف شَـهِد أيْضًا على أَهَمِّيَّـة كِتابَـات بُولُـس (بُطـرُس الثَّانيـة ٣: ١٦). لاَ يَـزَال مِـن المناسـب تمامًـا التَّحَـدُّث عـن «العهْـد اَلجدِيـد» كَلُحمَـة وَاحِـدة، تمامًـا كمَا هُو اَلْحال عِنْد اَلحدِيث عن «الكتَاب اَلمُقدَّس» أو «الأسْـفار المقدَّسـة»، وَلكِـن مِـن اَلمهِـمِّ أيْضًا أن نُـدْرِك أنَّ أيَّ اِحتِكام إِلـى الكتَاب اَلمُقدَّس هُـو اِحـتِكام إِلـى صَـوْت وَاحِـد شَـامِل بِداخِلـه اَلعدِيد مِـن الأصْوات المتتامَّـة. نـرى هَذِه الظَّاهرة فِي العهْد اَلجدِيد نَفسـه. فقد اِسْـتطَاع يَسُـوع أن يَتَكلَّـم عن كَيفِيَّة تَتمِيم «المَكْتُـوب» (لُوقَا ٤: ٢١؛ ٢٢: ٣٧)، وَلكِـن كمَـا رأَينَـا، يُمْكِنـه أيْضًـا التَّكلُّم عن كلمات مُوسَـى (مَتَّـى ٤: ١-١١) وكلمَـات اَلنبِـيِّ إشـعِياء (مَتَّـى ١٣: ١٤). إذ يَمُـرُّ الوقْـتُ، نَجِـد الرَّسـول بُولُـس يَستشْـهِد أيْضًـا بِكُتَّـاب آخريـن لِكلمـة اَللَّه (رُوميـة ٩: ٢٥، ٢٧، ٢٩) وَلَكنَّـه يَسـأَل أيْضًـا «لأَنَّهُ مَـاذَا يَقُـولُ الْكِتَـابُ؟» (رُوميـة ٤: ٣؛ غَلاطِيَّـة ٤: ٣٠).

ثالثًـا، إنَّ الاحْـتكام إِلى سُـلطَة الكتَـاب اَلمُقدَّس، حَتَّى فِي سِـيَاق اِسْـتعْراض العقيـدة بِشَـأن الأسْـفار المقدَّسـة، وَكمَـا لاَحَـظ نِيكولاس رايـت N. T. Wright، هُـو اِحـتِكام فِـي النِّهايـة إِلى سُـلطَة اَللَّـه.[٢٠] فَإِذَا كان اَللَّه يُخاطبنَا فِي كلمات الأسْـفار المقدَّسـة، فَإِنَّ شَـهَادتَه لِطبيعة

148–49; Richard Bauckham, *Jesus and the Eyewitnesses: The Gospels as Eyewitness Testimony* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2006), 202–38.

٢٠ «لا يمكـن لعبـارة ‹سـلطة الكتـاب المقـدَّس› أن يكـون لهـا مـعنًى مسـيحيٌّ إلاَّ إذا كانـت اختصارًا لـ ‹سـلطة الله الثالـوث›، التي تُمـارَس بطريقـةٍ مـا **عبر** الكتـاب المقدَّس.»

N. T. Wright, *Scripture and the Authority of God* (London: SPCK, 2005), 17.

إنَّني أنحِّي جانبًا مُشكلاتي مع طريقة رايت لصياغة هذا وكيف يطوِّر هذه الفكرة.

D. A. Carson, "Three More Books on the Bible: A Critical Review," *Trinity Journal* ,27 no. 1 (2006): 1–62; reprinted as "Three Books on the Bible: A Critical Review," in Carson, *Collected Writings on Scripture* (Wheaton, IL: Crossway, 2010), 299–300.

الكتَـاب اَلمُقـدَّس ومكانتـه واسْـتخْدامه هِي مَا نسْـمعه فِـي صفحاته. اِعتبَـر جُـون كَالفِـن أنَّ الأسْـفار المقدَّسـة «ذاتيَّـة الاسـتيثاق Self-authenticated» (*autopiston*) وَأكَّـد أنَّ «اَليقِيـن اَلذِي تَسـتحِقُّه مِنَّا يَتَحقَّـق بِشـهادة الـرُّوح اَلقُـدس».[٢١] كمَـا كتـب فِـي الصَّفْحة السَّـابقة (مُـرَدِّدا كلمـات هِيلاري مِـن بُواتييه Hilary of Poitiers، أُسـقُف القرْن الرَّابع):

> إنَّ شَـهادَة الـرُّوح تَمْتـاز فَـوْق كُلِّ اَلمنْطِـق. لِأَنَّـه بِمَـا أنَّ اَللَّـه وَحـدَه هُـو الشَّـاهد المناسـب لِنفْسـه فِـي كَلمَتِـه، كَذلِـك فَإِنَّ اَلكلِمـة أيْضًـا لَـن تَجِـد قبـولاً فِـي قُلُوب النَّـاس قَبْـل أن تُختَم بِالشَّـهادة الدَّاخليَّـة لِلـرُّوح اَلقُـدس. لِذَلـك فَـإِنَّ الـرُّوح نَفسَـه اَلـذِي تَكلَّـم مِـن خِلاَل أَفـوَاه الأنْبيـاء يَجِـب أن يَختَـرِق قُلوبَنَـا لِإِقْناعنَـا بِأنَّهـم أعْلنـوا بِأمانـة مَـا أمـر بِـه اَللَّـه.[٢٢]

إنَّ العقيـدة المسـيحيَّة عـن الكتَـاب اَلمُقـدَّس هِـي حتْمًـا عَقِيدَة كِتابِيَّـة عـن الكتَـاب اَلمُقدَّس. كمَـا كتب جُون وبسـتر John Webster ذات مَـرَّة عـن العقيدة المسـيحيَّة بِـشَكلٍ عامٍّ:

> إنَّ اللاَّهوتَ هُو عملٌ تفْسيريٌّ لِأنَّ مَوضُوعه هُو يَسُوع اَلمسِيح بيْنمَا يُوصِّل إِلَيْنَا ذَاتَه مِن خِلاَل الكتَاب اَلمُقدَّس. وَلذَا فَإِنَّ الاهْتمام بِالْكتاب اَلمُقدَّس لَيْس ضَرورِيًّا فحسْب، بل هُو أيْضًا

21 Calvin, *Institutes*, 1.7.5

22 Calvin, *Institutes*, 1.7.4

الإشـارة هنـا هـي إلى كلمـات هـيلاري مـن بواتييـه *On the Trinity* 1.18: «دعونـا نتنـازل لله عـن معرفتـه بنفسـه، ولنخضـع بكلِّ تواضـع لكلماتـه برهبـة خاشـعة. فهـو شـاهد كـفء لنفسـه لا يعرفـه إلاَّ نفسـه.»

Hilary of Poitiers, *The Trinity*, trans. Stephen McKenna (Washington, DC: Catholic University of America Press, 1968), 18.

-بِالْمعْنى الحقيقيِّ- شرْطٌ كافٍ لِعلْم اللاَّهوتِ، لِأنَّ الكتَاب اَلمُقدَّس نَفسَه لَيْس ضَرورِيًّا فحسْب، وَلَكنَّه كافٍ أيْضًا.[٢٣]

بيْنمَا نَبدَأ بحثَنَا فِي العقيدة المسيحيَّة لِلْكتَاب اَلمُقدَّس، مِن اَلصحِيح والْمناسب أَلاَّ نَكُون كلمات الكتَاب اَلمُقدَّس فِي الخلْفيَّة تُحَفِّزنَا على التَّفَكُّر وَحَسب، بل يَجِب أن نَكُون فِي الصَّدارة حقًّا وصدْقًا. يَجِب اِتِّباع مَسَار الكتَاب اَلمُقدَّس، مِن وَإِلَى اَلمسِيح، إِذَا كُنَّا بِصَدد ضَبْط بحْثنَا اللاَّهوتيِّ بِشَكلٍ صحيح بِواسِطة الكتَاب اَلمُقدَّس. إِنَّ فَهْم مَكانِنا فِي جَدوَل اَللَّه الزَّمَنيِّ، مِن التَّكْوين إِلى الرُّؤْيَا، وَمِن العهْد اَلقدِيم إِلى العهْد اَلجدِيد، وَمِن الوعْد إِلى التَّحْقيق، يحْمينَا مِن إِساءة قِراءة اَلنَّصِّ الكتابيِّ وإِساءة تطْبيقه. بِهَذا المعْنى اَلمهِمِّ، فَإِنَّ اللاَّهوتَ الكتابيَّ هُو اَلرفِيق الضَّروريُّ لِلاهوتٍ نِظاميٍّ أمينٍ ومترابِطٍ وَمقنِعٍ.

عَقِيدَة لاَهوتيَّة عن الكتَاب اَلمُقدَّس

كَتدرِيب فِي عِلْم اللاَّهوتِ النِّظاميِّ، يَجِب أن تَجِد العقيدة المسيحيَّة عن الكتَاب اَلمُقدَّس مُرْتكزهَا النِّهائيَّ فِي شَخْص وَعمَل اَللَّه الثَّالوث. فالتَّعْريف اَلقدِيم لِعلْم اللاَّهوتِ بِأَنَّه «دِراسة اَللَّه وَكُلِّ الأَشْياء المتعلِّقة بِاللَّه» هُو مُتَّصِل هُنَا كمَا فِي أيِّ مَكَانٍ آخر.[٢٤]

23 John Webster, "Reading the Bible: The Example of Barth and Bonhoeffer," in *Word and Church: Essays in Church Dogmatics* (Edinburgh: T&T Clark, 2001), 110.

٢٤ يعود هذا التعريف البسيط إلى الأكويني في أقلِّ الأحوال (*Summa theologica* Ia.1,3) وقد تمَّ تنشيطه في السنوات الأخيرة بواسطة:

John Webster, "On the Theology of the Intellectual Life," in *God without Measure: Working Papers in Christian Theology*, vol. 2, *Virtue and Intellect* (London: T&T Clark, 2016), 141.

لِـذَا مِـن الصَّـوَاب أن نَبـدَأ بِيسـوع اَلمسِـيح، اَلـذِي هُـو فِـي النِّهايـة مِحـوَر وَتحقِيـق هـدف اَللَّـه فِـي اَلخَلق والْفـداء وَتجدِيد كُلِّ الأشْـياء. فَكمَـا أنَّ كُلَّ الأشْـياء تَأتِـي إِلـى اَلوُجود بِواسـطته وتبْلـغ اِكْتمالهَا فِيه، فَإِنَّهَـا لاَ يُمْكِـن أن تُوجَـد مُؤَقَّتًـا بِـشَكلٍ مُسْـتَقِلٍّ عَنْـه. هـذَا يَمتَـدُّ إِلـى الكتَـاب اَلمُقـدَّس بِقَـدر مَـا يَمتَـدُّ إِلـى أيِّ شَـيْء آخـر. مِـن المناسـب إِذًا أن يُكـون لِعقيدتنَـا عـن الكتَاب اَلمُقـدَّس هَذِه اَلصفَـة المتمحْورة حَوْل اَلمسِـيح.

ومـع ذَلِـك، فقـد تمَّ الكشْـف عن يَسُـوع اَلمسِـيح لَنَا فِـي الكتَاب اَلمُقـدَّس بِاعْتبـاره الابْـن اَلحبِيـب لِلْآب والشَّـخْص اَلـذِي يَحـلُّ بيْننَـا بِـشَكلٍ فريـدٍ بِقـوَّة الـرُّوح اَلقُـدس. كُلُّ مَـا يفْعله يَسُـوع وَيقُوله يَنشَـأ فِـي هـذَا السِّـيَاق، وَلـذَا يَجِـب أن تَجِد عقيدتنَـا عن الكتَـاب اَلمُقدَّس أَسَاسـهَا النِّهائـيَّ فِـي كَينُونة وَنَشـاط اَللَّه الثَّالـوث. «فبصفَته آبًـا وابْنًا وروحًـا، يكشِـف اَللَّـه بِحرِّيَّـة عـن كِيانـه وَطرقِـه لِمخْلوقاته كَجُـزءٍ مِن التَّدْبيـر الخلاصيِّ لِلرَّحْمـة الإلهيَّة.»[٢٥]

لاَ يُعلِّـق الكتَـاب اَلمُقـدَّس علـى تَدبِير اَلخَلـق والْفـداء والتَّجْديد مِـن خَارجِـه. فالْكلمـة المكْتوبـة هِـي نَفسُـها جُـزْء مِـن هـذَا التَّدْبيـر: طَبِيعَـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس وخصائصـه ووظيفتـه يَتِـمُّ تحْديدهَـا فِـي نِهايـة المطَـاف مِـن خِلاَل «تَوجُّـه اَللَّـه اَلملِـيء بِالنِّعْمة نَحْـو الخليقة فِـي إِرْسـاليَّات الابْـن والـرُّوح».[٢٦] إِنَّ إِعلاَن اَللَّه عن ذَاتِـه هُو تَعبِير عن

25 John Webster, "The Dogmatic Location of the Canon," in *Word and Church*, 26.
كما يصرُّ ستيفن فاول Stephen Fowl: «يجب فهم الكتاب المقدَّس في ضوء عقيدة الوحي التي تنبع هي نفسها من قناعات مسيحيَّة حول حياة الله الثالوثيَّة».
Fowl, *Theological Interpretation of Scripture* (Eugene, OR: Wipf & Stock, 2009), 13.

26 Brent A. Rempel, " 'A Field of Divine Activity': Divine Aseity and Holy Scripture in Dialogue with John Webster and Karl Barth," *Scottish Journal of Theology* ,73 no. 3

نَفْس التَّمرْكز حَوْل الآخر اَلذِي يُفسِّر عَمله فِي اَلخَلق والْفداء. لَقد خلق اَللَّه البشر لِيعْرفوه وَكشَف عن نَفسِه لَهُم عَبْر تَارِيخ الكتَاب اَلمُقدَّس، وَلكِن بِشَكلٍ كَامِلٍ ونهائيٍّ فِي ابْنِه، بِهَدف اِفتِداء النَّاس لِلاسْتمْتاع بِراحَته. عِلاوةً على ذَلِك، كمَا سَنرَى، فَإِنَّ لِلْكتَاب اَلمُقدَّس كَكلِمة اَللَّه المكْتوبة دوْرًا يَلعبُه فِي حَيَاة شَعْب اَللَّه، وَهُو لَيْس بِالدَّوْر الهامشيِّ أو الثَّانويِّ. فالانْتباه إِلى تَعالِيم الكتَاب اَلمُقدَّس هُو الانْتباه إِلى توْجيهات اَللَّه اَلذِي خلقنَا وافْتدانَا. والابْتعاد عن كَلمَة اَللَّه أو رَفْض الاسْتماع إِلَيْهَا أو بِبساطة عِصْيانهَا سَيكُون لَه عَواقِب وَخِيمَة. هذَا لِأَنَّه، كمَا قال بِيتر جنسن Peter Jensen: «لاَ تُشكِّل الأَسْفار المقدَّسة إِعْلانًا كافيًا عن فِكْر اَللَّه وأَهْدافه فحسْب، بل إِنَّها أَدَاة فَرِيدَة لِعلاقتنَا بِه».[٢٧] هذَا يَعنِي بِبساطة أنَّ الكتَاب اَلمُقدَّس لَيْس **كَلمَة** مَكتُوبة، بل هُو «**كَلمَة اَللَّه**»، وَمرَّة أُخرَى، فَإِنَّ يَسُوع اَلمسِيح نَفسَه هُو اَلذِي يُوَجِّهنَا فِي هذَا الاتِّجاه.

لاَ تَحْتاج العقيدة بِشَأن الكتَاب اَلمُقدَّس اَلتِي تَأْخُذ هذَا النَسَق -مُتمحْورةً حَوْل اَلمسِيح، مُتَشكِّلَةً كِتابِيًّا، ومرْتكزةً على شَخْص وَعمَل اَللَّه الثَّالوثيِّ- أن تَكُون دِفاعِيَّة، قَلقَة بِاسْتمْرار بِشَأن كَلاَم النَّاس ومنْشغلة بِالاهْتمامات الدِّفاعيَّة. بل يُمْكنهَا أن تَكُون أَكثَر ثِقة مِمَّا كان علَيْه اَلْحال فِي كثيرٍ مِن الأَحْيان، إِذ تَتَبنَّى إِحْدى المُسلَّمات اَلمهِمَّة لِعَصر الإِصْلاح ومَا بُعدُه، وَالتِي يُمْكِن صِياغتُهَا

(2020): 204.

27 Peter F. Jensen, "God and the Bible," in *The Enduring Authority of the Christian Scriptures*, ed. D. A. Carson (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2016), 478.

هَكـذَا: «يَهتَـمُّ اللاَّهـوتُ بِـالْإِعْلان أَكثَـر مِـن الاهْتمـام بِالْإِثْبـات».[٢٨] فالسُّـؤال المبْدئـيُّ لَيْـس **مَـا إِذَا** كان اَللَّـه قـد جعـل نَفسَـه مَعرُوفًـا بِكلمَـاتٍ بَشَـريَّة أو حَتَّى **مَـا إِذَا كان مُمْكِنًا** لَه أن يَجعَل نَفسَـه مَعرُوفًا بِـكلامٍ بَشـرِيٍّ، **بـل فِـي الحقيقـة مَـا يَنطَـوِي علَيْـه** إِعلاَن اَللَّـه عـن نَفسِـه بِكلمَـاتٍ بَشَـريَّةٍ. هـذَا لاَ يَعنِـي أَنَّـه يَجِـب تَجاهُـل التَّحدِّيـات المخْتلفـة المطْروحـة أَمَـام العقيـدة المسـيحيَّة أو التَّغاضـي عَنهَـا بِسـرْعةٍ، كمَـا لَـو كَانَـت غَيْـر جَـادَّة أو مُهمَّـة. لَكِـن تِلْـك التَّحدِّيـات لاَ تُـشكِّل العقيـدة. فعلْـم اللاَّهوتِ النِّظامـيِّ والدِّفاعيِّ هُمَـا تخصُّصَان مُترابطـان ولكنَّهمَـا مُتمايـزان.

لِهَـذه الأَسْـباب، عِنْدمَـا نَنتَقِـل إِلـى مِثْـل هـذَا «الاسْـتعْراض» لِلْعقيـدة المسـيحيَّة بِشَـأن الكتَـاب اَلمُقـدَّس، فَإِنَّنَـا لاَ نَبـدَأ عِنْـد البدايـة ولاَ حَتَّـى النِّهايـة بل فِي الوَسَـط، عِنْد شَـخْص وكلمَات وَعمِل يَسُـوع اَلمسِـيح، اِبْـن اَللَّـه المتجسِّـد وَمخلِّـص العالـم.

٢٨ بالمعنى الحرفيِّ للكلمة: «اللاهوت ليس برهانيًّا، بل هو ممارسةٌ استعراضيَّة.»
Richard A. Muller, *Dictionary of Latin and Greek Theological Terms Drawn Principally from Protestant Scholastic Theology* (Grand Rapids, MI: Baker, 1985), 303.

١

يَسُوع والْكتَاب اَلمُقدَّس

نُقطَة البداية المسيحيَّة لِفَهم الوحْي والْكتَاب اَلمُقدَّس

إِنَّ مِحوَر إِعلاَن اَللَّه عن نَفسِه هُو يَسُوع اَلمسِيح. إِنَّ اَللَّه اَلذِي خلَقَ كُلَّ الأَشْياء وَيحمِل كُلَّ الأَشْياء قصدَ دائمًا أن يُعْلِن شَخصَه وكيانه وإرادته ومقاصده بِشَكلٍ أَوضَح وأكْمَل فِي اِبْنِه وَمِن خِلاَل اِبْنِه.

لَم يَكُن اَللَّه بِالطَّبْع مُجْبَرًا على الإِعْلاَن عن نَفسِه. فالشَّركة الأبديَّة لِلْآب والابْن والرُّوح مُكتفيَة ذاتيًّا تمامًا ولاَ تَحْتاج إِلى أحد. فَهُو الحيَاة الوحيدة المسْتقلَّة حقًّا. إِذ إِنَّ لَديْه «حَيَاة فِي ذَاتِه» كمَا قال يَسُوع (يُوحنَّا ٥: ٢٦). ومع ذَلِك، فَإِنَّه مِمَّا يُمثِّل اِتِّفاقًا تامًّا مع شخْصيَّته بِاعْتباره إِلَهًا جوَّادًا بِذاته ومتواصلاً بِذاته أَنَّه فِي تِلْك اَلشرِكة الأبديَّة الوجوديَّة يَخْتار أن يَجعَل نَفسَه مَعرُوفًا لِمخْلوقاته. على حدِّ تَعبِير كِفِن فانهوزر Kevin Vanhoozer: «لاَ شَيْء يَتَوافَق مع طَبِيعَة اَللَّه أَكثَر مِن خُروجه مِن ذَاتِه بِمقْتَضى

المحَبَّـة؛ مُحَقِّقًـا التَّواصـل مِـن أَجْـل اَلشـركة».[1] عِلاوةً علـى ذَلِك، مِن المناسـب تمامًـا أن يَتَواصَـل مَعنَـا اَلآب مِـن خِلاَل اِبْنِـه فِـي المقَـام الأَوَّل. فَكمَـا اِعتـرَف الرَّسـول بُولُس لِأَهل كُولوسِّـي: «الَّـذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْـرِ الْمَنْظُـورِ، بِكْـرُ كُلِّ خَلِيقَـةٍ. فَإِنَّـهُ فِيـهِ خُلِـقَ الْكُلُّ: مَـا فِـي السَّـمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَـوَاءٌ كَانَ عُرُوشًـا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَـاتٍ أَمْ سَلاَطِيـنَ. الْكُلُّ بِـهِ وَلَـهُ قَدْ خُلِقَ» (كُولوسِّـي ١: ١٥-١٦). يُفسِّـر التَّفَـرُّد الموْجـود فِـي عَلاقَـة الابْن بِالْخليقـة فِي إِطَار مَقاصِـد اَللَّـه الأبديَّة سببَ كَونِه الشَّـخْص اَلذِي تَجسَّـد (وليْس اَلآب أو الـرُّوح)، وَلَكنَّـه يُفسِّـر أيْضًـا سـبب كَونِه اَلسـبِيل المناسـب لِإِعْلاَن اَللَّـه الكامـل والنِّهائيِّ عـن نَفسِـه. كان الرَّسـول يُوحنَّـا يَطـرَح نَفْـس المفْهـوم بِكلمَـاتٍ مُختلفَة:

> فِـي الْبَـدْءِ كَانَ الْكَلِمَـةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْـدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ. هـذَا كَانَ فِـي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ. كُلُّ شَـيْءٍ بِـهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَـيْءٌ مِمَّـا كَانَ. [...] وَالْكَلِمَـةُ صَـارَ جَسَـدًا وَحَـلَّ بَيْنَنَـا، وَرَأَيْنَـا مَجْـدَهُ، مَجْـدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِـنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَـةً وَحَقًّا. [...] اَللهُ لَـمْ يَـرَهُ أَحَـدٌ قَـطُّ. اَلابْـنُ الْوَحِيـدُ الَّـذِي هُـوَ فِـي حِضْـنِ الآبِ هُـوَ خَبَّـرَ. (يوحنَّـا ١: ١-٣، ١٤، ١٨)

مُنْـذ البدايـة، قَصْـد اَللَّه أن يَكُـون الابْن فِي صميـم تعاملاته مع الخليقة. فكوْنه اَللَّه الابْن المتجسِّـد، فَإِنَّ يَسُـوع اَلمسِيح هُو اَلوسِيط اَلوحِيـد بَيْـن اَللَّـه والْإِنْسـان (تِيموثـاوس اَلأُولـى ٢: ٥). هـذَا لاَ يَعنِـي أنَّ اَللَّـه لَـم يَكُـن أو لاَ يُمْكِـن أن يَرتَبِـط بِالْخليقـة قَبْـل مجيء يَسُـوع.

---

1 Kevin J. Vanhoozer, *Remythologizing Theology: Divine Action, Passion, and Authorship* (Cambridge: Cambridge University Press, 2010), 271.

ومـع ذَلِـك، بِملاحظـة نِهائِيَّـة وإشـارة إلى فَتـرَةٍ طَويلَةٍ مِن الاسْـتعْداد والتَّرقُّـب، كتـب كَاتِـب العبْرانيِّيـن: «اَللهُ، بَعْدَ مَـا كَلَّمَ الآبَـاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًـا، بِأَنْـوَاعٍ وَطُـرُق كَثِيـرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هـذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيـرَةِ فِي ابْنِهِ» (١: ١-٢). مُنْـذ أَن «نُطِقَـت» تِلْـك اَلكلِمة الأخيرة، لَـم يَعُد هُنَاك رُجُوع إلـى الـورَاء، كمَـا لَـو أنَّ الابْـن لَـم يَـأْتِ ولـم يُجسِّـد مَـلْء إعلاَن اَللَّه وَقصـده. إنَّـه هُـو الطَّريقـة اَلتِـي نَعـرِف بِهَـا اَللَّـه وكيْـف يَرتَبِـط اَللَّـه بِكلِّ الأشْـياء. وَهُـو السَّـبب وَرَاء وُجُـود عِلْـم اللاَّهـوتِ. فمـن خِلالـه نَتَمكَّـن مِـن رُؤيَـة كُلِّ مَـا جـاء قَبلَه فِـي ضَوْء وُجْهتـه الصَّحيحـة، وَكُلِّ مَـا جـاء بَعـدَه فِي ضَـوْء حَياتِـه وَعمَلِه ومسْـتقْبله.

إنَّ عَلاقَـة الابْـن الفريـدة **بِالْخليقـة** هِـي السَّـبب فِـي أَنَّـه يليـق بِـه أن يَكُـون هُـو مَـن يُعرِّفنَـا بِاللَّـه. لَكِـن عَلاقَـة الابْـن الفريـدة **بِـالْآب** هِـي السَّـبب اَلـذِي يجْعلـه قـادرًا بِـشَكلٍ فَعَّـالٍ على تَعرِيـف المخْلوقـات بِـالْآب.[٢] لَقـد أَوضَـح يُوحنَّـا هَـذِه النُّقْطـة بِإشـارته إلـى «اَلابْـن[٣] الْوَحِيـدُ الَّـذِي هُـوَ فِـي حِضْـنِ الآبِ هُـوَ خَبَّـر» (يُوحنَّـا ١: ١٨). كان يَسُـوع نَفسـه يُصِـرُّ علـى أَنَّـه «لَيْـسَ أَحَـدٌ يَأْتِـي إِلَـى الآبِ إِلاَّ بِـي» (يُوحنَّـا ١٤: ٦)، ثُـمَّ يُؤكِّـد صِحَّـة هـذَا الادِّعـاء مِـن خِلاَل الإشـارة مَـرَّة أُخـرَى إلـى العلاقـة الفريـدة المُطْلقـة اَلتِـي تَربطُـه بِـالْآب: «أَنِّـي فِـي الآبِ وَالآبَ فِـيَّ» (يوحنَّـا ١٤: ٩-١١). يَصِيـغ هـذَا بُولُـس بِلغتـه حِيـن يَقُـول: «فِيـهِ يَحِـلُّ كُلُّ مِـلْءِ اللاَّهُـوتِ جَسَـدِيًّا» (كولوسِّـي ٢: ٩)؛ وَفِـي رِسـالة كَاتِـب العبْرانيِّيـن: «هُـوَ [...] رَسْـمُ

٢ يربـط كِفِـن فانهـوزر بين هذيـن الأمريـن عندمـا كتب: «الابـن هو النقطـة المحوريَّة للحـوار داخل الثالـوث وكـذا بين الله والإنسـان أيضًا»

Vanhoozer, *Remythologizing Theology*, 270.

٣ الترجمـة الأقـرب إلى النـصِّ الأصليّ هنـا قد تكون «الوحيد الذي هـو الله»، المخطوطات التي تذكر كلمـة الابـن تضعها هكذا: «الله الابن الوحيـد»؛ (المُترجِم).

جَوْهَـرِهِ» (١: ٣). رُبَّمَـا تَكُـون الشَّـهادة الحاسـمة، وَإِن كَانَـت مَـرَّة أُخـرَى مِـن شَـفتَي يَسُـوع، لَكِـن هَـذِه المـرَّة هِـي اَلتِي سـجَّلهَا مَتَّـى: «كُلُّ شَـيْءٍ قَـدْ دُفِـعَ إِلَـيَّ مِـنْ أَبِـي، وَلَيْـسَ أَحَـدٌ يَعْـرِفُ الابْـنَ إِلاَّ الآبُ، وَلاَ أَحَـدٌ يَعْـرِفُ الآبَ إِلاَّ الابْـنُ وَمَـنْ أَرَادَ الابْـنُ أَنْ يُعْلِـنَ لَـهُ» (متَّـى ١١: ٢٧).

إِنَّـه لأَمْـرٌ بَالِـغ الأهمِّيَّـة، ومؤثِّـر لِلْغايـة، أنَّ تَتبَـع هَـذِه الكلمـات فـوْرًا دَعـوَة يَسُـوع: «تَعَالَـوْا إِلَـيَّ يَـا جَمِيـعَ الْمُتْعَبِيـنَ وَالثَّقِيلِـي الأَحْمَـالِ، وَأَنَـا أُرِيحُكُـمْ» (متَّـى ١١: ٢٨). إِنَّ اَلمجِـيء إِلـى يَسُـوع هُـو بِمثابـة اَلمجِـيء إِلـى اَلآب. وقـد أَوضَـح أنَّ أُولئـك الَّذيـن رَفضُـوا اَلمجِـيء إِلـى يَسُـوع فَعلُـوا ذَلِـك لِأَنَّهـم لَـم يعْرفـوا أبـاه (يُوحنَّـا ٧: ٢٨). مِـن بَيْـن النَّتائـج الهائلـة المترتِّبـة علـى هَـذِه الحقيقـة هُـو كَـوْن مَوقِـف يَسُـوع تُجَـاه الرِّجَـال والنِّسـاء، والْعالـم، وَحتَّـى الكتَاب اَلمُقـدَّس هُـو اَلموْقِـف اَلـذِي يُوصينَـا بِـه اَللَّـه. فَمـرَّة أُخـرَى يُمْكننَـا أن نـرى لِمـاذَا يَجِـلُّ يَسُـوع -بِهويَّتـه ومَـا عَملَـه ومَـا قَالَـه- بِجـدارة فِـي صميـم عقيدتنَـا عـن الكتَـاب اَلمُقـدَّس.

إِذًا، مَـا هُـو مَوقِـف يَسُـوع مِـن الكتَـاب اَلمُقـدَّس؟ تُزَوِّدنَـا الأناجيـل بِشـهادة وَافِـرة عـن الكيْفيَّـة اَلتِـي نظـر بِهَـا يَسُـوع إِلـى العهْـد اَلقدِيـم واسْـتخْدمه، بِالْإِضافـة إِلـى كَيفِيَّـة تعاملـه مـع كلمـات المتحدِّثيـن بِاسْـمه؛ أيْ الرُّسـل.

المُحْتكَم اَلأخِير فِي أُمُور الإيمان والسُّلوك بِه

بـدأ يَسُـوع خِدْمتـه العامَّـة بَعْـد معْموديَّـة يُوحنَّـا المعْمـدان

وتجْربتـه فِـي البرِّيَّـة. مِـن اَلجدِيـر بِالذِّكْر أَنَّه فِـي كِلْتَا الوقْعتيْـنِ، عِنْد المعْموديَّـة وَفِـي طَرِيقِه إِلـى البرِّيَّة، كان الرُّوح اَلقُـدس عاملاً، وَكَانت المسْـألة الرَّئيسـيَّة اَلتِـي طَرَحتهَـا السَّـرْديَّة هِـي هُويَّـة يَسُـوع بِاعْتباره اِبْـنَ اَللَّـه (مَتَّـى ٣: ١٦–١٧؛ ٤: ١، ٣، ٦). بِهَـذه الطَّريقـة يَتِـمُّ لَفْـت اِنْتباهنَـا إِلـى أَهَمِّيَّـة هَـذِه الأَحْـداث. إِنَّ تَحدِيد يَسُـوع علـى أَنَّه الابْن اَلحبِيـب والشَّـخْص اَلـذِي أتـى لِيفْعـل إِرادة أبيـه هُو شَـيْء يَتَّحِد فِيه اَلآب والابْـن والـرُّوح بِـشَكلٍ لاَ يَنفَصِـم. فَلقَـد أَعلَـن اَلآب نَفسُـه أَنَّ يَسُـوع هُـو اِبْن اَللَّه، وَشـهِد على ذَلِك بِمسْـحة الـرُّوح وَعمَلِه القياديِّ.

إِنَّ التَّجْربـة فِـي البرِّيَّـة هِـي إِحْـدى أُولَـى الإظهـارات العظيمـة لِموْقـف يَسُـوع مِـن أَسـفَار العهْـد اَلقدِيـم المقدَّسـة. فَهِـي تَعكِـس تَجرِبـة إِسْـرائيل فِـي البرِّيَّـة بَعْـد اَلخُـروج، والْأَهـمُّ مِـن ذَلِـك تَجرِبـة آدم وَحَـوَّاء فِـي جَنَّـة عَـدْن. هـل سَـيثِق يَسُـوع بـأنَّ كَلمَـة اَللَّـه هِـي كَلمَـة صَالِحـة؟ هـل سـيولي الانْتبـاه الواجـب لِتلْـك اَلكلِمـة مُقاوِمًـا التَّلاعـب بِهَـا وتحْريفهَـا لِصالـح أَجِندَة أُخـرَى؟ يَحدُث هـذَا الامْتحان فِـي أَعقَـاب مجـيء صَوْتٍ مِن السَّـمَاء يُعْلِـن: «هذَا هُوَ ابْنـي الْحَبِيبُ الَّـذِي بِـهِ سُـرِرْتُ» (متَّـى ٣: ١٧). لِذَلـك لَيْـس مِـن اَلغرِيـب أن يَبـدَأ التَّحَـدِّي مِـن اَلمُجـرِّب قـائلاً «**إِنْ** كُنْتَ ابْـنَ اللهِ...» (متَّـى ٤: ٣). وَهُو التَّكْتيـك نَفسُـه اَلـذِي اِسْـتخْدمه اَلمُجـرِّب فِـي الجنَّـة: إِلقَـاء ظِلاَل اَلشَّـكِّ على الكلمـات اَلتِي قالهَـا اَللَّه، وَهُـو مَا يَنطَوِي على التَّشْـكيك فِـي دَافِـع اَللَّـه حِيـن نطـق بِهَـذه الكلمـات، وَفِي النِّهايـة اِقتِـراح كَلمَة بَدِيلَـة وَمَسـار بديل لِلتَّصَرُّف. هل سَـيثِق يَسُـوع بِاَلكلِمة اَلتِي سَـمِعهَا عِنْدمَـا قـام خارجًـا مِـن نَهْـر اَلأُردنِّ؟ وَإِلَـى أَيْـن يَتَّجِـه عِنْدمَـا تَتَعرَّض تِلْـك اَلكلِمـة لِلْهجوم؟

لَقد فَشِل كُلٌّ مِن آدم وَحَوَّاء وَبَنِي إِسْرائيل فِي البرِّيَّة فِي اِختِبار اَلثقَة بِالْكلمة اَلتِي أَعْطاهَا لَهُم اَللَّه. لَقد اِسْتسْلموا لِلشَّكِّ فِي صَلاَح كَلمَة اَللَّه ووضعوا ثِقتهم فِي كَلمَة أُخرَى. ومع ذَلِك، فِي كُلِّ مَرَّة، اِحتكَم يَسُوع إِلى اَلكلِمة المكْتوبة لِيَردَّ على مَزاعِم اَلمُجرِّب وإساءة اِسْتخْدامه لِلْكتَاب اَلمُقدَّس: فَأَجابَه ثَلاَث مَرَّات: «مَكْتُوبٌ...». مِن الواضح أَنَّه بِالنِّسْبة لِيسوع، فَإِنَّ الكلمات المكْتوبة اَلتِي اِقْتبسهَا حَسمَت المسْألة المطْروحة. فَقَد لَجأ إِلى أَسفَار العهْد اَلقدِيم لِيثْبتَ أَنَّ كَلاَم اَللَّه يُغذِّي حَيَاة الإيمان، وأَنَّ تَجرِبة اَللَّه تُعَادِي هذَا الإيمان، وأَنَّ اَللَّه نَفسَه هُو الهدف الحقيقيُّ اَلوحِيد لِلْإيمان والْعبادة. بِبساطة، تَكشِف كلمات الكتَاب اَلمُقدَّس مَا هُو حقٌّ بِالْحقيقة. فَهِي تُحدِّد طَبِيعَة الاسْتجابة الأمينة لِشَخص يَعرِف اَلآب.

كان هذَا الاحْتكام إِلى الكلمات المكْتوبة فِي الكتَاب اَلمُقدَّس نموذَجًا مُعْتادًا فِي خِدْمَة يَسُوع. هَكذَا حَسْم الكتَاب اَلمُقدَّس مَسْأَلة هُويَّة يُوحنَّا المعْمدان (مَتَّى ١١: ١٠). وَكذَلِك كَشَفَ الكتَاب اَلمُقدَّس مَا كان يَحدُث فِي الهيْكل، حَيْث أَنشَأ التُّجَّار والصَّيارفة «مَغَارَةَ لُصُوصٍ» (متَّى ٢١: ١٣). كمَا أَنبَأ الكتَاب اَلمُقدَّس بِسلوك التَّلاميذ لَيلَة خِيانة يَسُوع (مَتَّى ٢٦: ٢٤، ٣١). وعنْدَمَا سُئِل يَسُوع بِشَأن سُلُوك تلاميذه، اِحتكَم إِلى مَا هُو مَكتُوب عن دَاوُد ورجاله فِي الكتَاب اَلمُقدَّس (مَتَّى ١٢: ٣). وَفِي خِضمِّ النِّقَاش مع الفرِّيسيِّين بخصوص أَسبَاب الطَّلاَق، وَجَّهَهم يَسُوع إِلى مَقصد اَللَّه مُنْذ البداية، مُسْتشْهدًا بِكلمَات التَّكْوين ٢: «لِذلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا» (الآية ٢٤).

فِي إِحْدى المرَّات، عِنْدمَا جاء خبيرٌ فِي الشَّريعة اليهوديَّة لِيخْتَبر يَسُوع بِسؤاله: «مَاذَا أَعْمَلُ لأَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ؟» (لوقا ١٠: ٢٥)، كان أَوَّل مَا اِحتكَم إِلَيه يَسُوع مَرَّة أُخرَى هُو مَا كُتِبَ فِي الكتَاب اَلمُقدَّس. فسأله يَسُوع: «مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي النَّامُوسِ؟ كَيْفَ تَقْرَأُ؟» (لوقا ١٠: ٢٦). فَرَدَّ خبير الشَّريعة بِتلاوةِ مُلخَّصٍ لِلنَّاموس فِي بُعْديْه، وَهمَا مزيج مِن الكلمات المأْخوذة مِن سِفْر التَّثْنية واللاَّويِّين: «تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَقَرِيبَكَ مِثْلَ نَفْسِكَ» (لوقا ١٠: ٢٧). ثُمَّ أَكَّد يَسُوع إِجابَته وَعزَّز هَذِه النُّقْطة بِمَثَلِه عن السَّامريِّ الصَّالح. فَكشَف هذَا المَثَل المسافة بَيْن الاعْتراف الشَّفَهيِّ لَدى خبير الشَّريعة وسُلوكِه. بِالنِّسْبة لِيسوع، فَإِنَّ مَسائِل الإيمان والتِّلْمذة الأمينة تَحلُّهَا كَلمَة اَللَّه.

الاحْتكام إِلى الكتَاب اَلمُقدَّس بِاعْتباره سِيَاق فَهْم يَسُوع لِذاته وخدْمَته

مِن اَلأُمور ذات الأهمِّيَّة الخاصَّة هِي الطَّريقة اَلتِي اِحتكَم بِهَا يَسُوع إِلى العهْد اَلقدِيم لِدَعم هُويَّته وَشرَح خِدْمته. فِي وَقْتٍ مُبكِّر جِدًّا مِن خِدْمته، وَفِي رِواية لُوقَا بَعْد التَّجْربة فِي البرِّيَّة مُبَاشرَةً، حضر يَسُوع مَجمَع النَّاصرة وَقرَأ مِن سفر إِشعِياء اَلنبِيِّ. وَقَال عِنْدمَا جلس: «إِنَّهُ الْيَوْمَ قَدْ تَمَّ هذَا الْمَكْتُوبُ فِي مَسَامِعِكُمْ» (لوقا ٤: ٢١). كان يَسُوع يمركز مَوقِع خِدْمته على خَلفِيَّة اَلوُعود المسيَّانيَّة لإِشعياء ٦١. فأخيرًا، أَرسَل اَللَّه الشَّخْص اَلذِي سَيعلِن الأَخْبار السَّارَّة والْحرِّيَّة والشِّفاء وَسنَة اَلرَّبِّ المقْبولة.

وهكـذَا مُنْذ البداية فَهِم يَسُـوع كُلَّ مَـا كان يفْعله على أَنَّه تَحقِيقٌ لِمَـا وعـد بِـه الكتَـاب اَلمُقـدَّس. لَـم يَكُن هـذَا النَّمـطُ اَلْعـامُّ اَلْخاصُّ بِالتَّحْقيـق مُجـرَّدَ تعْليقـاتٍ تحْريريَّـةٍ قـد أَضَافهَا كُتَّـاب الأناجيل (كمَا فِـي مَتَّـى ١: ٢٢؛ ٢: ١٥؛ ٨: ١٧؛ يُوحنَّـا ١٩: ٢٤، ٢٨؛ إِلـخ) أو فِـي تَعلِيـقٍ لاَحِـقٍ مِـن قِبَـل الرُّسـل (كمَـا فِـي أَعمَـال الرُّسـل ١: ٦؛ ٣: ١٨؛ ١٣: ٢٧، ٣٣؛ إِلـخ). بِالْأَحْـرى، نَجِـد هـذَا النَّمـط اَلْعـامَّ مِـرارًا وتكْـرارًا على شَـفتَي يَسُـوع. فَقْـد بـدأ خِدْمتـه الأَرْضيَّـة بِالْوَعْـظ قـائلاً: «قَـدْ كَمَـلَ الزَّمَـانُ وَاقْتَـرَبَ مَلَكُـوتُ اللهِ، فَتُوبُوا وَآمِنُـوا بِالإِنْجِيلِ» (مرقُس ١: ١). وَلخَّـص خِدْمتـه فِـي التَّعْليـم على أَنَّهَـا لاَ تَنقُـض النَّامـوس والْأَنْبياء بـل تُتَمِّمهَـا (مَتَّـى ٥: ١٧). بـل وَحتَّـى الاسْـتجابات المخْتلفـة لِلْكلِمـة اَلتِـي «زرعهَـا» كَانَـت إِتْمامًـا لِلنُّبوَّات (مَتَّـى ١٣: ١٤، مُقتبِسًـا إشـعِياء ٦: ٩-١٠).

لَـم يَتَعامَـل يَسُـوع مـع تَتمِيـم الكتَـاب اَلمُقـدَّس على أَنَّـه مُجرَّد تأْكيـدات عَرضِيَّـة أو ثَانويَّـة لِأهمِّيَّـة مَـا جـاء مِـن أَجلِـه. بـل خَاصَّـةً فِـي مَـا يَتَعلَّـق بِموْتـه وقيامتـه، كَانَـت هُنَـاك ضَـرُورَة إِلهيَّـة مُعَيَّنَـة لِلْأَحْـداث اَلتِـي كَانَـت تَتَكشَّـف أن تَكُـون مُرتبطَـة بِكلمَـات العهْـد اَلقدِيـم. فِـي حَديثِـه مـع نِيقوديمـوس، قـال لَـه يَسُـوع: «وَكَمَـا رَفَـعَ مُوسَـى الْحَيَّـةَ فِـي الْبَرِّيَّـةِ هكَـذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَـعَ ابْنُ الإِنْسَـانِ» (يوحنَّا ٣: ١٤). رأى يَسُـوع نَفسَـه على أَنَّـه الشَّـخْص اَلـذِي كَانَـت تُشير إِلَيـه تِلْـك الواقعـة الغريبـة فِـي تَارِيخ إِسْـرائيل طَـوَال الوقْـتِ. فمثْلَمَا لَم يَسـتَطِع الإِسْـرائيليُّون إِنقَاذ أَنفسِـهم ولكنَّهم اِحْتاجوا إِلـى النَّظر إِلى الحيَّـة النُّحاسـيَّة لِكـيْ يحْيـوا؛ هَكـذَا يُدبِّر اَللَّه وَسِـيلَة الإِنْقـاذ والْحياة لِمواجهـة دِينونتـه (العـدد ٢١: ٤-٩)؛ لِـذَا الآن، عِنْدمَـا جـاء تَدبِير اَللَّه

لِلْخلاَص الكامل والنِّهائيِّ، يَجِب على أُولئك الَّذين سَيتِمُّ خلاصهم أَلاَّ يَنظُروا إِلى أَنفسِهم بل إِلى «اِبْن الإِنْسان». ومع ذَلِك، لِكيْ يَحدُث هذَا، يَجِب أن «يُرفَع» اِبْن الإِنْسان هذَا.

قَبْل إِلقَاء القبْض عليْه فِي البسْتان، سعى يَسُوع إِلى إِعدَاد تلاميذه لِمَا كان سيحْدث مِن خِلاَل التَّكَلُّم بِتلْك اَللغَة. فِي عَشائِهِ اَلأخِير مع التَّلاميذ، شَرَحَ مَا كان على وَشك اَلحُدوث فِي الإِطَار اَلذِي قَدَّمَه عِيد الفصْح والْخروج مِن مِصْر المسجَّلان فِي سِفْر اَلخُروج، وَكذَلِك نُبوَّة إِرْميَا بِشَأن العهْد اَلجدِيد. بيْنمَا كان يَسُوع يَتَشارَك اَلخُبز والْخَمْر بِالطَّريقة المعْتادة اَلتِي يَتَذكَّر بِهَا اليهود عِيد الفصْح كُلَّ عامٍ، قال: «خُذُوا كُلُوا. هذَا هُوَ جَسَدِي» و«هذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا» (متَّى ٢٦: ٢٦، ٢٨). كان مَقصُودًا لِموْته أن يَكُون موْتًا بدليًّا، مِثْل مَوْت خَرُوف الفصْح (اَلخُروج ١٢).[٤] كان مَوتُه لِإِحْدَاث الخلاَص، تمامًا كمَا حدث فِي اَلخُروج مِن مِصْر (اَلخُروج ١٥).[٥] كان مَوتُه ختْمًا لِعَهد اَللَّه اَلجدِيد، بِبركة مَركزِيَّة تَتَمثَّل فِي مَغفِرة الخطايَا (إِرْميَا ٣١).

كان يَسُوع (وليْس فقط أَتْباعه الَّذين يُعيدون التَّأَمُّل فِي هَذِه الأَحْداث) هُو مَن أَشَارَ إِلى تَفاصِيل مَوتِه وقيامته كَتحقِيق لِكلمَات الكتَاب اَلمُقدَّس. كان الكتَاب اَلمُقدَّس (المزامير ٤١: ٩) هُو اَلذِي تَنبَّأ بِخيانة أحد تلاميذه (يُوحنَّا ١٣: ١٨). كمَا تَكلَّم الكتَاب اَلمُقدَّس

٤ في وقتٍ لاحقٍ، قالَ الرسول بولس هذا صراحةً في كورنثوس الأولى ٥: ٧.

٥ في الواقع، عند التجلِّي، سُمع موسى وإيليَّا بينما يناقشان مع يسوع «الخروج» الذي كان على وشك تحقيقه في أورشليم (لوقا ٩: ٣١).

(المزامير ٣٥: ١٩؛ ٦٩: ٤) عن الكراهية غَيْر المبرَّرة اَلتِي سَتكُون دَافِع أُولئك الَّذين تحرَّكوا ضِدَّه (يُوحنَّا ١٥: ٢٤). هَكذَا تَنبَّأ اَلنبِيُّ إشعِياء (٥٣: ١٢) بِأنَّ العبْد المتألِّم «أُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ» (لُوقَا ٢٢: ٣٧). ولاَ عجب أَنَّه بَعْد القيامة، فِي حديث مع التِّلْميذَيْنِ اللَّذَيْنِ كَانَا مُسافريْنِ على طريق عِمْواس، قال يَسُوع: «أَيُّهَا الْغَبِيَّانِ وَالْبَطِيئَا الْقُلُوبِ فِي الإِيمَانِ بِجَمِيعِ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الأَنْبِيَاءُ! أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ بِهذَا وَيَدْخُلُ إِلَى مَجْدِهِ؟» (لوقا ٢٤: ٢٥-٢٦؛ انظر أيضًا ٤٦). وعنْدَمَا أَخبَر الفرِّيسيِّين أنَّ الكتَاب اَلمُقدَّس يَشهَد عَنْه (يُوحنَّا ٥: ٣٩)، لَم تَكُن الشَّهادة بَسِيطَة مِن قبيل المعْنى اَلْعامِّ، وَلكِن بِتفاصيل مَا جاء لِيكونه ويفْعَله. ومع ذَلِك فقد فَهِم أيْضًا أنَّ هُنَاك هدفًا مَركزِيًّا مُوَحِّدًا لِكلِّ العهْد اَلقدِيم: الشَّهادة لِمَا كان اَللَّه يفْعله فِيه وَمِن خِلاله. لِذَلك، على نَحْوٍ مَعرُوفٍ جيِّدًا، فِي اَلطرِيق إِلى عِمْواس، عَلَّم يَسُوع التِّلْميذيْنِ «اَلأُمورَ المُخْتَصَّةَ بِهِ» مِن جميع الأسْفار المقدَّسة (لُوقَا ٢٤: ٢٧). لِذَا يَتَطلَّب فَهْم واتِّبَاع يَسُوع بِالضَّرورة الانْتباه اَلدقِيق لِكلمَات العهْد اَلقدِيم.

تَعرِيف يَسُوع لِلْكتَاب اَلمُقدَّس على أَنَّه كَلمَة اَللَّه

تَعامَل يَسُوع مع العهْد اَلقدِيم على أَنَّه كَلمَة اَللَّه اَلتِي يَجِب أن توجِّه حَيَاةَ شَعبِه. لَكِن هل قَدَّم تعْرِيفًا مُباشِرًا لَه على هذَا النَّحْو؟ لَقد تَكلَّم بِالتَّأْكِيد عن كلماته على أَنَّهَا كلمات أعْطاهَا لَه أبوه (يُوحنَّا ٨: ٢٨؛ ١٢: ٤٩؛ ١٧: ٨، ١٤). هَكذَا استَشهَد بِكلمَاتٍ مِن العهْد اَلقدِيم -كلمات لَيسَت فِي سِياقِهَا كَلاَم اَللَّه مُبَاشرَةً، بل هِي مُلخَّص الكاتب البشَريِّ لِمضْمونهَا- ككلمَات قالهَا اَللَّه،

وبالتَّالي فَهِي تَحمل سُلْطان اَللَّه (التَّكْوين ٢: ٢٤؛ مَتَّى ١٩: ٤-٥). ومع ذَلِك، كان أَكثَر صَراحَةً فِي عِدَّة مُناسبات أُخرَى. فَفِي نِقَاش مع الفرِّيسيِّين بشأن تَقلِيد جَلْب التَّقْدِمات، وَهُو تَقلِيدٌ يَهودِيٌّ سمح بِأن تُبْطِل النُّذورُ الدِّينيَّة الواجبات تُجَاه الوالديْنِ، استَشهَد يَسُوع بِالْوصيَّة الخامسة مِن اَلخُروج ٢٠: ١٢، واتَّهم الفرِّيسيِّين بِكوْنِهم «مُبْطِلِينَ كَلاَمَ اللهِ بِتَقْلِيدِكُمُ الَّذِي سَلَّمْتُمُوهُ. وَأُمُورًا كَثِيرَةً مِثْلَ هذِهِ تَفْعَلُونَ» (مرقُس ٧: ١٢-١٣). وفي خضمِّ محاولة خصومه لرجمه قائلين: «وَأَنْتَ إِنْسَانٌ تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلهًا» (يوحنَّا ١٠: ٣٣)، تحدَّاهم يسوع بكلمات المزمور ٨٢: ٦، ثمَّ سألهم: «إِنْ قَالَ آلِهَةٌ لأُولئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللهِ، وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يُنْقَضَ الْمَكْتُوبُ، فَالَّذِي قَدَّسَهُ الآبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ، أَتَقُولُونَ لَهُ: إِنَّكَ تُجَدِّفُ، لأَنِّي قُلْتُ: إِنِّي ابْنُ اللهِ؟» (يوحنَّا ١٠: ٣٥-٣٦). فِي هذَا السِّيَاق، اِسْتخْدم يَسُوع تعْبيري «كَلمَة اَللَّه» و«المكْتوب» بِالتَّبادل. على نَفْس المنْوال، فِي مُنَاظرَة مع الصَّدُّوقِيِّينَ بخصوص القيامة، سأل يَسُوع: «أَفَمَا قَرَأْتُمْ مَا قِيلَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ»، ثُمَّ تَابَع اِقتِباس كلمات مِن اَلخُروج ٣: ٦ (مَتَّى ٢٢: ٣١). تَعتَمِد قُوَّة حُجَّة يَسُوع على الاقْتناع اَلذِي تَوقَّع أن يتشاركه الصَّدُّوقيُّون معه: أنَّ مَا كَانُوا يقرؤونه قد قِيل لَهُم مِن قِبَل اَللَّه. إنَّ كلمات اَللَّه تُنقَل إِلَيْنَا بِشَكلٍ مَسمُوعٍ ومكْتوبٍ، وَلكُلٍّ مِن الطَّريقتيْنِ سُلطَة يَجِب أن تَكُون قد شَكَّلَت تفْكيرهم وَكذَلِك مُمارساتهم.

لاَ تُظْهِر هَذِه الملاحظة بِبساطة الرَّابط اَلعضْوِيَّ اَلذِي رآه يَسُوع بَيْن كَلمَة اَللَّه المنْطوقة والْمكْتوبة. بل تُوضِّح لَنَا مَرَّة أُخرَى أنَّ يَسُوع لَم يَعتَبِر نَفسَه بديلاً عن تَعلِيم العهْد اَلقدِيم. حَتَّى

فِي مَا يُسمَّى بـ «عِبارَات التَّضَادِّ» فِي الموْعظة على الجبل فِي مَتَّى ٥ («قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ [...] وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ»)، لَم يَتَجاهَل يَسُوع تَعالِيم العهْد اَلقدِيم. بل بِالْأَحْرى، كشف عن إِساءة اِسْتخْدام كلمات النَّاموس بِهَدف إِخفَاء رَفْض أَخْذ مَعْنَاها وَقصدِها على مَحمَل اَلجِدِّ. فالْكلمات اَلتِي أعْطاهَا اَللَّه وَالتِي أتى يَسُوع لِيتمِّمهَا وَالتِي لَن تَزُول «حَتَّى يكُونَ [يتمُّ] الْكُلُّ» (متَّى ٥: ١٨)، لاَ تَترُك مجالاً لِلْمُراءاة والتَّبْرير الذَّاتيِّ.

بِالطَّبْع، فَهِمَ يَسُوع أنَّ مَجِيئَه كان إِيذانًا بِعَصرٍ جديدٍ، وأنَّ بَعْض كلمات العهْد اَلقدِيم كَانَت قد أَتمَّت الغرض مِنهَا الآن بَعْد أن قَدِم. كان يَسُوع يَفهَم جَدوَل اَللَّه الزَّمَنيَّ: «كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللهِ» (مرقُس ١: ١٥). لِذَلك أَعلَن يَسُوع أنَّ جميع الأطْعمة طَاهِرة (مرقُس ٧: ١٩). كَانَت اللَّوائح الغذائيَّة الصَّارمة لِلْعهْد اَلقدِيم قد أَتمَّت الغرض مِنهَا ولن تُصْبِح مُنَاسبَة بِمجرَّد هَدْم التَّمْييز بَيْن اليهود والْأمم. وَهذَا التَّمْييز فِي حدِّ ذَاتِه كان قد أتمَّ الغرض مِنْه أيْضًا. فالْآن وقد جاء اَلمسِيَّا اليهوديُّ كمخلِّص لِلْعالم (يُوحنَّا ٤: ٤٢)، وكانتْ الإِرْساليَّة إِلى اَلأُمم على وَشْك أن تَبدَأ (يُوحنَّا ١٢: ٢٠-٢١)، بِهَذا كَانَت المرْحلة الأخيرة فِي تَحقِيق الوعْد اَلقدِيم لِإِبْراهيم تَتكشَّف أَمَام أَعينِهم. عِنْدمَا صرخ يَسُوع على اَلصلِيب: «قَدْ أُكْمِلَ» (يُوحنَّا ١٩: ٣٠)، تَمزَّق حِجَاب الهيْكل مِن أَعلَى إِلى أَسفَل (مَتَّى ٢٧: ٥١). لَم يَعُد نِظَام الذَّبائح فِي العهْد اَلقدِيم ضَرورِيًّا. فَقَد حَقَّق الغرض مِنْه وَقدَّم تحْقيقه.

ومع ذَلِك، فِي كُلٍّ مِن هَذِه الأمْثلة، فَإِنَّ خُطَّة اَللَّه وَهدَفَه الباقيَيْنِ أَصبَحا الآن ظَاهرَينِ بِطريقةٍ كَامِلةٍ ومباشرةٍ. لَقد أَفسَح

الظِّلُّ المجَـال لِلْحقيقـة الواقعـة (كُولوسِّـي ٢: ١٧؛ العبْرانيِّيـن ١٠: ١). ومـع ذَلِـك، فَـإِنَّ التَّعْبيـر عـن أَوْلويَّـات اَللَّـه، ومَـا يُقَـدِّره ومَـا يَعتبِـره مقيتًـا، وإِعْلاَن شَـخصِيَّة اَللَّـه ومَـا قَصـدَه مُنْـذ البدايـة -وَكُلُّ ذَلِـك مُعطًى لِشـعْبه فِـي كَلمَتِـه المكْتوبـة- لَـم يَتَغيَّـر أو يُحجَـب بِمجيئه. إِنَّ اَلصلَـة بَيْـن يَسُـوع كَلمَـة اَللَّـه المتجسِّـد والْكتَـاب اَلمُقـدَّس كَكلِمة اَللَّـه المكْتوبـة لاَ تَنفَصِـم وتُنيـران بَعضهمـا بِـشَكلٍ مُتَبـادَلٍ.

فبالتَّضْميـن وَكـذَا بِالتَّحْديـد المباشـر، تَعامَـل يَسُـوع مـع العهْد اَلقدِيـم علـى أَنَّـه كَلمَـة اَللَّـه. إِنَّ كلماتـه هِـي الكلمـات اَلتِـي أَعْطاهَـا اَللَّـه لِشـعْبه، وَهِـي بِذَلـك تَحظَـى بِسـلْطانه. ومـع ذَلِك، لَـم يَتَعامَل يَسُـوع مـع الكتَـاب اَلمُقـدَّس علـى أَنَّه شَـيْء سـقط مِن السَّـمَاء أو لَم تَمسَسْـه أَيادِي البشـر.

رَأْي يَسُوع بِشَأن «العامليَّة المزْدوجة Double Agency» لِلْكتَاب اَلمُقدَّس

أَدرَك يَسُـوع أنَّ اَللَّـه هُـو اَلمُؤلِّـف الأساسـيُّ لِلْكتَـاب اَلمُقـدَّس. فَعَـرَّفَ النُّصـوص المقدَّسـة علـى أَنَّهَـا كَلمَـة اَللَّـه. ومـع ذَلِـك، فقـد أَدرَك أَيْضًـا أنَّ الكُتَّـاب البشـريِّين شـاركوا بِوَعيٍ وإِبْدَاعٍ فِـي إِنتَاج هَذِه النُّصـوص. كَانَـت كَلمَـة اَللَّه هَذِه فِي نَفْس الوقْتِ هِي كَلمَة مُوسَـى أو دَاوُد أو إِشـعِياء أو دانْيَـال. وهكـذَا اِسْـتطَاع يَسُـوع أن يَتَكلَّم بِعبارات عَامَّـة عـن الكيْفيَّـة اَلتِي بِهَا «مُوسَـى [...] كَتَـبَ عَنِّـي» (يُوحنَّا ٥: ٤٦). بِـشَكلٍ أَكثَـر تحْديدًا تَحـدَّث عن «القُرْبَـان اَلذِي أمرَ بِهِ مُوسَـى» (مَتَّى ٨: ٤، بِالْإِشـارة إِلـى اللاَّوِيِّـين ١٤)، ومَـا «أَوصَـى [بِـهِ] مُوسَـى» (مَتَّـى ١٩: ٧، بِالْإِشـارة إِلـى التَّثْنيـة ٢٤)، وَكذَلِـك الأَمْـر اَلـذِي أَعطَـاه مُوسَـى

(مرقُس ٧: ١٠، بِالْإشارة إلى اَلخُروج ٢٠: ١٢ و٢١: ١٧)، ومَا دلَّ عليْه مُوسَى (لُوقَا ٢٠: ٣٧، بِالْإشارة إلى القيامة فِي اَلخُروج ٣: ٦). لَم يُنْكِر يَسُوع فِي أيِّ وَقْتٍ سُلطَة هَذِه النُّصوص على أَنَّهَا كَلمَة اَللَّه، ومع ذَلِك كان بِإمْكانه، وَدُون إِحرَاجٍ أو سبق تَأهِيلٍ ضَرورِيٍّ، أن يُشير إِلَيْهَا على أَنَّهَا مِن عمل مُوسَى.

وبالْمثْل، تكَلَّم يَسُوع عَمَّا يقوله «دَاوُد نَفسُه [...] فِي كِتَاب المَزَامِير» (لُوقَا ٢٠: ٤٢، بِالْإشارة إلى المزامير ١١٠: ١). كان بِإمْكانه أن يُوبِّخ الفرِّيسيِّين والْكتبة الَّذين قاوموه قائلاً: «حَسَنًا تَنَبَّأَ إِشَعْيَاءُ عَنْكُمْ» (مرقُس ٧: ٦)، ثُمَّ يَشرَع فِي اِقتِباس إشعِياء ٢٩: ١٣. وَفِي مُنَاسبَة أُخرَى (مَتَّى ١٣: ١٤) أَوضَح سبب تعْليمه بِالْأمْثال بِالْإشارة إلى إشعِياء ٦: ٩-١٠. هَكذَا حَذَّر تلاميذه مِمَّا سَيأتِي مُسْتخْدمًا العبارة الغامضة «الَّتِي قَالَ عَنْهَا دَانِيآلُ» (مَتَّى ٢٤: ١٥، إِشارة إلى «رِجْسَةَ الْخَرَابِ»؛ رَاجِع دانْيَال ٩: ٢٧).

لَم يَشرَح يَسُوع بِالتَّفْصيل كَيْف يُمْكِن أن تَكُون هُنَاك تِلْك «العامليَّة المزْدوجة» لِلْكتَاب اَلمُقدَّس.[٦] لَكِن كان أَقرَب مَا جاء بِه هُو تَعلِيق دالٌّ فِي مَتَّى ٢٢، عِنْدمَا قال إِنَّ دَاوُد «بِالرُّوح» يَدعُو «اِبْن دَاوُد» اَلمسِيَّا، «ربًّا» (الآيَات ٤٢-٤٣). كان رُوح اَللَّه مُنْخرطًا عِنْدمَا كتب دَاوُد كلمات المزْمور ١١٠، وَلِهذَا السَّبب يُمْكِن التَّكَلُّم عن هَذِه الكلمات على أَنَّهَا كلمات دَاوُد وكلمَات اَللَّه.

---

٦ مصطلح «العامِليَّة المزدوجة» في ما يتعلَّق بالكتاب المقدَّس استخدمه (ودافع عنه) نيكولاس ولترستورف Nicholas Wolterstorff وهنري بلوخر Henri Blocher، من بين آخرين Wolterstorff, *Divine Discourse: Philosophical Reflections on the Claim That God Speaks* (Cambridge: Cambridge University Press, 1995), 38–42; Blocher, "God and the Scripture Writers: The Question of Double Authorship," in *The Enduring Authority of the Christian Scriptures*, ed. D. A. Carson (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2016), 497–541.

يَسُوع وَوضُوح الكتَاب اَلمُقدَّس

لَقد حَمَلَ اِحتِكام يَسُوع إِلى الكتَاب اَلمُقدَّس فِي طَيَّاتِه تأْكيدًا ضِمْنيًّا لِوضوح الكتَاب اَلمُقدَّس أو سُهُولَة فَهمِه. فَإِذَا لَم يَكُن مَعنَى الكتَاب اَلمُقدَّس واضحًا، فكيْف يُتَوقَّع مِن الَّذين عارضوه أن يُؤمنوا بِه أو يُطيعوه؟ ومع ذَلِك، حاجَّهم يَسُوع مِرارًا وتكْرارًا كمَا لَو كان عَليهِم قِراءَته، وأن يفْهموه، وأن يُؤمنوا بِه ويطيعوه.

وَهذَا مَا أَبرَزه تعْبيره المتكرِّر «أَمَا قَرَأْتُم...؟» مع توْبيخه اَلضمْنِيِّ بِأَنَّهم لَو قَرؤوا لِمَا عارضوا يَسُوع. «أَمَا قَرَأْتُمْ مَا فَعَلَهُ دَاوُدُ حِينَ جَاعَ هُوَ وَالَّذِينَ مَعَهُ؟»، هَكذَا سأل يَسُوع عِنْدمَا طَعنُوا فِي أنَّ تلاميذه يلْتقطون مِن حَقْل يَوْم السَّبْتِ (مَتَّى ١٢: ١-٣). وبالْمثْل: «أَوَ مَا قَرَأْتُمْ فِي التَّوْرَاةِ أَنَّ الْكَهَنَةَ فِي السَّبْتِ فِي الْهَيْكَلِ يُدَنِّسُونَ السَّبْتَ وَهُمْ أَبْرِيَاءُ؟» هكذا سأل في (متَّى ١٢: ٥) وعنْدَمَا ساجَلوه فِي الطَّلاَق سألهم مَرَّةً أُخرَى: «أَمَا قَرَأْتُم...؟» واسْتَشْهَد بِكلمَاتٍ مِن قِصَّة اَلخَلق فِي التَّكْوين ٢ (مَتَّى ١٩: ٣-٩). كمَا لاَحظْنَا سابقًا، سأل يَسُوع قائلاً: «أَمَا قَرَأْتُمْ...؟» عِنْدمَا سُئِل عن قِيامة الأَمْوات، وَأَشار لِمسْتمعيه إِلى رِواية العلَّيقة اَلتِي لَم تَحتَرِق فِي اَلخُروج ٣. كَذلِك فِي نِهاية مَثَل المسْتأْجرين (مرقُس ١٢: ١٠)، سأل يَسُوع مُسْتمعيه: «أَمَا قَرَأْتُمْ...؟» وَشرَع فِي اِقتِباس المزْمور ١١٨: ٢٢-٢٣. فِي كُلِّ حَالَةٍ، كان يَتَوقَّع أنَّ اَلنَّصَّ الكتابِيَّ اَلذِي يَقتَبِس مِنْه سَيحسِم النِّزَاع، لَكِن هذَا لاَ يُمْكِن أن يَكُون هُو اَلْحال إِلاَّ إِذَا كان الكتَاب اَلمُقدَّس وَاضِحًا وَسَهل الفهْم.

كان يَسُوع يَفهَم أنَّ قَبُول اَلكلِمة يَتَطلَّب مَا هُو أَكثَر مِن وُضُوح اَلنَّصِّ المكْتوب. فقد أَشَار مَثَله عن الزَّارع إِلى أنَّ نَشَاط الشَّيْطان،

وتجـارب الحيَـاة وضيقاتهَا، وَهمُوم العالم، وخـداع الغنى، كُلُّ هَذِه يُمْكنهَـا أن تَعُـوق السَّـمْع بِفَهمٍ (مَتَّى ١٣: ١٨-٢٢). هَكـذَا فَإِنَّ ردَّ فِعْل الشَّـابِّ اَلغَنِـيِّ (مرقُـس ١٠: ١٧-٢٢) هُـو مَشـهَدٌ مَأْسَـاويٌّ لِآخـر هَـذِه العوائـق اَلتِي تَحُـول دُون وَضْـع السَّـمَاع اَلمُخْلِـص مَوضِـع التَّنْفيذ. لَقـد اِفتخَـر الفرِّيسيُّون، خُصُـوم يَسُـوع الرَّئيسيُّون، بِمعْرفتهـم بِالْكتـاب اَلمُقـدَّس ومَـا يَتَرتَّـب على ذَلِك مِن طَهـارَة فِـي الحيَاة. ومع ذَلِـك، فَـإِنَّ الإِطَـار المرْجعـيَّ اَلـذِي قَدَّمُـوه لِلنَّـصِّ ضَمِـن أَنَّهُـم لَـن يفْهمـوه. لَقـد عاملوا الشَّـريعة كمَا لَو كَانَـت مَعنِيَّة بِبسـاطة بِالْأَفْعال المنْصوصـة عِوَضًـا عـن تعْقيدات قَلْب الإِنْسـان الخاطئ (مَتَّى ٥: ٢٠-٤٨). لَقـد تَشـتَّت اِنْتباههم بِالتَّديُّـن والتَّفاصيل الخارجيَّـة، مِمَّا يَعنِي أَنَّهُـم تجاهلـوا «أَثْقَـلَ النَّامُوسِ: الْحَـقَّ وَالرَّحْمَةَ وَالإِيمَـانَ» (متَّى ٢٣: ٢٣).

كمَـا أَوضَـح يَسُـوع بِالْإِشـارة إِلـى كلماتـه، فَـإِنَّ السَّـبب الحقيقـيَّ لِرفْضِهـم السَّـمَاع هُـو أَنَّهُـم وَضعُـوا وَلاءَهـم فِـي مَوضِـعٍ آخـر. فَقَـد سـأل يَسُـوع: «لِمَـاذَا لاَ تَفْهَمُـونَ كَلاَمِـي؟ لأَنَّكُـمْ لاَ تَقْـدِرُونَ أَنْ تَسْـمَعُوا قَوْلِـي» (يوحنَّـا ٨: ٤٣). وبعـد ذلـك بقليل يقـول: «الَّذِي مِنَ اللهِ يَسْـمَعُ كَلاَمَ اللهِ. لِذلِـكَ أَنْتُـمْ لَسْـتُمْ تَسْـمَعُونَ، لأَنَّكُـمْ لَسْـتُمْ مِـنَ اللهِ» (يوحنَّـا ٨: ٤٧). هـذَا الـولاَء اَلمُضـادُّ لَـم يعُقْهـم فقـط عن كَلاَم يَسُـوع؛ بـل عاقهـم أيْضًـا عـن كَلاَم مُوسَـى (يُوحنَّـا ٥: ٤٦). كان مَـا أَضفَـوه على اَلنَّـصِّ، لاَ عـدم اَلوُضـوح فِـي اَلنَّـصِّ نَفسِـه، هُو مَا أعاقَهـم عـن الاسْـتماع بِفَهمٍ.

ومـع ذَلِـك، أَشَـار يَسُـوع إِلـى أنَّ عَامِلَيـنِ آخريـنِ كان لَهمَـا تَأْثِيـرٌ على الطَّريقـة اَلتِي قُوبلـتْ بِهَا كلماتـه (بِمَا فِـي ذَلِك اِحْتكامـه لِلْعهْد

اَلقدِيـم). مِـن نَاحِيـةٍ، لَم يَسـمَع البعْـض نَتِيجَـةً لِقضاء اَللَّـه عَليهِم بِـأَلاَّ يسْـمعوا فيخْلصوا. هَـذِه هِي النُّقْطة اَلتِي أَوْضحَهَا يَسُـوع عِنْدمَا شـرح سـبب حَديثِـه إِلـى اَلجُمـوع بِأَمْثَـالٍ. لَقد كَانَـت الأَمْثـال بِالْفِعْل تُسَـاعِد تلاميـذه وَكُلَّ مَـن جـاء إِلَيـه على الفهْـم. لَكِن مع ذَلِـك، كَانَت بِمثابـة عَقَبـات لِلْفهْـم أَمَـام أُولئـك الَّذيـن رَفضُـوا اَلمجِيء. كمَـا تَنبَّأ إِشـعِياء مُنْـذ وَقْـتٍ طويلٍ، أَوضَح يَسُـوع:

لأَنَّ قَلْـبَ هـذَا الشَّـعْب قَـدْ غَلُـظَ، وَآذَانَهُـمْ قَدْ ثَقُلَ سَـمَاعُهَا. وَغَمَّضُـوا عُيُونَهُـمْ، لِئَلاَّ يُبْصِرُوا بِعُيُونِهِمْ، وَيَسْـمَعُوا بِآذَانِهِمْ، وَيَفْهَمُـوا بِقُلُوبِهِـمْ، وَيَرْجِعُوا فَأَشْـفِيَهُمْ. (متَّى ١٣: ١٥)

اِقتبَـس يَسُـوع كلمـات تَحدَّثَـت فِـي سِـياقِهَا اَلأَصْلِـيِّ عـن دَينُونـة اَللَّـه على شَـعْب إِسْـرائيل القاسي، بَـدأَت تِلْـك الكلمـات بِالتَّحـدِّي: «اسْـمَعُوا سَـمْعًا وَلاَ تَفْهَمُوا، وَأَبْصِرُوا إِبْصَارًا وَلاَ تَعْرِفُوا» (إشـعياء ٦: ٩)، وَطَبَّقهَـا على اَلجُمـوع غَيْـر المؤْمنـة فِي عَصـرِه. لَم تَكُن الأَشْـياء اَلتِي كان يَسُـوع يُعلِّـم بِهَـا غَامِضـة، لَكِـنَّ اَلجُموع مُنِعَت مِـن فهْمهَا. هَكـذَا كان الرَّسـول بُولُـس يَتَكلَّم عـن أَذهَـانٍ مُظْلِمةٍ، وَقلُـوبٍ صلبَةٍ، وبُرْقُـعٍ لَـم يُرفَـع بيْنمَا هُو يَشـرَح الحقيقة نفْسـهَا (رومية ١؛ كورنثوس الثانية ٤).

ومـع ذَلِـك، فِـي جميـع الأناجيـل، فشـل تَلامِيذ يَسُـوع أَنفُسـهم فِـي فَهْـم كلماتـه، على الرَّغْـم مِـن أنَّ هَـذِه الكلمـات قُدِّمَـت على خَلفِيَّـة وُعُـود العهْـد اَلقدِيـم المأْلوفـة لَهُـم. كَانَـت هَـذِه المسْـألة مُتَعلِّقَـة بِالْجـدْول الزَّمَنـيِّ جُزْئِيًّـا. فَكمَـا قـال لَهُـم يَسُـوع عِنْدمَـا كان يَغسِـل أَقْدامهـم: «لَسْـتَ تَعْلَـمُ أَنْـتَ الآنَ مَـا أَنَـا أَصْنَـعُ، وَلكِنَّـكَ سَـتَفْهَمُ فِيمَـا بَعْدُ» (يوحنَّا ١٣: ٧). وكـذا وعدهم أنَّ الروح «يُعَلِّمُكُمْ

كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ» (يوحنَّا ١٤: ٢٦) و«يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ» (يوحنَّا ١٦: ١٣). فقط بَعْد القيامة، وبشكْلٍ أَكثَر تحْديدًا عِنْدمَا تَمجَّد يَسُوع وَأُعطِي الرُّوح اَلقُدس (يُوحنَّا ٧: ٣٩)، فَهِمَ التَّلاميذ حقًّا مَا كان يَسُوع يُعلِّمهم. أَمَّا قَبْل ذَلِك فقد كَانُوا فِي كثيرٍ مِن الأحْيان فِي حَيرَةٍ مِمَّا كان يقوله. وَحتَّى بَعْد سَمَاع يَسُوع يَتَنبَّأ لِلْمرَّة الثَّالثة بِموْته وقيامته، فَإِنَّ المعْنى كان «مُخْفًى عَنْهُمْ، وَلَمْ يَعْلَمُوا مَا قِيلَ» (لوقا ١٨: ٣٤).

ومع ذَلِك، لَم يكُن الأمْر مُجرَّد مَسْأَلة تَوقِيت. إذ لاَ يَتَطلَّب الفهْم بِالْإيمان نصًّا مُحَدَّدًا وَواضِحًا فحسْب، بل يَتَطلَّب أيْضًا عمل اَللَّه فِي حَيَاة الشَّخْص اَلذِي يَسمَع اَلنَّصَّ أو يقْرأه. وَمرَّةً أُخرَى، فَإِنَّ رَسُول اَلمسِيح هُو مَن سيأْخذ هذَا الأمْر إِلى أَبعَد مِن ذَلِك عِنْدمَا شرح المعارضة اليهوديَّة المسْتمرَّة لِلْإنْجيل: حِجَاب قَابِع فَوْق قُلُوب أُولئك الَّذين هُم خَارِج اَلمسِيح، لكنَّه «يُبْطَلُ فِي الْمَسِيحِ. لكِنْ حَتَّى الْيَوْمِ، حِينَ يُقْرَأُ مُوسَى، الْبُرْقُعُ مَوْضُوعٌ عَلَى قَلْبِهِمْ. وَلكِنْ عِنْدَمَا يَرْجعُ إِلَى الرَّبِّ يُرْفَعُ الْبُرْقُعُ» (كورنثوس الثانية ٣: ١٤-١٦).

يَسُوع وحَقَّانيَّة الكتَاب اَلمُقدَّس

لَم يكُن يَسُوع أبدًا غَيْر مُبَالٍ بِالْبَحْث عن اَلحَقِّ. إذ قال لِلْيهود الَّذين آمنوا بِه: «إِنْ ثَبَتُّمْ فِي كَلاَمِي فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ تَلاَمِيذِي، وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ» (يوحنَّا ٨: ٣١-٣٢). مِن الصَّعْب أن يَكُون اِحْتكامه إِلى الكتَاب اَلمُقدَّس فِي تعاليمه ومناقشاته مع القادة الدِّينيِّين فِي عَصرِه مَنطقِيًّا مَا لَم يَعتَقِد أنَّ الكتَاب

اَلمُقدَّس حَقيقِيٌّ، وَأنَّه يُعَلِّمنَا اَلحَقَّ عن اَللَّه والْعالم، وَكذَلِك الاسْتجابة المناسبة لِذَلك اَلحَقِّ. لَقد أَخبَر بِيلاطس عن غرض مَجيئِه إِلى العالم قائلاً: «لأَشْهَدَ لِلْحَقِّ» (يوحنَّا ١٨: ٣٧)؛ وقبْل ذَلِك بِساعَات، كان قد وعد تلاميذه أَنَّه سَيرسِل لَهُم (مِن اَلآب) «رُوحَ الْحَقِّ» (يوحنَّا ١٥: ٢٦).

بِالنِّسْبة إِلى يسوع، فَإِنَّ مِصْداقيَّة الكتَاب اَلمُقدَّس تَنبُع مِن شَخْص وَطَبيعَة أبيه مِن نَاحِيةٍ، وَظاهِرة الكتَاب اَلمُقدَّس نَفسه مِن نَاحِيةٍ أُخرَى. إِنَّ اَللَّه حقٌّ لاَ تَشوبُه شَائِبة، والْكلمة اَلتِي تَخرُج مِنْه تَحمل نَفْس الطَّبيعة. لِذَلك اِسْتطَاع يَسُوع أن يَقُول: «الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ حَقٌّ. وَأَنَا مَا سَمِعْتُهُ مِنْهُ، فَهذَا أَقُولُهُ لِلْعَالَمِ» (يوحنَّا ٨: ٢٦؛ راجع ٧: ٢٨). لقد وَصَفَ يسُوع نفسَه بأنَّه «أَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ اللهِ» (يوحنَّا ٨: ٤٠). وعنْدَمَا صَلَّى مِن أَجْل تلاميذه قَبْل القبْض عليْه مُبَاشرَةً، طلبَ يَسُوع: «قَدِّسْهُمْ فِي حَقِّكَ. كَلاَمُكَ هُوَ حَقٌّ» (يوحنَّا ١٧: ١٧). بِمَا أنَّ الأمْر كَذلِك، إِذًا فقد تَعامَل يَسُوع بِاسْتمْرارٍ مع الكتَاب اَلمُقدَّس على أَنَّه حَقيقِيٌّ تمامًا، سَوَاء فِي الصُّورة اَلتِي يُقَدِّمهَا عن اَللَّه، شخصيَّته وأهْدافه، أو فِي سَردِه لِتارِيخ تعاملات اَللَّه مع شَعبِه.

لَقد قَبِل يَسُوع الإشارات التَّاريخيَّة لِلْعهْد اَلقدِيم بِاعْتبارهَا مَوثُوقة وَصَحيحَة. فالْأَشْخاص الموْصوفون فِي تِلْك الإشارات قد عَاشُوا فِعْلاً، وقد قَامُوا فِعْلاً بِالْأَشْياء اَلتِي قال الكتَاب اَلمُقدَّس إِنَّهم فَعَلوهَا. لَقد مَيَّز بِوضوحٍ بَيْن شخْصيَّات وأحْدَاث العهْد اَلقدِيم والشَّخْصيَّات الخياليَّة اَلتِي خلقهَا لِأمْثاله وتشْبيهاته عن الملكوتِ. لَقد كان يُقدِّم أمْثاله بِانْتظام بِوصْفِهَا أمْثالاً، مِمَّا يُلْغِي

الحاجـة إِلـى السُّـؤَال عـن هُويَّـة السَّـامريِّ الصَّالـح (لُوقَـا ١٠)، وَمَـن هُـو جَابِـي الضَّرائـب فِـي الهـيْكل (لُوقَـا ١٨)، أو الرَّجـل اَلـذِي كان لَـه وَلَـدان (لُوقَـا ١٥). كَذلِـك التَّشْـبيهات لَهَـا علاماتهَـا الواضحة -«يُشْـبِهُ مَلَكُـوتُ السَّـمَاوَاتِ» (متَّـى ١٣: ٤٤، ٤٥، ٤٧)- وَفِي بَعْض الأحْيان كَانَت التَّشْـبيهات عِبـارة عـن أَمثَـال (مَتَّـى ١٣: ٣١، ٣٣). أَمَّـا اِحـتِكام يَسُـوع لِلْعهْـد اَلقدِيـم فقـد كان أَكثَر مُبَاشـرَةً ولم يَكُن بِحاجـة إِلى مِثْل هَذِه الإِشارات. إِذ أَشَـار إِلـى الأحْـداث فِـي سِـفْرِ التَّكْوين بِافْتـراضٍ وَاضِحٍ أَنَّ كُلَّ إِشـارة ذَكَرهَـا قـد حَدثَـت بِالْفِعْـل: مَقتَـل هابيل علـى يد أخيه قايين (مَتَّـى ٢٣: ٣٥)؛ نُـوح والطُّوفـان (مَتَّـى ٢٤: ٣٧)؛ الدِّينونـة اَلتِي وَقعَـت علـى سَـدُوم وَحَماقَـة زَوجَـة لُـوط (لُوقَـا ١٧: ٢٦-٣٢). هَكـذَا تَكلَّـم يَسُـوع بِالْمِثـل عـن الأحْداث المسـجَّلة فِـي الكتابـات التَّاريخيَّة والنَّبويَّـة: اِسْـتعْمال دَاوُد لِخبْـز اَلوُجـوه عِنْدمَـا كان يَتَضـوَّر جُوعًا هُو وأتْباعـه المرْفوضـون (مَتَّـى ١٢: ٣-٤)؛ وَحِكمَـة سُـليْمَان في أَثنَـاء زِيارة مَلكَـة الجنـوب (مَتَّـى ١٢: ٤٢)؛ إِيليَّـا والْجفـاف وَأَرملَـة صَرْفَـة (لُوقَا ٤: ٢٥-٢٦)؛ وإِرْسـاليَّة يُونـان الكرازيَّـة إِلـى نِينَـوى والْوَقْـتُ اَلـذِي قَضَـاه فِـي بَطْن اَلحُـوت (مَتَّـى ١٢: ٣٩-٤١).

إِنَّ هـذَا اَلدلِيـل المـزْدوج -اِقتِبـاس يَسُـوع لِلْحـقِّ الكتابـيِّ فِـي مَعـرض حَديثِـه عـن شَـخصِيَّة اَللَّـه وَلكِـن أيْضًـا فِـي مَـا وَجـدَه فِـي نُصُـوص العهْـد اَلقدِيـم نَفسـها- هُـو اَلـذِي يمْنحنَـا إِدْراكًا لِموْقـف يَسُـوع تُجَـاه مِصْداقيَّـة الكتَـاب اَلمُقدَّس. ومع ذَلِك، لاَ يَأتِي أيُّ شَـرْحٍ مُوسَّـع لِمفْهـوم مِصْداقيَّـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس مِـن شِـفَاه يَسُـوع فِـي الأناجيـل. لَكِـنَّ هـذَا لاَ يَنبَغِـي أن يُفاجئنَـا. فَفِـي نِهايـة المطَـاف، لَم تَكُـن مُوثوقيَّـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس محلاًّ لِلْجـدل أو النِّـزَاع أو الدِّفَـاع

عَنهَا فِي السِّيَاق اَلذِي عاش فِيه يَسُوع، لِأَنَّهَا مَثَّلَت اِقْتناعًا شاركه يَسُوع مع خُصومه. ومع ذَلِك، وَحتَّى من دون هذَا الشَّرْح، لاَ يَزَال مِن اَلممْكِن إِثبَات أنَّ يَسُوع قد أَكَّد فِي الواقع مِصْداقيَّة الكتَاب اَلمُقدَّس. إِنَّ مِثْل هذَا التَّأْكيد مُمْكِن وينْعَكس فِي اِعْترافه حِين قال: «لاَ يُمْكِنُ أَنْ يُنْقَضَ الْمَكْتُوبُ» (يوحنَّا ١٠: ٣٥).

يَسُوع وكفاية الكتَاب اَلمُقدَّس

لَقد اِسْتنْبع اِحتِكام يَسُوع لِلْكتَاب اَلمُقدَّس فِي أَثنَاء تجْربَته فِي البرِّيَّة نوْعًا مِن الاسْتنْتاج الحاسم. إِذ تَحمِل عِبارة «مَكتُوب» كُلَّ دلالاَت المعْنى: «هذَا كافٍ. لَقد اِنتهَى الأمْر». فَعلَى الرَّغْم مِن قِدَم نصِّ العهْد اَلقدِيم، لَيسَت هُنَاك حَاجَة إِلى كَلمَة جَدِيدَة. لِأَنَّه بيْنمَا يَبدُو ظَاهرِيًّا أنَّ اَلكثِير قد تَغيَّر، فَإِنَّ اَلنسِيج الأساسيَّ لِلْواقع والْعلاقة الأساسيَّة اَلتِي تُشَكِّله (عَلاقَة الخالق بِالْمخْلوق) لَم يَتَغيَّرَا. إِذَا كان صحيحًا أنَّ الإِنْسان لاَ يَحيَا بِالْخبْز وَحدَه «بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ» (متَّى ٤: ٤)، فَسَيبقَى الأمْر كَذلِك. لَم يَعتَقِد يَسُوع أنَّ هَذِه الحقيقة بِحاجة إِلى المراجعة فِي ضَوْء التَّطوُّرات اللاَّحقة. إِذَا كان صحيحًا أنَّ تَجرِبة اَللَّه هِي ردُّ فِعْلٍ غَيْر مُنَاسِب تُجَاه إِرادَته المُعْلنة (مَتَّى ٤: ٧)، فَسَيبقَى هذَا الأمْر غَيْر مُنَاسِب دائمًا. وَإِذَا كان صحيحًا أنَّ عِبادة أيِّ شَيْءٍ أو أيِّ شَخْصٍ آخر غَيْر اَللَّه هِي أَمْرٌ مَلُوم ومدمِّر لِلنَّفْس (مَتَّى ٤: ١٠)، فَسَتبقَى الحقيقة هَكذَا دائمًا. إِنَّ اَللَّه لاَ يُصيبه الذُّهول مِن التَّقَدُّم فِي المعْرفة البشريَّة أو التَّغْييرات فِي الإِجْماع الثَّقافيِّ أو مَكْر المخادعين. وستظلُّ كلمته كَافِية.

يَمتَـدُّ هـذَا المبْـدأ إلى مَـا بَعْـد التَّجْربـة فِـي البرِّيَّـة إلـى المجَال اَلـذِي اِحتكَـم فِيـه يَسُـوع إلى العهْـد اَلقدِيـم طَـوَال خِدْمتـه. فَـإذَا كان قَصْـد اَللَّـه اَلخلقـيُّ لِلـزَّوَاج هُـو إخلاَص مـدى الحيَـاة وَمَحبَّـة تَتَمحـوَر حَـوْل الآخـر بَيْن رَجُـلٍ وامْـرَأةٍ (مَتَّـى ١٩: ٤-٦، ١٨)، إذًا فالْأَمْر سَـيظَلُّ كَذلِـك دائمًـا. وهكـذَا اَلْحـال مِن جِهـة قِيمة الحيَاة البشـريَّة، وبالتَّالـي تَحرِيـم القتْـل، وأهمِّيَّـة قَـوْل الحقيقـة، وبالتَّالـي تَحرِيـم شَـهادَة الـزُّور، وأهمِّيَّة الاعْتراف بِمَـا أُعْطِي لِقريبـك، وبالتَّالي تَحرِيم اَلسـرِقة (مَتَّـى ١٩: ١٨). يُمْكِـن تَطبِيـق المبْـدأ عَينِه على كلمات يَسُـوع نَفسـه، سَـوَاء إعْلانـه مِن فَوْق اَلصلِيـب «قَدْ أُكْمِـلَ» (يُوحنَّا ١٩: ٣٠) أو وَعـده «مَـنْ يُقْبِـلْ إِلَـيَّ لاَ أُخْرِجْهُ خَارِجًـا» (يوحنَّـا ٦: ٣٧). فَفِي خِضمِّ مَوْجَـات التَّغْييـر، تَبقَـى بَعْـض الأشْـياء غَيْـر قَابِلـة لِلتَّغْييـر. يُوضِّـح اِحـتِكام يَسُـوع لِلْعهْـد اَلقدِيـم أَنَّه عِنْدمَا تَكلَّـم اَللَّـه -أو وَقْتَما يَتَكلَّم اَللَّـه- فَـإنَّ كلماتـه لاَ تَحْتاج إلـى زِيـادة أو مُرَاجعَة. فَاَللَّه اَلـذِي يَعرِف النِّهايـة مِـن البدايـة قـال مَـا يَجِـب أن يُقَال.

إنَّ مَثَـل اَلغَنِـيِّ وِلَعـازر هُـو بِمثابـة تَأكِيـد عظيـم مِـن يَسُـوع بِصياغتـه الخاصَّـة على كِفايـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس. فَفِـي نِهايـة المَثَل، دعَـا الرَّجُـل اَلغَنِـيُّ إِبْراهيـمَ إلـى إرسَـال لِعـازر إلـى إِخوَتـه الخمْسـة حَتَّـى يُحذِّرَهـم فلاَ يلْحقونـه فِـي العـذَاب. فَكَان جَـوَاب إِبْراهيـم بسـيطًا ومباشـرًا: «عِنْدَهُـمْ مُوسَـى وَالأَنْبِيَـاءُ، لِيَسْـمَعُوا مِنْهُمْ» (لوقا ١٦: ٢٩). لَكِـن مِـن الواضح أنَّ هذَا لاَ يَكفِي لِلرَّجل اَلغَنِيِّ. فَهُم بِحاجةٍ إلـى شَـيْءٍ مُذْهِـل، مُعْجِـزة، رَجُل عاد مِن المـوْتِ مـثلاً، حَتَّى يَجذِب اِنْتباههـم. لَكِـنَّ يَسُـوع يضع اَلكلِمـة الأخيرة على لِسَـان إِبْراهيم: «إِنْ كَانُـوا لاَ يَسْـمَعُونَ مِنْ مُوسَـى وَالأَنْبِيَاءِ، وَلاَ إِنْ قَامَ وَاحِـدٌ مِنَ الأَمْوَاتِ

يُصَدِّقُونَ» (لوقا ١٦: ٣١). إِنَّ كلمات الكتَاب اَلمُقدَّس اَلتِي يتمكَّنون مِن اَلوُصول إِلَيْهَا هِي بِالْفِعْل كَافِية لِتتحَدَّى لاَمبالاة أَخيهِم تُجَاه مُعانَاة جَارِه (وَكَان يَنبَغِي أن تَكُون كَافِية بِالنِّسْبة لَه أيْضًا). تَتَمثَّل وُجهَة نظر يَسُوع فِي أَنَّه إِذَا لَم يَسمَح النَّاس لِكلمة اَللَّه المكْتوبة أن تُشكِّل سُلوكَهم، فسوْف يُنْكرون حَتَّى حُدُوث مُعْجِزةٍ أَمَام أَعينِهم. فَفِي النِّهاية، هذَا مَا فَعلَه الفرِّيسيُّون مِرارًا وتكْرارًا مِن جِهة خِدْمَة يَسُوع (على سبيل المثَال: يُوحنَّا ١١: ٤٥-٥٣).

لَطَالمَا كان الكتَاب اَلمُقدَّس اَلمُتاح لَنَا كافيًا فِي الزَّمَان الحاليِّ. كان العهْد اَلقدِيم كافيًا لِلْإشارة إِلى اَلمسِيح وَتوجِيه شَعبِه لِكيْفِيَّة العيْش في أَثنَاء اِنْتظارهم لَه. وَمِثل إِخْوَة الرَّجل اَلغَنِيِّ فِي المَثَل، كان لَدى اليهود فِي زمن يَسُوع مَا يحْتاجون إِلَيه. ومع ذَلِك، فقد أَحدَث مجيء يَسُوع تغْييرًا بِالتَّأْكيد. كَانَت حياته وموْته وقيامته مُجتمعَة بِمثابة لَحظَة الذُّرْوة فِي تعاملات اَللَّه مع الجنْس البشَريِّ. وعنْدَمَا أتمَّ يُوحنَّا المعْمدان إِرْساليَّته بِإعْلاَن أَنَّ يَسُوع هُو «حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ!» (يوحنَّا ١: ٢٩)، كانَ عَصرٌ جديدٌ ينبلج. قال يسوع لتلاميذه: «كَانَ النَّامُوسُ وَالأَنْبِيَاءُ إِلَى يُوحَنَّا. وَمِنْ ذلِكَ الْوَقْتِ يُبَشَّرُ بِمَلَكُوتِ اللهِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ يَغْتَصِبُ نَفْسَهُ إِلَيْهِ» (لوقا ١٦: ١٦). لَقد حدث شَيْء حَاسِم وَأَتاح وُجهَة نظر جَدِيدَة يُمْكِن مِن خِلالِهَا النَّظر إِلى العهْد اَلقدِيم بِأكْمَله. وَعلَى حدِّ تَعبِير رِسالة العبْرانيِّين لاَحقًا، فإِنَّ اللهَ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ (١: ١-٢). هُنَاك شَيْءٌ مُثيرٌ، بل نِهائيٌّ، بشأن

هـذَا الموْضـوع.[٧] لَقـد كَشـفَت تَعالِيـم يَسُـوع نَفسـه (وَكـذَا تَعلِيـم المتحدِّثيـن بِاسْـمه، أيْ الرُّسـل، فِي وَقْتٍ لاَحِق) عـن طَبِيعَة وعواقب هَـذِه اللَّحْظـة الجديـدة فِـي خُطَّـة اَللَّـه الأبديَّـة. فأولَئـك الَّذين هُم على الجانـب الآخـر مِـن اَلصلِيـب والْقيامـة مِـن المسْـتمعين الأوائل لِمَثَـل يَسُـوع سَـيكُون لَديهِم كِتَـاب مُقدَّس كافٍ لِلْفتْـرة اَلتِي هُم فِيهَا فِـي إِطَـار جَـدوَل اَللَّه الزَّمَنيِّ، لِأنَّهم سـيحْصلون على العهْد اَلجدِيد إِلـى جَانِـب العهْـد اَلقدِيم.

ومـع ذَلِـك، فَـإِنَّ اِحـتِكام يَسُـوع لِكفايـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس كَانَـت مُرتبطَـة بِالْغَـرض اَلذِي أُعْطِي مِن أَجلِه. إِذ تَكشِـف الأسْـفار المقدَّسـة حقًّـا عـن اَللَّه، وعن شـخْصيَّته وغايَته، وتدْبيره لِلْمُخَلِّص، والاسْـتجابة المناسـبة مِـن أُولئـك الَّذيـن تـمَّ اِفْتداؤهـم. لَكِـن تِلْـك الأسْـفار لَـم تأْتِنَـا على أَنَّهَـا إِتمَام لِلْوعود اَلتِي وَعـدَت بِهَا. لَم تَـأتِ إِلَيْنَا لِتُخلِّصنَا بِذاتِهَـا وَمِـن تِلقـاء ذاتهَـا. لَـم يَكُـن ذَلِـك قَصْـد اَللَّـه أبـدًا. فَعمَـل اَلمسِيح الكفَّـاريُّ على اَلصلِيب، بِكلِّ جسـارَته المادِّيَّـة وَقوَّتِه الرُّوحيَّة الزَّاخمـة، وَكـذَا اِنْتصـاره على الموْتِ فِـي القيامة، هذَا هُـو مَا يَنقض لَعنَـة آدم ويضْمـن لَنَـا الفـدَاء. إِنَّ الرُّوح هُو اَلذِي يَأتِي بِالْإِنْسـان إِلى الـولادة الجديـدة والْإِيمـان (يُوحنَّـا ٣: ٥)، وَهُـو اَلـذِي أُرسِـل لِيسْـكن فِينَـا (يُوحنَّـا ١٤: ١٧). وَمـن دُون الكتَـاب اَلمُقـدَّس لَـن نَعـرِف هَـذِه الأشْـياء. لَـن نَفهَـم اَلوُعـود المرْتبطـة بِهَـا أو نَسـمَع الدَّعْـوة لِلتَّوْبـة والْإِيمـان فِـي نُـور تِلْـك الأشْـياء. ومـع ذَلِـك، فَـإِنَّ يَسُـوع هُـو اَلـذِي يُخَلِّصنَـا ولَيْـس الكتَـاب اَلمُقـدَّس. وَكـذَا الـرُّوح هُـو اَلـذِي يُوَحِّدنَـا بِالْمسـيح وَكُلِّ مَـا فِيـه لَنَـا مِـن بَـرَكات، ولَيْـس كَلمَـة اَللَّـه المكْتوبـة،

٧ قارن مع مَثَل يسوع في متَّى ٢١: ٣٣-٤٤.

هـذَا وَإِن كان الـرُّوح، كمَـا سَـنرَى، لاَ يَعمَـل فِـي الخليقـة بِمعْـزل عن اَلكلِمـة. لَـم يَزعُـم يَسُـوع الكفايـة المطْلقـة للكتَـاب اَلمُقـدَّس وَلَكنَّـه أَكَّـد كِفايَتـه لِلْغـرض اَلـذِي أُعْطِـي مِـن أَجلِه.

يَسُوع وفعَّاليَّة الكتَاب اَلمُقدَّس

لَقـد تَوقَّـع يَسُـوع أن يَكُون لِكلماته تَأثِيـرٌ. فقد كَانَـت لِكلماته قُوَّة هَائِلـة، وَعلَـى وَجْـه التَّحْديـد لِأَنَّهَـا كَانَـت **كلماتـه**. إذ هـدَّأ العاصفـة (مرقُـس ٤: ٣٩)، وزجَـرَ اَلشَّـرَّ والْمَـرض (مَتَّـى ٨: ١٣؛ مرقُـس ١: ٢٥؛ ٥: ٨، ٣٤)، وَأَقـامَ اَلْمَوتى (مرقُـس ٥: ٤١؛ لُوقَـا ٧: ١٤؛ يُوحنَّا ١١: ٤٣)؛ كُلُّ هـذَا بِكلمـة وَاحِـدة فقـط فِـي كُلِّ حَالَةٍ. لَقد عَكسَـت سِيادَته على الخليقـة اَلقُـوَّة التِّلْقائيَّـة اَلتِي أَوجَـد اَللَّـه الخليقـة بِهَـا فِـي المقَـام الأوَّل.

بيْنمَـا كان يَسُـوع يُعلِّـم، عـرف أنَّ ردَّ الفعْـل علـى كلماته سَـيكُون مُتفاوتًـا، لَيْـس بِسَـبب أيِّ عَيْـبٍ فِـي الكلمـات نَفسِـها، وَلكِـن بِسَـبب غـرض اَللَّـه وشـخْصيَّات أُولئـك الَّذيـن وُجِّهَـت الكلمـات إِلَيْهـم. فَقْد عَلَّـمَ مَثَلـه عـن الأَرْض الجيِّـدة أنَّ التَّبْشـير بِكلمـة اَللَّـه بِأمانـة يُمْكِـن أن يَتَلقَّـى رُدودًا مُتَنوِّعَـة (مَتَّـى ١٣: ١-٩). إِنَّ الأَمْثـال هِـي أَدَاةٌ كَشْـفٍ، لَكِنَّهَـا أَدَاةُ إِخفَـاءٍ أَيْضًـا. إِذ يَجعَل اَللَّه نَفسَـه مَعرُوفًـا لِلْبعْض ويؤكِّد لِلْآخريـن عزْمهـم علـى عـدم معْرفَتـه بِاسْـتخْدام اَلكلِمـة اَلقويَّـة نَفسـها. وَفِـي سِـيَاقٍ آخـر، قال يَسُـوع لِلْيهود الَّذيـن آمنوا بِـه: «إِنَّكُمْ إِنْ ثَبَتُّـمْ فِـي كَلاَمِـي فَبِالْحَقِيقَـةِ تَكُونُـونَ تَلاَمِيـذِي، وَتَعْرِفُـونَ الْحَـقَّ، وَالْحَـقُّ يُحَرِّرُكُـمْ» (يُوحنَّـا ٨: ٣١). ومـع ذَلِك، أَوضَح لِمـاذَا لَم يَفهَم البعْـض، حَتَّـى مِـن بَيْـن تِلْـك المجْموعـة: «لأَنَّكُـمْ لاَ تَقْـدِرُونَ أَنْ

تَسْـمَعُوا قَوْلِي» (يُوحنَّـا ٨: ٤٣).

عِنْدمَـا وَصلَـت خِدْمتـه الأَرْضيَّة إِلـى نِهايتهَا، صَلَّى يَسُـوع صَلاته الكهنوتيَّـة العظيمـة، مُوَضِّحًـا أنَّ الكلمـات اَلتِـي أعْطاهَـا لَـه أبـوه قد أَنجَـزت بِالْفِعْـل كُلَّ مَـا كان مِـن المفْتـرض القيَام بِه:

أَنَـا أَظْهَـرْتُ اسْـمَكَ لِلنَّـاسِ الَّذِيـنَ أَعْطَيْتَنِـي مِـنَ الْعَالَـمِ. كَانُوا لَـكَ وَأَعْطَيْتَهُـمْ لِـي، وَقَـدْ حَفِظُوا كَلاَمَـكَ. وَالآنَ عَلِمُـوا أَنَّ كُلَّ مَـا أَعْطَيْتَنِـي هُـوَ مِـنْ عِنْـدِكَ، لأَنَّ الْـكَلاَمَ الَّـذِي أَعْطَيْتَنِـي قَدْ أَعْطَيْتُهُـمْ، وَهُـمْ قَبِلُـوا وَعَلِمُـوا يَقِينًا أَنِّـي خَرَجْتُ مِـنْ عِنْدِكَ، وَآمَنُـوا أَنَّـكَ أَنْتَ أَرْسَـلْتَنِي. (يوحنَّـا ١٧: ٦-٨)

كمَـا رأَينَـا، تَضمَّنَـت كلمـات يَسُـوع اِحْتكامًـا مُنْتظِمًـا لِلْكلمـات المكْتوبـة فِـي العهْـد اَلقدِيـم. لَقـد اِعتبَـر يَسُـوع هَـذِه الكلمات ذات تَأْثِيـرٍ قَـوِيٍّ أيْضًـا. فِـي المقَـام الأوَّل، أَعلَنـت تِلْـك الكلمـات بِـشَكلٍ فَعَّـال اَلحَـقَّ عـن اَللَّـه وعن مَقاصِـده. وبـشكْلٍ أَكثَر تحْديدًا، شَـهدَت أَسـفَار العهْـد اَلقدِيـم بِـشَكلٍ فَعَّـال لِشَـخص وإِرْسـاليَّة يَسُـوع، وأولَئـك الَّذيـن رَفضُـوا تِلْـك الشَّـهادة كَانُـوا بِبسـاطة يُبرْهنـون علـى أَنَّهُـم واقعـون تَحْـت دَينُونة اَللَّه (يُوحنَّـا ٥: ٣٩-٤٠؛ ٨: ٤٧). لَقد فَهِم يَسُـوع كُلَّ خِدْمتـه علـى أَنَّهَـا تَحقِيق لِوعـود العهْد اَلقدِيـم، إِذ يَجمَع فِـي نَفسِـه اَلخُيوط والاتِّجاهـات المخْتلفة معًا فِـي إِدرَاكٍ مُذْهِلٍ لِكلِّ مَـا قَالَـه اَللَّـه قَبْـل فَتـرَة طَوِيلَـة أَنَّه سـيفْعَله.

يُمْكِـن إِظهَـار أنَّ هَـذِه اَلأُمـور لَـم تَكُـن مُجـرَّد وُجهَـة نظـر كُتَّاب الإِنْجيـل بـل كانـت أيْضًا فَهْمَ يَسُـوع اَلْخاصَّ. إِذ طَبَّق كلمات إِشـعِياء ٦١ علـى نَفسِـه فـي أَثنَـاء زِيارَته لِلْمَجمَع فِـي النَّاصرة (لُوقَـا ٤: ١٧-٢١).

وَشرَح الخيانة الوشيكة اَلتِي سيتعَرَّض لَهَا بِالْإشارة إِلى المزْمور ٤١ (يُوحنَّا ١٣: ١٨). كمَا اِقتبَس مِن إشعِياء ٥٣ عِنْدمَا تَوجَّه هُو وتلاميذه إِلى بُسْتان جثسيماني (لُوقَا ٢٢: ٣٧). وأخيرًا، اِسْتخْدم كلمات المزْمور الثَّاني مِن فَوْق اَلصلِيب لِيكْشف عُمْق مَا كان يَحدُث فِي تِلْك اللَّحْظة (مَتَّى ٢٧: ٤٦). لَقد فَهِم يَسُوع أنَّ الكتَاب اَلمُقدَّس كان يُحدِّد بِقوَّة مُجمَل الأحْداث خِلاَل خِدْمته، وَلكِن بِشَكلٍ خاصٍّ الظُّروف المحيطة بِموْته وقيامته. لَقد تَحدَّث مِرارًا وتكْرارًا عن كَيْف أنَّ وُعُود الكتَاب اَلمُقدَّس **«يَنبَغِي أنْ تَتِمَّ»** (مَتَّى ٢٦: ٥٤؛ لُوقَا ٢٢: ٣٧؛ ٢٤: ٧، ٤٤). إنَّ كَلمَة «يَنبَغِي» مُهمَّة لِلْغاية. فلاَ شَيْء يُمْكِن أن يُعيق أو يَتَغلَّب على اَلكلِمة اَلتِي تَسبَّب اَللَّه فِي كِتابتهَا. لَيْس هُنَاك إمكانيَّة أُخرَى إلاَّ أن تَتحقَّق. إذ قال يَسُوع فِي غَيْر مَوضِعٍ: «لاَ يُمْكِنُ أَنْ يُنْقَضَ الْمَكْتُوبُ» (يُوحنَّا ١٠: ٣٥).

يَسُوع وكلمَات الرُّسل

إِلى الآن، رأَينَا أنَّ كلمات يَسُوع كان مرْجعُهَا الأوَّل والصَّحيح هُو الكتَاب اَلمُقدَّس اَلعبْرِيَّ؛ أيْ العهْد اَلقدِيم. مَاذَا عن العهْد اَلجدِيد، اَلذِي تَشَكَّل بَعْد سَنَوات مِن عَودَة يَسُوع [بِالْجَسد] إِلى أبيه؟ لَقد رأيْنَا بِالْفِعْل أنَّ الرُّسل قد عيَّنهم يَسُوع كَشهُودٍ لَه وَعهِدَ إِلَيْهِم بِإِرْساليَّة تَمتَدُّ إِلى أَقاصِي الأَرْض وَإِلَى نِهاية الزَّمَان (مَتَّى ٢٨: ١٩-٢٠؛ أَعمَال الرُّسل ١: ٨). وبالْمثْل، لاَحظْنَا أَنَّه وَعَدَهم بِأن يُرْشدَهم الرُّوح إِلى جميع اَلحَقِّ (يُوحنَّا ١٦: ١٣). جُزْء مِن هَذِه الشَّهادة لِيسوع والْإِرْشاد مِن الرُّوح اَلقُدس سريعًا مَا سيشْمل كِتابة الرُّسل (وأولَئك المرْتبطين بِهِم) لِمَا سَيصبِح العهْد اَلجدِيد

فِـي مَـا بَعْد. كمَا قال جُون وِبسـتر، بِالْإشـارة إِلى كُلٍّ مِـن أَنبِياء العهْد اَلقدِيـم ورُسُـل العهْـد اَلجدِيد:

> لَيْـس مِـن خِلاَل التَّجْسـيد أو الاسْـتمْراريَّة وَلكِـن مِـن خِلاَل التَّمْثيـل والشَّـهادة المخوَّلَيـنِ، فَـإِنَّ الأنْبيـاء والرُّسـل يلْعبـون دوْرًا فعَّـالاً فِـي إِتاحـة سـبيل التَّواصـل مـع الشَّـخْص اَلـذِي كلَّفهـم بِإِرْسـاليَّتهم. وَإِذ تمَّ تكْليفهم بِذَلـك، فإِنَّهم يتمتَّعون بِالسُّـلْطة. [...]
>
> إِنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس هُـو التَّسْـوية النَّصِّيَّـة لِهَـذا التَّمْثيـل القانونـيِّ. [...] والْكتَـاب اَلمُقـدَّس هُـو بِمثابـة وَسِـيلَة اِمتِـداد لِإتاحـة الخدْمـة النَّبويَّـة والرَّسـوليَّة فِـي مَـا بَعْـد ظُـرُوف نشْـأتهمَا.[٨]

فـي أَثنَـاء خِدْمته، كان لَدى يَسُـوع اَلكثِير لِيقوله عن كلمات أُولئك الَّذيـن اِخْتارهـم لِيكونـوا شُـهودًا لَـه. وَكمَـا عَلَّمهم فِي سِـيَاق عَشـائِه الأخيـر، قـال يَسُـوع لِتلاميـذه: «اُذْكُرُوا الْـكَلاَمَ الَّذِي قُلْتُـهُ لَكُمْ: لَيْسَ عَبْـدٌ أَعْظَـمَ مِنْ سَـيِّدِهِ. إِنْ كَانُـوا قَـدِ اضْطَهَدُونِي فَسَـيَضْطَهِدُونَكُمْ، وَإِنْ كَانُـوا قَـدْ حَفِظُـوا كَلاَمِـي فَسَـيَحْفَظُونَ كَلاَمَكُمْ» (يُوحنَّـا ١٥: ٢٠). سَـتكُون الكلمـات اَلتِـي يَتَكلَّم بِهَا هـؤلاء التَّلاميذ مُرتبطَـة اِرْتباطًا وثيقًا بِيسـوع لِدرجـة أَنَّهُـم سيتشـاركون اَلكثِيـر مِـن كلمـات يَسُـوع. وَكمَـا شَـهِد مُوسَـى لِيسـوع، وجب على الرُّسـل أن يكونوا شُـهودًا لَه (أَعمَال الرُّسـل ١: ٨). وَبمَـا أَنَّ كلمـات يَسُـوع لَقيَـت قبـولاً مِـن قِبَـل البعْـض ورفْضًـا مِـن قِبَـل آخريـن، فقد تَوقَّع الرُّسـل نَفْـسَ الشَّـيْء أَيْضًا.

8 John B. Webster, "Biblical Reasoning," in *The Domain of the Word: Scripture and Theological Reason* (London: T&T Clark, 2012), 120–21.

أَبـرَزت إِرْسـاليَّة الرُّسـل القصيـرة السَّـابقة إِلـى البلـدات والْقـرى اليهوديَّـة هَـذِه العلاقـة بَيْـن كلمـات يَسُـوع وكلماتهـم. فِـي مَتَّـى ١٠، أَوضَح يَسُـوع خُطُورَة رَفْض الإِصْغاء لَمِن أَرسَـله: «وَمَنْ لاَ يَقْبَلُكُمْ وَلاَ يَسْـمَعُ كَلاَمَكُـمْ فَاخْرُجُـوا خَارِجًا مِنْ ذلِـكَ الْبَيْتِ أَوْ مِنْ تِلْـكَ الْمَدِينَةِ، وَانْفُضُـوا غُبَـارَ أَرْجُلِكُـمْ. اَلْحَـقَّ أَقُـولُ لَكُـمْ: سَـتَكُونُ لأَرْضِ سَـدُومَ وَعَمُـورَةَ يَـوْمَ الدِّيـنِ حَالَـةٌ أَكْثَـرُ احْتِمَـالاً مِمَّا لِتِلْـكَ الْمَدِينَـةِ» (الآيَات ١٤-١٥). لَقـد شَـجَّع الرُّسـل علـى أَلاَّ يَقْلقـوا بِشَـأن مَا يَجِـب أن يقولوه عِنْدمَـا يُؤْخـذون ويُسـلَّمون إِلـى اَلأُمم (إِشـارة على مَا يَبـدُو لَيْس إِلى تِلْـك الإِرْسـاليَّة المحـدَّدة وَلكِـن الإِرْسـاليَّة اَلكُبرى المسْـتمرَّة لِلرُّسـل). ووعدَهـم قـائلاً: «لأَنَّكُمْ تُعْطَوْنَ فِي تِلْكَ السَّـاعَةِ مَا تَتَكَلَّمُونَ بِهِ، لأَنْ لَسْـتُمْ أَنْتُـمُ الْمُتَكَلِّمِيـنَ بَـلْ رُوحُ أَبِيكُـمُ الَّـذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُـمْ» (الآيَات ١٩-٢٠). فِـي مُوَاجهَـة التَّحْريـف اَلخبِيـث وَحتَّـى المعارضـة العنيفـة، كان عَليهِـم أَلاَّ يخافـوا. «لأَنْ لَيْـسَ مَكْتُـومٌ لَـنْ يُسْـتَعْلَنَ، وَلاَ خَفِـيٌّ لَـنْ يُعْـرَفَ. اَلَّـذِي أَقُولُـهُ لَكُـمْ فِـي الظُّلْمَـةِ قُولُـوهُ فِـي النُّـورِ، وَالَّـذِي تَسْـمَعُونَهُ فِـي الأُذُنِ نَـادُوا بِـهِ عَلَـى السُّـطُوحِ» (الآيَـات ٢٦-٢٧). قَبل أن يُرْسـلَهم، قـال لَهُـم يَسُـوع: «مَـنْ يَقْبَلُكُـمْ يَقْبَلُنِـي، وَمَـنْ يَقْبَلُنـي يَقْبَـلُ الَّـذِي أَرْسَـلَنِي» (اَلآيَـة ٤٠). كمَـا لاَحَـظ تِيموثـي وَارْد Timothy Ward مِـن جِهـة هـذَا اَلمَقطـع: «لَقـد عـرَّف اَللَّه عن نَفسَـه من خلال يسـوع اَلمسِـيح شـخْصيًّا **وأَيْضًـا** بِتمْرِيـر الكلمـات اَلتِـي جلبهَا يَسُـوع مِـن اَلآب إِلـى التَّلاميـذ، وَنَتيجَـةً لِذَلـك فَـإِنَّ رَفْـض الكلمات البشـريَّة اَلتِـي قالهَـا التَّلاميـذ يَعنِـي رَفْـض اَللَّه».[٩]

فلاَ عجـب إِذًا أَنْ يُصلِّـي يَسُـوع فِـي لَيلَـة القبْض عليْـه لَيْس فقط

9 Timothy Ward, *Words of Life: Scripture as the Living and Active Word of God* (Nottingham: Inter-Varsity Press, 2009), 44 (emphasis original).

مِـن أَجْـل تلاميـذه الأصْليِّيـن «بَـلْ أَيْضًـا مِنْ أَجْـلِ الَّذِيـنَ يُؤْمِنُـونَ بِي بِكَلاَمِهِـمْ» (يُوحنَّـا ١٧: ٢٠). لَقـد تَصوَّر يَسُـوع إِرْسـاليَّةً ستسْـتَمرُّ لِفتْرةٍ طَوِيلَـةٍ بَعْـد صُعـوده إِلـى اَلآب. وَبَينمَـا يَتِـمُّ إِسـقَاط الحاجـز بَيْـن اليهـود والْأمـم، سـتمْتدُّ تِلْـك الإرْسـاليَّة إِلـى مَـا وَرَاء حُـدُود إِسْـرائيل ومَـا بَعْـد تِلْـك اللَّحْظـة مِـن الزَّمـن. خِلاَل آخر جَلسَـة تَعلِيـم عَظِيمَة لَـه فِـي إِنْجيـل مَتَّى، دعَـا يَسُـوع أُولئك الَّذيـن تَبعُوه إِلـى المثابرة فِي وَجْـه المقاومـة والاضْطهـاد، وَأَصَـرَّ علـى أنْ «يُكْـرَز بِبِشَـارَةِ الْمَلَكُوتِ هـذِهِ فِـي كُلِّ الْمَسْـكُونَةِ شَـهَادَةً لِجَمِيـعِ الأُمَـمِ. ثُـمَّ يَأْتِـي الْمُنْتَهَـى» (مَتَّـى ٢٤: ١٤). كان علـى هـؤلاء التَّلاميـذ أن يتلمـذوا مِن جميـع اَلأُمم بِتعْليمهـم «أَنْ يَحْفَظُـوا جَمِيـعَ مَـا أَوْصَيْتُكُـمْ بِـهِ» (مَتَّـى ٢٨: ٢٠).

ومـع ذَلِـك، مِـن الواضـح أنَّ نِطَـاق وَمـدَّة الإرْسـاليَّة يتطلَّبـان شَـهادَة رَسـولِيَّة مَكتُوبـة. وَإِلاَّ كَيْـف سَـتصِل الكلمـات اَلتِـي اِئْتمنهـم عليْهَا يَسُـوع إِلى «جَمِيعِ الأُمَمِ»؟ وَإِلاَّ فكيْف ستسْـتَمرُّ خِدْمَة الرُّسـل إِلـى مَـا بَعْـد مَوتهِـم إِلـى «اِنقِضـاءِ الدَّهْـرِ»؟ تمامًـا كمَـا تَضمَّنَـت الخدْمـة النَّبويَّـة لإشـعياء وإرمْيَـا والْباقيـن عُنصُرَ الكتابـة، مِمَّا يَضمَن إِمْكانيَّـة اَلوُصـول إِلـى كلماتهـم على نِطَاقٍ أَوسَـع مِن مُجـرَّد ظُروفِهم الأصْليَّـة، كَذلِـك فَـإِنَّ النَّشَـاط الإرْسـاليَّ لِلرُّسـل سـيتضَمَّن الكتابـة كـ «رُسُـل لِيسـوع اَلمسِـيح».

يَسُوع والتَّجاوب المناسب مع كَلمَة اَللَّه

لَـم يَكتَـفِ يَسُـوع بِاعْتـرافٍ رَسـمِيٍّ بِطبيعـة أو مَكانَـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس. بـل وَبَّـخ أُولئـك الَّذيـن اِسْـتخفُّوا بِكلمـة اَللَّـه بِالتَّحايـل اَلشـرْعِيِّ (مَتَّـى ٥) أو بِالاحْـتكام إِلـى تقاليدهـم (مرقُـس ٧). وَكـذَا

حَـذَّر مِـن الَّذيـن يَعظُـون ولكنَّهـم لاَ يُمارسـون (مَتَّـى ٢٣: ٣). وَعلَـى اَلنقِيـض مِـن ذَلِـك، فِي إِحْدى المناسـبات اَلتِي قال فِيهَا يَسُـوع مَثَل الـزَّارع، وَصَـفَ يَسُـوع الأَرْضَ الصَّالحـةَ بِأَنَّهَا أُولئك «الَّذِينَ يَسْـمَعُونَ الْكَلِمَـةَ فَيَحْفَظُونَهَـا فِـي قَلْـبٍ جَيِّـدٍ صَالِـحٍ، وَيُثْمِـرُونَ بِالصَّبْـرِ» (لُوقَا ٨: ١٥). إِنَّ التَّجـاوب المناسـب مـع كَلِمَـةَ اَللَّـه، سَـوَاء فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس أو مِـن فـم يَسُـوع نَفسـه (يُوحنَّـا ١٢: ٤٩-٥٠؛ ١٤: ١٠)، هُـو سَـمَاعهَا، والْإِيمـان بِهَـا، وتطْبيقهَـا. كان الأَمْـر بسـيطًا بِمقْدَار بَسـاطَة تِلْـك الكلمـات اَلتِي قِيلـتْ فِـي البرِّيَّـة: «لَيْـسَ بِالْخُبْـزِ وَحْـدَهُ يَحْيَـا الإِنْسَـانُ، بَـلْ بِكُلِّ كَلِمَـةٍ تَخْـرُجُ مِنْ فَـمِ اللهِ» (مَتَّى ٤: ٤)؛ أَمْرًا بسـيطًا وَلَكنَّـه صَعْبٌ لِلْغاية بِسَـبب ضَعْـف قَلْب الإِنْسـان الخاطئ، وجاذبيَّة العالـم، وَضغُـوط الحيَـاة وخـداع الشِّـرِّير.

لَقـد فَهِـم يَسُـوع أنَّ أُولئـك الَّذيـن لَـم يسْـتمعوا إِلَيـه كَانُـوا فِـي الواقـع يَرفُضـون مَـن أَرسَـله (يُوحنَّـا ١٤: ٢٣). وَهذَا مَا يُفسِّـر التَّحْذير اَلمخِيـف اَلـذِي أَنهَـى بِـه الموْعظـة على الجبـل. إِذ تَكلَّـم عـن رجلَيْنِ ومنْزلَيْـنِ يُواجهـان نَفْـس الطَّقْـس الكارثـيِّ. الرَّجـل اَلحكِيـم اَلـذِي «يَسـمَع أَقْوالـي هَـذِه ويعْمـلُ بِهَـا» (مَتَّـى ٧: ٢٤)، هُـو مَن يَبنِـي بَيتَه على الصَّخْـر وينْجو مِـن العاصفة. أَمَّـا الرَّجل الجاهل اَلذِي «يَسـمَعُ أَقْوالـي هَـذِه ولاَ يَعمَـلُ بِهَـا» (مَتَّـى ٧: ٢٦)، فَيبنِـي بَيتَـه على الرَّمْـل وَيفقِـد كُلَّ شَـيْء. كَانَت طَرِيقَـة صَارِخة لِإِنْهَاء اَلعِظـة: «فَنَزَلَ الْمَطَرُ، وَجَـاءَتِ الأَنْهَـارُ، وَهَبَّـتِ الرِّيَاحُ، وَصَدَمَـتْ ذلِكَ الْبَيْتَ فَسَـقَطَ، وَكَانَ سُـقُوطُهُ عَظِيمًـا!» (متَّـى ٧: ٢٧).

إِنَّ الكيْفيَّـة اَلتِي يَسـتجِيب بِهَـا الشَّـخْص لِكلمـة اَللَّه، سَـوَاء اَلتِي قالهَـا يَسُـوع أو المكْتوبـة فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس، لَهَا عَواقِـب وَخِيمَة.

فأكْثـر الاعْترافـات وُضوحًا بِطبيعـة الكتَاب اَلمُقدَّس وأقْـوى تأْكيدات سُـلْطته لاَ يعْنيَـان شـيْئًا إِذَا لَـم يَكُن الشَّـخْص على اِسْـتعْدادٍ لِلْعيْش تَحْـت هَـذِه السُّـلْطة بِالتَّوْبة والْإيمـان. على اَلنقِيض مِـن ذَلِك تَعجَّب يَسُـوع ذات مَـرَّةً: «بَـلْ طُوبَى لِلَّذِيـنَ يَسْـمَعُونَ كَلاَمَ اللهِ وَيَحْفَظُونَهُ» (لُوقَا ١١: ٢٨).

يَجِـب أن تَعُـود العقيـدة المسيحيَّة بِشَـأن الكتَـاب اَلمُقـدَّس مِـرارًا وتكْـرارًا إِلـى شَـخْص وكلمَـات وَعمِـل يَسُـوع اَلمسِيح. فَهـذَا لاَ يُوفِّـر مِنَصَّـةَ اِنـطِلاقٍ لِتحْقِيـقٍ مُسْـتَقِلٍّ فحسْـب، بـل لاَ يَـزَال هُـو اَلمرْجـع الرَّئيسـيَّ طَـوَال الوقْـتِ. إِنَّ يَسُـوع يَقِـف فِـي وسـط الكتَـاب اَلمُقـدَّس بِاعْتبـاره الشَّـخْص اَلـذِي تُشـير إِلَيه شَـهَادته بِأكْملهَـا، وَلكِن أيْضًـا بِاعْتبـاره الشَّـخْص اَلـذِي يُوَجِّهنَـا إِلـى العهْـد اَلقدِيـم ويتقَدَّم بِنَـا إِلـى كلمـات شُـهوده المفوَّضيـن فِـي العهْد اَلجدِيـد. وهكـذَا فَإِنَّ مِصْداقيَّـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس مُرتبطَة اِرْتباطًـا وثيقًا بِمصْداقيَّة يَسُـوع. فلأنَّـه أهْـلٌ لِلثِّقـة، فَإِنَّنَـا نَثِـق بِالْكلمـة اَلتِـي أَيَّدَها وَأَمَـرَ بِهَـا. ومهمَّتنَا الآن هِـي الاهْتمـام بِكلِّ جَانِـب مِن جَوانِب مَوقِف يَسُـوع مِن الأسْـفار المقدَّسـة، والسَّـعْي لِفهْمِهَـا بِـشَكلٍ كَامِـلٍ فِـي ضَـوْء جميـع تعاملات اَللَّـه مـع مخْلوقاتـه كمَـا قُدِّمَـت إِلَيْنَـا فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس نَفسـه. وَعلَـى طُـول اَلطرِيـق، سَـوْف نَكتَشِـف لِمـاذَا يُمْكِـن أن يَقُـولَ كالفـن: «بِكلمَتـه، جَعَـلَ اَللَّـهُ الإيمـانَ لاَ لَبْـس فِيـه إِلـى الأبَـد».[١٠]

10 John Calvin, *Institutes of the Christian Religion*, ed. John T. McNeill, trans. Ford Lewis Battles (Philadelphia: Westminster Press, 1960), 1.6.2.

٢

اَللَّه النَّاطق

عِنْدمَا أَشَـار يَسُـوع إِلى كَلاَمَ اَللَّه (لُوقَا ١٢: ٢٠؛ يُوحنَّا ١٤: ٣١؛ ١٦: ١٣) وَإِلَـى الكلمـات الموْجـودة فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس علـى أَنَّهَا كلمات قالهَـا اَللَّـه (مَتَّـى ١٥: ٤؛ ٢٢: ٣١؛ مَرقُـس ١٢: ٢٦)، كان يَعتَمِـد علـى وريـدٍ غَنِـيٍّ بِالتَّعْليـم فِـي العهْـد اَلقدِيم. يُقـدَّم اَلخَلق فِـي التَّكْوين ١ كَنَتيجَـةٍ لِلْـكلاَمَ الإِلَهـيِّ، مُلَخَّصًـا فِي عِبـارة «وَقَالَ اَللَّـهُ [...] فَكَانَ» (التَّكْويـن ١: ٣، ٦، ٩، ١١، ١٤، ٢٤، ٢٦). لَقـد تَكَلَّـم اَللَّـه بِهَـذه اَلقُـوَّة والسُّـلْطة حَتَّـى أَنَّ كلماتـه حَدَّدَت، ولاَ تَزَال تُحـدِّد، كُلَّ الواقع. عِنْدمَا قـال: «لِيَكُـنْ نُورٌ»، صـارَ هُنَاك نُورٌ. مِـن تِلْك اللَّحْظـة فَصاعِدًا، صارَ مِـن البديهـيِّ تقْريبًا فِـي العهْدِ اَلقدِيـم أَنَّ اَللَّه اَلحَيَّ هُو إِلـهٌ مُتَكلِّمٌ. إِذ تَكَلَّـم بِكلمـة البرَكـة والتَّحْذير فِـي الجنَّة، وَكلِمة اللَّعْنـة اَلتِي تَحمِل فِـي طَيَّاتِها الوعْد بِزوالهَا بَعْد السُّـقوط، والْوَعْـد لِإِبْراهيم، والنَّاموس لِموسـى، والْعَهْـد مـع دَاوُد، والدَّعْـوة لِلْعـوْدة عـن طريـق الأَنْبيـاء.[1]

1 Mark D. Thompson, "The Declarative God: Toward a Theological Description of Preaching," in *Theology Is for Preaching: Biblical Foundations, Method, and Practice*, ed.

فِي كُلِّ حَالَةٍ مِن هَذِه، كَانَت نَتِيجَة هذَا الكلاَم أنَّ مخْلوقات اَللَّه البشريَّة فَهمَت مَا قَالَه لَهُم. مِن الواضحِ أَنَّه عِنْدمَا يَتَكلَّم اَللَّه إلى مخْلوقاته البشريَّة، فَإنَّه يَتَكلَّم بِكلمَاتٍ بَشَريَّة.

مِن أهمَّ هَذِه الكلمات وُعُود اَللَّه. فالْوَعْد وسط اللَّعْنة فِي التَّكْوين ٣: ١٥ يَخلُق زخمًا يدْفعُنَا خِلاَل بَقيَّة الكتَاب اَلمُقدَّس. إذ قال اَللَّه لِلحيَّة: «أَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ». لَقد وعد اَللَّه أنَّ الكارثة العظيمة فِي الجنَّة ستُبْطَل بِواسِطة نَسْل المرْأة اَلذِي سَيهزِم اَلمُجرِّب وَكُلَّ مَن هُم لَه بِشَكلٍ كَامِلٍ وأخيرٍ. مَن هُو هذَا اَلمُنْقِذ؟ البحْثُ جَارٍ.

مع ذَلِك، هُنَاك مَجمُوعة مِن اَلوُعود اَلأُخرى اَلتِي قُدِّمَت بيْنمَا تَتكشَّف قِصَّة الكتَاب اَلمُقدَّس وَهِي على نَفْس القدْر مِن الأهمِّيَّة. مِن أَبرزِها الوعْد الرُّباعيُّ لِإبْرَام فِي التَّكْوين ١٢. لَقد وُعِد أبرَام بِأَرضٍ، وَوُعِد بِأَنَّه سَيصبِح أُمَّةً عَظِيمَةً، وَوُعِد بِأنَّ اَللَّه سيعظِّم اِسْمه (الآيَات ١-٢). تُحدِّد عَناصِر الوعْد الثَّلاثة هَذِه معًا مَسَارَ تَارِيخ أَحفَاد أبرَام (إبْراهيم). لَقد تَحقَّقَت جُزْئِيًّا فِي العهْد اَلقدِيم نَفسه، أوَّلاً عِنْدمَا اِسْترَاح يَشُوع بَعْد غَزْو كَنْعان (يَشُوع ٢١: ٤٣-٤٥)، ثُمَّ عِنْدمَا جلس سُلَيْمَان على عَرْش إِسْرائيل، بيْنمَا كَانَت اَلأُمَّة فِي أَوجِها وَسُمِع بِثرْوَته وحكْمَته فِي جميع أَنحَاء العالم الكائن وَقتها (مُلُوك الأوَّل ٤: ٢٠–٣٤). ومع ذَلِك، فَإِنَّ اَلعُنصر الرَّابع مِن هذَا الوعْد ظَلَّ غَيْر مُحقَّقٍ إِلى حدٍّ كبير: «تَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ

Chase R. Kuhn and Paul Grimmond (Bellingham, WA: Lexham, 2021), 24–25.

قَبَائِلِ الأَرْضِ» (التَّكْوين ١٢: ٣). يَتَردَّد صدى هذَا الوعْد خِلاَل العهْد اَلقدِيم والْعَهْد اَلجدِيد (على سبيل المثَال؛ أَعمَال الرُّسل ٣: ٢٥)، بيْنمَا تحْقيقه النِّهائيُّ يَأتِي بِجَمع مُتَعدِّد الثَّقافات حَوْل العرْش فِي الرُّؤْيَا ٧: ٩-١٢.

مِن الأهمِّيَّة بِمكان فِي العهْد اَلقدِيم أن يُسمَع اَللَّه لاَ أن يُرى. فَقْد ذكَّر مُوسَى الجيل الثَّاني مِن اَلخُروج قائلاً: «كَلَّمَكُمُ الرَّبُّ مِنْ وَسَطِ النَّارِ وَأَنْتُمْ سَامِعُونَ صَوْتَ كَلاَمٍ، وَلكِنْ لَمْ تَرَوْا صُورَةً بَلْ صَوْتًا» (التَّثْنية ٤: ١٢). فبعكْس اَلأُمم مِن حَولهِم، لَم يكُن على إِسْرائيل أن يصْنعوا صُوَرًا تُمثِّل إِلهَهم (التَّثْنية ٤: ١٥-١٨). بل يَجِب أن تَكُون عِبادة اَللَّه اَلحَيّ مَسْأَلة سَمَاعٍ وإِيمَانٍ وَطاعَةٍ لِلْكلمات اَلتِي قالهَا عوضًا عَن الانْحناء أَمَام صُورَةٍ لَه. وعنْدَمَا طلب مُوسَى نَفسه أن **يرى** مَجْد اَللَّه (اَلخُروج ٣٣: ١٨)، فَإِنَّ الرُّؤْيَا اَلتِي أُعطِيت لَه لَم تكُن فِي صُورَة رُؤيَةٍ مُحَدَّدَةٍ (اَلخُروج ٣٣: ٢٣) وَلكِن فِي المناداة «بِاسْمِ اَلرَّبِّ» (اَلخُروج ٣٤: ٥). إِنَّ شَخصِيَّة اَللَّه الأبديَّة، وَالتِي تمَّ اِسْتعْراضهَا فِي اَلخُروج مِن مِصْر -كَونُه حنَّانًا ورحيمًا لَكنَّه أيْضًا عَادِلٌ- قد أُعلِنَت لِموسى.

هُنَاك بِالطَّبْع رؤى فِي نِقَاطٍ مُختلفَةٍ عَبْر كُلِّ العهْد اَلقدِيم، وأبْرزهَا تَرتَبِط بِالْأَنْبياء مِثْل إشعياء وحزْقيال ودانْيال. ومع ذَلِك، فَإِنَّ أهمَّ شَيْءٍ فِي خِدْمَة هؤلاء الأنْبياء أَنفسِهم هُو الطَّريقة اَلتِي جَلبُوا بِهَا «كَلاَمَ اَلرَّبِّ» لِشَعبِ اَللَّه. «فَصَارَ قَوْلُ اَلرَّبِّ [...]» (إشعياء ٣٨: ٤؛ إرميا ١: ٢؛ حزْقيَال ١: ٣؛ إِلخ)، «اِسْمَعُوا كَلاَمَ اَلرَّبِّ» (إشعياء ١: ١٠؛ ٢٨: ١٤؛ ٦٦: ٥؛ إرميا ٢: ٤؛ ١٩: ٣؛ حزْقيَال ٣٤: ٧؛ إِلخ)، و«هَكذَا يَقُولُ السَّيِّدُ اَلرَّبُّ» (إشعياء ٧: ٧؛ ٢٨: ١٦؛ ٤٩: ٧؛ ٥٦: ١؛

إرميا ٥: ١٤؛ ٦: ١٦؛ ٣١: ٣٥؛ حزْقيَال ٣: ٢٧؛ ٧: ٢؛ ٢٠: ٥؛ عَامُوس ١: ٣، ٦، ٩، ١١، ١٣؛ ٢: ١، ٤) تَتَلازَم فِي جميع الأسْفار النَّبويَّة. وَقعَت الدِّينونة على مَمْلَكتي إِسْرائيل وَيَهوذَا بِسَبب السُّلوك اَلذِي كشفَ أَنَّهُما رفَضَا «كَلمَةَ اَلرَّبِّ» اَلتِي جلبهَا لَهُم مُوسَى والْأَنْبياء.

يُميِّز خِطَابُ اَللَّه اَللفْظِيُّ لِشعْبه -مُبَاشرَةً، بِأيِّ طَرِيقَةٍ يخْتارهَا، أو مِن خِلاَل عَامِليَّة أَنْبيائه- بَيْن اَللَّه اَلحَيِّ الحقيقيِّ والْآلهة الزَّائفة اَلتِي تُمَثِّلهَا الأصْنام. وقد ذكَّر مُوسَى شَعْب إِسْرائيل بِالامْتياز الهائل المتمثِّل فِي أنَّ اَللَّه يَتكلَّم إِلَيْهم (التَّثْنية ٤: ٣٢-٣٣؛ ٥: ٢٦) خَاصَّةً لِأنَّ هذَا لَم يَكُن اِخْتبارًا شائعًا لَدى البشريَّة. كان التَّناقض مع الأصْنام اَلتِي اِنْتشَرتْ فِي العالم اَلقدِيم حادًّا: فَاَللَّه اَلحَيُّ لاَ يُرى بل يَتكلَّم؛ والْآلهة الوهْميَّة لَهَا صُوَر لَكِن لَم يَسمَع لَهَا أحدٌ صوْتًا. والسَّبب لَدى اَلنبِيِّ بسيط لِلْغاية:

> هِيَ كَاللَّعِينِ فِي مَقْثَأَةٍ فَلاَ تَتَكَلَّمُ! تُحْمَلُ حَمْلاً لأَنَّهَا لاَ تَمْشِي! لاَ تَخَافُوهَا لأَنَّهَا لاَ تَضُرُّ، وَلاَ فِيهَا أَنْ تَصْنَعَ خَيْرًا. (إرميا ١٠: ٥)

إِنَّها فِي الواقع آلهة وَهمِيَّة. وَحْده اَللَّه اَلذِي خَلَقَ كُلَّ الأشْياء، بِمَا فِي ذَلِك مَوهِبة الكلاَم واللُّغة البشريَّة، هُو القادر على التَّحَدُّث مع مخْلوقاته. إِنَّه لَشرَف عظيم أن يُخَاطبَك اَللَّه اَلحَيُّ.

على هَذِه الخلْفيَّة كَتَبَ كَاتِبُ العبْرانيِّين عن خِدْمَة يَسُوع بِاعْتبارهَا ذُروَة حديث اَللَّه. وَوَراء كُلِّ التَّنَوُّع فِي تَارِيخ العهْد اَلقدِيم ونبوَّاته تكمُن الحقيقة الأساسيَّة وَهِي أنَّ اَللَّه قد تكلَّم. وَهُو الآن فِي هَذِه الأيَّام الأخيرة تَكلَّم بِواسِطة اِبْنِه. هذَا الابْن هُو نَفسُه

«اَلكلِمـةُ»، إظهَـار اَللَّـه لِذاته. وَهُـو لَيْس مُجرَّد جالـبٍ لِلْوحْي؛ بل إِنَّه **هُـو** نَفسُـه الوحْـي. قـال يَسُـوع «اَلَّـذِي رَآنِـي فَقَـدْ رَأَى الآبَ» (يُوحنَّا ١٤: ٩). ومـع ذَلِـك فَهُـو أيْضًـا مَن جـاء مُتكلِّمًـا بِالْكلمات اَلتِـي أعْطاهَا لَـه أبـوه (يُوحنَّـا ١٧: ٨). إِنَّ ظَاهِـرة التَّكَلُّـم تَغمُـر خِدْمَـة يَسُـوع. فَهُو لَيْـس اَللَّـه الخالـق الموْجـود وسـط خليقَتـه فحسْـب، وَإِن كان هُـو بِالتَّأْكيـد كَذلِـك (يُوحنَّـا ١: ١٠)؛ بـل هَكـذَا يَتَكلَّـم كالابْـن مِـن اَلآب فِـي وسـط الخليقـة. لَقـد وصف يَسُـوع خِدْمتـه مِرارًا وتكْـرارًا بِكوْنِهَـا تكلُّمًا بِالْكلمـات اَلتِـي أُعطِيـت لَـه لِيتكَلَّـم بِهَا.

فِـي زَمانِنـا هـذَا، تُعَانِـي القناعـة بِـأنَّ اَللَّـه قـد خَاطَـب شَـعبَه بِكلمَـاتٍ مِـن الرَّفْـض بِانْتظـامٍ، لَيْـس فقـط مِـن قِبـل أُولئـك الَّذيـن يُنْكـرون وُجُـود إِلـهٍ يَتَكلَّـم فِـي المقَـام الأوَّل، وَلكِـن أيْضًـا مِـن قِبـل الآخريـن الَّذيـن يقْترحـون أنَّ القناعـة نفْسـهَا مُشَوَّشَـة. ومـع ذَلِـك، إِذَا تَخَلَّينَـا عـن تِلْـك القناعـة، فسـينْتهي بِنَـا اَلْحـال إِلى فِكْـرَة مُختلفَة تمامًـا عـن مَاهِيَّـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس ومفعوليَّتـه، وَهِي فِكْـرَة تَتعارَض مـع تَعاليـم يَسُـوع اَلتِـي فحصْناهَـا فِـي الفصْـل السَّـابق. فكيْـف إِذًا نَفهَـم هَـذِه الحقيقـة المذْهلـة أنَّ اَللَّـه اَلحَـيَّ يَتَكلَّـم؟

كَائِن جَوَّاد (تَواصليٌّ/تَشاركيٌّ): اَللَّه يَتَكلَّم

إِنَّ التَّكَلُّـم هُـو فِـي المقَـام الأوَّل فِعْـلُ تَواصُل/تَشَـارُك أو جُود. لَيْـس هـذَا فقط بِالطَّبْـع. فَقْد تَعكِـس بَعْضُ الكلمـات وأنْمَاط الكلاَم العاطفـة أو الإحْبـاط دُون عَنَـاء مُشاركتهَا مـع شَـخْصٍ آخـر. إِذ لاَ يَحْتـاج أحـد إِلـى أن يَكُـون علـى مَرمَـى البصر عِنْـد حُدُوث مِثْـل هَذِه «الانْفجـارات اللَّفْظيَّـة»، وَرُبَّمَـا يَكُـون مِـن الأفْضل عـدم وُجُود أحد.

لَكِن فِي مُعظَم الأحْيان، تَكُون الكلمات والْحديث وَسِيلَةً لِتوْصِيل أفْكارنَا ومشاعرنَا مع الآخرين. إنَّهَا سِمة خَاصَّة مِن سِمَات الحيَاة البشريَّة، وترْتَبط بِترْكيبتنَا الجسديَّة: لَديْنَا شِفَاه، وَحَنجرَة، ورئتَان حَتَّى نَتَمكَّن مِن الكلاَم، وآذان حَتَّى نَسمَع.

لَكِنَّ الإقْرار بِأنَّ اَللَّه شَخْص يَتَكلَّم بِكلمَاتٍ هُو أَمْرٌ يُثير أَسئِلةً مُهمَّةً. فَمِن اَلمُؤكَّد أنَّ المُسْتَقْبِلين مِن البشر فِي العهْديْنِ اَلقدِيم والْجديد سَمعُوا صوْتًا وفهموا الكلمات اَلتِي قِيلتْ لَهُم. وكانوا قَادرِين على مُشَاركَة هَذِه الكلمات مع الآخرين. ومع ذَلِك، فَإنَّ اَللَّه لَيْس إلَهًا ماديًّا، بِصَرف النَّظر عن تَجسُّد الابْن، وبالتَّالي لَيْس لَه شِفَاه أو حَنجرَة أو رِئتان لِتوْلِيد هَذِه الكلمات. إذًا، هل نَحْن مُحقُّون فِي اِعتِبار كَلاَم اَللَّه مُتطابقًا مع كَلامِنا؟ كَتَبَ إميل برونر Emil Brunner: «عِنْدمَا يَتَكلَّم اَللَّه، إذَا كان **هُو** حقًّا مَن يَتَكلَّم، فَإنَّ مَا يُقَال هُو شَيْء مُخْتَلِف تمامًا عَمَّا يُسَمِّيه النَّاس عَادَةً ‹كلامًا›».[٢] ومع ذَلِك، فَعلَى أحد الجانبيْنِ، جَانِب المُسْتَقْبِل، هذَا لَيْس صحيحًا. فَقَد سُمعَت كلمات اَللَّه، وفُهِمتْ، وأمْكن نَقلُها، تَمَامًا ككلمَات أيِّ مَصدَرٍ آخر. ولاَ حَتَّى كَارِثة بُرْج بَابِل (التَّكْوين ١١) كَانَت قَادِرة على مَنْع ذَلِك. مِن الواضح أنَّ اَللَّه لاَ يَحْتاج إلى أجْهزتنَا المادِّيَّة لِتحْقِيق هَذِه النَّتيجة. إذًا، مَا اَلذِي كان يَحدُث بِالضَّبْط عِنْدمَا تَكلَّمَ اَللَّه؟

2 Emil Brunner, *Dogmatics*, vol. 1, *The Christian Doctrine of God*, trans. Olive Wyon (London: Lutterworth, 1949), 15 (emphasis original).

اَلجُود (التَّواصل/التَّشارك) دَاخِل الثَّالوث

لَقد فَكَّر المسيحيُّون عَبْر اَلقُرون فِي هذَا الجانب مِن تَعالِيم الكتَاب اَلمُقدَّس وكيْف يَجِب أن نفْهمَه. وَحتَّى نَضطَلِع بِذَلك، نَحْتاج أوَّلاً أن نَتَراجَع خُطوَةً إلى الورَاء ونلاحظ أنَّ اَللَّه مُلْتَزِم بِشدَّة بِالتَّواصل. إنَّه كَائِن جَوَّاد (تواصليٌّ/تشاركيٌّ). لَقد ذَكرَت بِالْفِعْل مُلاَحظَة كِفِن فانهوزر أنَّ «لاَ شَيْء يَتَوافَق مع طَبِيعَة اَللَّه أَكثَر مِن خُروجه مِن ذَاتِه بِمقْتَضى المحَبَّة؛ مُحَقِّقًا التَّواصل مِن أَجْل اَلشرِكة».[٣] هَذِه النَّظْرة الثَّاقبة لَهَا تَارِيخ طويل جِدًّا.

كان جُوناثان إدواردز Jonathan Edwards أحد المدافعين الرَّائعين عن وُجهَة النَّظر هَذِه. وقد كتب فِي عام ١٧٢٣: «كَانَت الغاية اَلعُظمى والْجامعة مِن خَلْق اَللَّه لِلْعالم هِي أن يَجُود (يَتَواصَل/يَتَشارَك) بِذاته. إنَّ اَللَّه كَائِن جَوَّاد (تواصليٌّ/تشاركيٌّ)».[٤] يعتَقد إدواردز أنَّ «نَزعَة اَلجُود (التَّواصل/التَّشارك)» فِي حَيَاة اَللَّه الثَّالوثيَّة الأبديَّة تَرتَكِز على صَلاحِه (جُوْدَته) الثَّالوثيِّ:

> يَبدُو أَنَّه يَجِب أن يَكُون هُنَاك مَا هُو أَكثَر مِن وحدَة فِي اَلْجَوهر الأبَديِّ اللاَّمتناهي، وَإلاَّ فَإنَّ صَلاَح (جُوْدَة) اَللَّه لاَ يُمْكِن أن يَكُون لَه مُمَارسَة كَامِلة. أنْ تَكون كُلِّيَّ الصَّلاَح (كُلِّيَّ اَلجُود) فَهذَا يَعنِي أن تَرغَب وَتَسعَد بِإسْعَاد شَخْصٍ آخر بِالْقَدْر نَفسِه اَلذِي تَسعَد أَنْت بِه، أيْ أن تَسعَد فِي تَشَارُك

3 Kevin J. Vanhoozer, *Remythologizing Theology: Divine Action, Passion, and Authorship* (Cambridge: Cambridge University Press, 2010), 271.

4 Jonathan Edwards, "Miscellany 332, End of the Creation," in *The Works of Jonathan Edwards*, vol. 13, *The "Miscellanies," Entry Nos. a–z, aa–zz, 1–500*, ed. Thomas A. Schafer (New Haven, CT: Yale University Press, 1994), 410.

السَّـعادة لِلْآخـر بِقَـدر مَا تَسـعَد بِالاسْـتمْتاع بِهَا بِنفْسـك، إِنَّها الرَّغْبـة فِـي تَشَـارُك كُلِّ مَـا لَديْـك مِن سَـعادَة.[٥]

رُبَّمَـا كان إِدواردز يُطـوِّر أفْكارًا وجدهَـا فِـي أَقـوَال بِتـروس فَـان ماسـتريخت Petrus van Mastricht عـن صَلاَح (جُـودَة) اَللَّـه بِمَـا فِي ذَلِـك «قُدْرتـه الطَّبيعيَّـة فِـي اَلجُـود بِذاتـه» أو حَتَّى إِصرَار فرانسـيس توريتِـن Francis Turretin علـى أنَّ «مِـن أَسـبَاب كَـوْن الـصَّلاَح صلاحًـا هُـو رغْبتـه فِـي تَشَـارُك ذَاتِه».[٦] ومـع ذَلِـك، يُمْكِن تَتبُّـع الفكْرة نفْسـهَا عَبْـر أَقـوَال تُومَـا الأكْوينـيِّ Thomas Aquinas، وبُونافنتـورَا Bonaventure، وديونيسـيوس الزَّائـف Pseudo-Dionysius وُصـولاً إِلـى أفْلاطـون: «إِنَّ الـصَّلاَح مِـن طبيعَتـه اَلجُـود بِذاته».[٧] لَـم يُصْبِح اَللَّـه فَجـأَةً جـوَّادًا أو تشـاركيًّا كَنَتيجَـة لِخَلـق العالـم. بـل إِنَّ هـذَا هُـو مَـا كان علَيْـه اَللَّـه فِـي ذَاتِـه مُنْـذ الأزل. إِنَّـه جُـزْء مِن مَعنَـى كَونِه صالحًـا جـوَّادًا مُتَّسـمًا بِالْحبِّ المتمرْكـز حَوْل الآخر، حَتَّـى قَبْل وُجُود أيِّ خَلِيقَـة. إِنَّـه مِـن الأزل يَتَشـارَك معْرفَتـه، ومحبَّتـه، وَفَرَحَـه فِـي نَفسِـه دَاخِـل الثَّالـوث.[٨] كمَـا لَخَّصَت إِحْـدى الدِّراسـات الحديثة: «لاَ

5 Edwards, "Miscellany 96, Trinity," in *Works*, 13:263.

6 Petrus van Mastricht, *Theoretical-Practical Theology*, trans. Todd M. Rester, ed. Joel R. Beeke, vol. 2, *Faith in the Triune God* (Grand Rapids, MI: Reformation Heritage, 2019), 331. Francis Turretin, *Institutes of Elenctic Theology*, ed. James T. Dennison, trans. George Musgrave Giger, vol. 1 (Phillipsburg, NJ: P&R, 1992), 241 (3.20.2).
كان إدواردز على دراية بعمل هذين اللاهوتيَّينِ من القرن الماضي.

٧ «علاوةً على ذلـك، فـإنَّ السـبب في تشـارك الكيـان والـصلاح هو الصلاح نفسـه [...] ولهـذا يُقال إنَّ الـصلاح يجُود بذاتـه وبالكيان.»
Thomas Aquinas, *Summa contra Gentiles*, trans. Anton C. Pegis (New York: Hanover House, 1955), I.37.5; T. V. Kelly, *The Axiom "Bonum est diffusivum sui": A Historical Study* (Rome: International Pontifical Institute Angelicum, 1937).

8 Jonathan Edwards, "Concerning the End for Which God Created the World," in *The*

يُمْكِن أن يكُون اَللَّه بِبساطة هُو اَللَّه من دون تواصله الدَّاخليِّ فِي ذَاتِه».[٩]

هُنَاك نَوْعان مِن المخاطر اَلتِي يَجِب تَجَنُّبهَا هُنَا. أوَّلاً، يَجِب أن نُعْطِي وزْنًا مُتساويًا لِكلاَ البُعْديْن مِن وَاقِع حَيَاة اَللَّه الثَّالوثيَّة؛ التَّوْحيد والتَّثْليث. إنَّ «تَواصُل/تَشَارُك» اَللَّه مِن الأزل لَيْس عُضْوًا فِي اللاَّهوتِ يَكشِف لِآخر أَشيَاء لَم تَكُن مَعرُوفة مِن قَبْل، هذَا لِأنَّ اَللَّه وَاحِدٌ. ومع ذَلِك، فَهُو لَيْس أمْرًا وهْميًّا أيْضًا. بلْ إنَّه حَقيقِيٌّ لِأنَّ الإله الواحد هُو ثَالُوث. الخطر الثَّاني هُو تَفسِير كَلاَم إدواردز فِي ضَوْء وُجهات النَّظر الحديثة عن «التَّواصل/التَّشارك». فعنْد الإشارة إلى اَللَّه الثَّالوث، لاَ يُمْكِن أن يكُون «التَّواصل/التَّشارك» هُو مُجرَّد نَقْلٍ لِلْمعْلومات. بل إنَّه دائمًا أَكثَر مِن ذَلِك. إذ يَتَشارَك أَشخَاص (أَقانِيم) الثَّالوث الحيَاة والْبهْجة والْمحبَّة والْفَرح، وَكذَلِك المعْرفة. إنَّ التَّواصل/التَّشارك الأزَليَّ لَدى اَللَّه هُو جُوده بِذاته مِن الأزل بَيْن الأشْخاص (الأقانيم)، فِي الوحْدانيَّة العميقة لِلْكائن اَلذِي هُو الثَّالوث الإلَهيُّ.[١٠]

Works of Jonathan Edwards, vol. 8, *Ethical Writings*, ed. Paul Ramsey (New Haven, CT: Yale University Press, 1989), 432–33. William M. Schweitzer, *God Is a Communicative Being: Divine Communicativeness and Harmony in the Theology of Jonathan Edwards* (London: T&T Clark, 2014), 13.

يُعتبَر مؤلَّف سكوت سوين Scott R. Swain مفيدًا بشكلٍ خاصٍّ، والذي أُصدِر مؤخَّرًا في إطار هذه السلسلة: سكوت سوِين، **الثالوث: مقدِّمة** (القاهرة، مصر: EPI، ٢٠٢٢).

9 Schweitzer, *God Is a Communicative Being*, 66.

١٠ يعكس العهد الجديد هذا «الاتِّصال/التشارك» الباذل للذات عندما يقول إنَّ الآب هو مِن نفسه، والابن هو مِن الآب، والروح هو مِن الآب والابن (يوحنَّا ٥: ٢٦؛ ١٥: ٢٦). هذه الانبثاقات الإلهيَّة، كما سنرى، تظهر في الإرساليَّات الإلهيَّة (غلاطيَّة ٤: ٤-٦).

فِي القرْن العشْرين، خضع الاقْتناع بِأنَّ «اَللَّه اَلحَيَّ يَتَكلَّم» لِفَحصٍ شديدٍ. كان أحد السِّياقات هُو عدم الارْتياح المتزايد تُجَاه الاحْتكام إِلى الوحْي اَللفْظِيِّ، وَحتَّى تُجَاه فِكْرَة الوحْي نفْسهَا بِالنِّسْبة لِلْبعْض. كمَا أَوضَح كُولِن غانتِن Colin Gunton ذات مَرَّة: «إِنَّ جَوهَر الاعْتداء اَلحدِيث فِي فِكْرَة الوحْي [...] مُتَجذِّر فِي مُشْكِلة السُّلْطة والطَّريقة اَلتِي يَبدُو بِهَا أَنَّهَا تَنتَهِك اِسْتقْلاليَّة الإِنْسان».[11] إِنَّنا لاَ نُرِيد أن يُقَال لَنَا مَا يَجِب علَيْنَا فِعْله أو الإِيمان بِه، ولو حَتَّى مِن اَللَّه، وَلذَا فَإِنَّنَا نَنفُر مِن فِكْرَة أَنَّ هُنَاك كلمات فِعْليَّة مِن اَللَّه قد نُحَاسَب وفْقًا لَهَا. كان السِّيَاق الآخر المتداخل هُنَا هُو الصِّرَاع على طَبِيعَة اَللغَة اَلتِي تُشير إِلى اَللَّه. لَقد لاَحظْنَا بِالْفِعْل تَعلِيق إِميل برونر (اُنظُر ص ٧٨). يُمْكِن اِسْتشْعار التَّوَجُّه نَفسه فِي أَقوَال وُولفهارت بانِنبرغ Wolfhart Pannenberg: «مِن اَلممْكِن مَجازِيًّا فقط أن نَقُول إِنَّ اَللَّه غَيْر المنْظور يَتَكلَّم».[12] لَكِنَّ السُّؤَال اَلمُلِحَّ هُو مَا إِذَا كان هذَا مَا فَهمَه يَسُوع.

لِأَكْثر مِن خَمسَة وَعشرِين عامًا، أَجرَى الفيْلسوف نِيكولاس ولترستورف دِراسةً مُسْتدامةً عن اَللَّه بِاعْتباره شخْصًا يَتَكلَّم. كان عمل ولترستورف الرَّئيسيُّ بشأن هذَا الموْضوع بِعنْوَان الخطَابُ الإِلَهيُّ: **تَأَمُّلَات فَلسفِيَّة فِي الادِّعاء بِأَنَّ اَللَّه يَتَكلَّم** Divine

11 Colin E. Gunton, *A Brief Theology of Revelation* (Edinburgh: T&T Clark, 1995), 31. وقد أدلى جون وِيسْتِر بتعليق مشابهٍ ومذهلٍ بالمثل: «إِنَّ جوهر الصعوبة التي نواجهها في التعامل مع الكتاب المقدَّس لَيس إمكانيَّة تصوُّر أن يتَّخذ الوحي شكلاً مخلوقًا ولكن كراهيتنا لهذا التصوُّر».

Webster, "Biblical Reasoning," in *The Domain of the Word: Scripture and Theological Reason* (London: T&T Clark, 2012), 21.

12 Wolfhart Pannenberg, *Jesus—God and Man*, trans. Lewis L. Wilkins and Duane A. Priebe, 2nd ed. (Philadelphia: Westminster Press, 1977), 167.

Discourse: Philosophical Reflections on the Claim That God Speaks[١٣] بِمثابـة اِنـعِكاسٍ فَلسَـفِيٍّ وليْس تأمُّلاً كِتابِيًّا أو لاهوتيًّا، وَكَان تَرْكيـزه منْصبًّا على الادِّعـاء بِأنَّ «اَللَّه يَتَكلَّم» عوضًا عـن «تَكلُّم اَللَّه». فِـي ضَـوْء هـذَا، أَوضَح ولترسـتورف أَنَّه حَتَّى بِالنِّسْـبة لِلْبشـر، «هُنَاك طُـرُق عَدِيـدَة لِقَـول الأَشْـياء بِخلاف إِصـدَار الأَصْـوات بِجهـازٍ صَوتِيٍّ أو كِتابـة علامَـات خَطِّيَّـة بِأَحد أَطْرافه»، مِمَّا يَتـرُك اِحْتمالاً مَفتُوحًا أن «يَتَسـبَّب اَللَّـه فِـي إِصدَار صَـوْت أو كِتابة الكلمات على الرَّغْم مِن أنَّ اَللَّـه لَيْـس لَه جسـد».[١٤] مِـن خِلاَل تَطبِيق نَظَريَّـة الكلاَم-الفعْـل اَلتِي طوَّرهَـا الفلاسـفة جُـون أُوسْـتِن John Austin وَجُـون سِـيرل John Searle، حَـدَّد وُولترسـتورف بعْضًـا مِـن هَـذِه «الطُّـرق العديدة».

اِلتقَـط كِفِـن فانهوزر أيْضًا نَظَريَّـة الكلاَم-الفعْل واسْـتخْدمهَا فِي مَعـرض حَديثِـه البـارز عـن «الألوهـة التَّشـارُكيَّة» تَحْت عُنْـوان **إعادة الأسـاطير إِلـى اللاَّهـوتِ: العمـل الإِلَهـيُّ، والْعاطفـة، والتَّأْليـف Remythologizing Theology**: Divine Action, Passion, and Authorship. وَوصَـف مَشـرُوعه بِأَنَّـه «اِسْـتقْراء مِـن كَلاَم اَللَّـه إِلـى كَينُونـة اَللَّـه»، وملاحقًـا السُّـؤَال «مَـاذَا عَسَـاه اَللَّه أن **يَكُـون**؟ (أيْ، **مَا طَبِيعَـة** شَـخصِه) حَتَّى يَسـتطِيع أن يَفعَل مَـا يَقُول الكتَـاب اَلمُقدَّس أَنَّـه يفْعلـه؟».[١٥] تَوضَّحَـت هَـذِه النُّقْطـة مِـن خِلاَل مُلاحظتـه أَنَّـه «لاَ يُوجَـد نَشَـاط مُميَّـز أو مُتَكـرِّر الذِّكْـر فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس بِالْقَـدْر اَلـذِي نَـرَاه فِـي حَالَة تَكلُّـم اَللَّـه».[١٦] وَدعَا فانهـوزر قُرَّاءه إِلـى التَّفْكير

13 Cambridge: Cambridge University Press, 1995.

14 Wolterstorff, *Divine Discourse*, 37.11 ,

15 Vanhoozer, *Remythologizing Theology*, 186–87)emphasis original).

16 Vanhoozer, *Remythologizing Theology*, 212.

فِـي اَلبدِيل:

> إِذَا كان اَللَّـه لاَ يَقُـوم بِالْممارسـة الحرفيَّـة لِلتَّكَلُّـم، فلاَ يُمْكننَـا أن نَقُـول إِنَّ اَللَّـه يَأمُـر، ويبـارك، وَيعِـد، ويحـذِّر، [...] إِلـخ. وَبمعْـزِلٍ عـن هَـذِه الأعْمـال التَّواصليَّـة الإلهيَّـة، فَـإِنَّ قِصـص الآبَـاء الأوَّلين وَتارِيخ إِسْـرائيل بِأكْمَله سـيكونان غَيْـر مفْهومَيْنِ. بـل مَـا هُـو أَكثَـر إِثْلافًـا: **إِنْ كان اَللَّـه لاَ يَتَكلَّـم فَهُـو لاَ يَدخُل فِـي عَهْدٍ.**[١٧]

إِنَّ القناعـة بِـأنَّ اَللَّـه يَتَكلَّـم هِـي أَمْـر بَالِـغ الأهمِّيَّـة مِـن جِهـة تَكشُّـف «ثِيودرامَـا Theodrama» الكتَـاب اَلمُقـدَّس. ومـع ذَلِـك، فَإِنَّ مَـا يفْعلـه اَللَّه فِـي تَدبِير اَلخَلق والْفـداء يَنبُع مِن كَينُونـة اَللَّه الأزليَّة. فَهُـو لاَ يَتَصـرَّف أبـدًا خَـارِج نِطَـاق طبيعَتـه. لاَ يَتَغيَّر أبدًا فِـي جَوهَر كِيانـه بِسَـبب الظُّـروف اَلتِـي قـد تَبـدُو غَيْـر مُتَوقَّعَـة أو خَارِجـة عـن إِرادَته.

مِـن الجيِّـد أَلاَّ نَأخُـذ هـذَا الأمْـر إِلـى مَـا هُـو أَبعَـد مِمَّـا يَنبَغِـي. فالزَّمـن والْأبديَّـة لَيسَـا نَفْـس الشَّـيْء وَيجِـب أن نَتَجنَّـب أن يَغْـور أَحَدهمَـا فِـي الآخـر. لَسـنَا بِحاجـة إِلـى فَـرْض كُلِّ جَانِـبٍ مِـن جَوانِب تَكلُّـم اَللَّـه فِـي العالـم علـى التَّواصل/التَّشـارك الإلَهـيِّ الأزَلـيِّ. ومع ذَلِـك، فَـإِنَّ الاثْنيْـنِ مُرْتبطـان. فَاَللَّـه هُـو كيْفمَا يُقـدِّم نَفسَـه لَنَا؛ [أيْ أنَّ كيْنونتـه تَتَطابَـق مـع مَـا يُقَدِّمـه لَنَـا عـن نَفسِـه]. يُمْكننَـا أن نَقُـول مـع فانهـوزر «إِنَّ اَللَّـه فِـي نَفسِـه (**فِـي ذَاتِـه؛ دَاخِـل ذَاتِـه**) يَتَمتَّـع بِالتَّواصل/التَّشـارك اللاَّنهائـيِّ والْمُتحقِّـق بِالْكامـل بَيْـن أشْـخاصه»

17 Vanhoozer, *Remythologizing Theology*, 213–14) emphasis original).

وَهـذَا مَـا يفيـض فِـي تعـاملات اَللَّـه مـع الخليقـة.[١٨] وَهـذَا الفائـض يُؤسِّـس العلاقـة ويُحْـدِث الفـدَاء، لَكنَّه يَكشِـف أيْضًـا عن اَللَّـه كيْفمَا هُـو بِالْحقيقـة. كمَـا قـال جُـون وِبسْـتر «إنَّ نَشَـاط الإعْلان الإلَهيِّ هُو كَينُونـة اَللَّـه الثَّالـوث فِـي تَوجُّهِها الخارجـيِّ».[١٩] إحْدى النَّتائـج اَلمهِمَّة لِهَـذه الملاحظـة هِـي أنَّ قَـرَار اَللَّـه بِالتَّكلُّـم فِـي وَإلَـى العالـم اَلـذِي صَنعَـه لَيْـس أمْرًا عشْـوائيًّا. بل هذَا مَـا يَجِب أن نَتَوقَّعَـه لِأنَّ اَللَّه هُو مَـن هُـو حقًّـا. كمَا قـال إدواردز، هُنَـاك «اِنسِـجام» بَيْن كَيفِيَّـة اِرتِباط اَللَّـه بِالْعالـم وَهوِيَّـة اَللَّه فِـي ذَاتِه.

التَّواصل/التَّشارك كَتعبِيرٍ عن العَلاقَة مع مخْلوقاتِه

كان قَـرَار اَللَّـه اَلحُـرُّ والْمنْطقـيُّ حِيـن خَلَـقَ هُـو قَـرَارًا شَـخصِيًّا، وليْـس مِيكانيكيًّـا فقـط. إذ إنَّ هُنَـاك عَلاقَـة حَمِيمَـة خَاصَّة فِـي خَلْقه لِلرَّجـل والْمـرْأة تُؤسِّـس لِعلاقـةٍ فَرِيـدَة بَيْـن الخالـق ومخْلوقاتـه البشـريَّة. فخاطبهـم بِكلمَـاتٍ مِـن المُفْتـرَض أن تُسـمَع وتُفهَـم، وأن تَسـتتْبِع اِسْـتجابة حِيـن يلـزم الأمْـر. وَبمَـا أنَّ اَللَّـه قـد جـاد بِذاتـه، فَهُـو قـد فعل ذَلِـك بِطريقة شَـخصِيَّة مُتناغمـة مع المخْلوقـات اَلتِي صنعهَـا. كمَـا كتـب وِيلْيَـام شـوايتزر William Schweitzer: «إنَّ اَللَّه كَائِـنٌ ذَكِيٌّ وعلائقيٌّ يَتَميَّز بِسـمة التَّواصل/التَّشـارك، وَهُـو مَوجُود فِي تَواصُل/تَشَـارُك أَزلِـيٍّ بَيْـن اَلآب والابْـن والـرُّوح. وقـد صُمِّـم البشـر، المخْلوقـون علـى صُـورَة اَللَّـه، لِيكونـوا علـى اِتِّصـالٍ مـع خَالقِهم».[٢٠]

18 Vanhoozer, *Remythologizing Theology*, 244.

19 John Webster, *Holy Scripture: A Dogmatic Sketch* (Cambridge: Cambridge University Press, 2003), 9.

20 Schweitzer, *God Is a Communicative Being*, 65.

لَقد خُلِق البشر لِيكوُنوا، مِن بَيْن أُمُورٍ أُخرَى، لِيشاركوا اَللَّه اَلحدِيث.

يُقدِّم الكتَاب اَلمُقدَّس اَللَّه بِاعْتباره أَوَّل مَن اِسْتَخْدم الكلمات البشريَّة. فَقْد خَاطَبَ الرَّجل والْمرْأة بِكلمَات البرَكة، والتَّكْليف، ثُمَّ الإنْذار، وقد كَانَت الكلمات وَاضِحة فِي كُلِّ حَالَةٍ (التَّكْوين ١: ٢٨-٣٠؛ ٢: ١٥-١٧). وَمِن خِلاَل القيَام بِذَلك أَظهَر أنَّ اَللغَة البشريَّة لَيسَت إنْجازًا بل مِنحَة. إنَّها وَسِيلَة صمَّمهَا اَللَّه لِتسْهِيل العلاقة، بَيْن مخْلوقاته البشريَّة كمَا هُو وَاضِحٌ، وَلكِن بِشَكلٍ بَارِزٍ وَفائِقٍ مع اَللَّه خالقهم. كَانَت طَبِيعَة اَللغَة المُسْتخْدَمة هِي «المواءمة»، وَهذَا المعْنى لَه أَهَمِّيَّة كَبِيرَة. إذ إنَّ جميع الاتِّصالات الفعَّالة تَأْخُذ فِي الاعْتبار الشَّخْص المتلقِّي. وَمِن أَوَّل البدْء، فَعَلَ اَللَّه ذَلِك خِلاَل تعامُله مع مخْلوقاته البشريَّة. هذَا لاَ يَعنِي أنَّ اَللغَة اَلتِي اِسْتخْدمهَا اَللَّه فِي هذَا الاتِّصال كَانَت مَعِيبَة أو قَاصِرة أو خَاطِئة بِأيِّ شَكْلٍ مِن الأشْكال.[٢١] بل قد أَنجَزت بِشَكلٍ كَامِلٍ وصحيحٍ الأغْراض اَلتِي صُمِّمَت مِن أَجلِها (إشعياء ٥٥: ١٠-١١). ومع ذَلِك، لَم يَكُن القصْد مِنهَا أبدًا أن تَمنَح مَعرِفةً **شَامِلةً** بِاللَّه أو حَتَّى

٢١ في القرنَين السادس عشر والسابع عشر، تمَّ استخدام مفهوم «المواءمة» بطريقتين مختلفتين. الأوَّل، بقلم جون كالفِن وأتباعه، يصف الطريقة التي يؤمِّن بها الله فهمنا من خلال التكلُّم «بلغة العوامِّ من الناس».

Calvin, *Institutes of the Christian Religion*, ed. John T. McNeill, trans. Ford Lewis Battles (Philadelphia: Westminster Press, 1960), 1.11.1.

أمَّا الطريقة الثانية، لدى فاوستُس سوتشينوس Faustus Socinus وعقلانيِّين آخرين، تشير إلى أنَّ الله يؤمِّن الفهم البشريَّ من خلال تبنِّي منظور مستمعيه حتَّى عندما يكون خاطئًا. إنَّ الهوَّة التي تنفتح بين هذين الاستخدامين هائلة: في أحدهما، «النصُّ صحيحٌ لأنَّه ملائم لاحتياجات الناس»؛ أمَّا في الآخر «فالنصُّ خاطئٌ لأنَّه تمَّت مواءمته مع معتقدات الناس الخاطئة».

Glenn S. Sunshine, "Accommodation Historically Considered," in *The Enduring Authority of the Christian Scriptures*, ed. D. A. Carson (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2016), 258.

بِمقاصده. بل كمَا قال مُوسَى لِلْإِسْرائيليِّين المرْتحلين «السَّرَائِرُ لِلرَّبِّ إِلهِنَا، وَالْمُعْلَنَاتُ لَنَا وَلِبَنِينَا إِلَى الأَبَدِ، لِنَعْمَلَ بِجَمِيعِ كَلِمَاتِ هذِهِ الشَّرِيعَةِ» (التَّثنية ٢٩: ٢٩).

تَتَضمَّن المواءمة اَلتِي يَقُوم بِهَا اَللّٰه اِسْتخْدام الصُّور الملْموسة من الخبْرة البشريَّة، والتَّجْسيم، والتَّقْريب، ومجْموعة مُتَنوِّعَة أُخرَى مِن الأدوات اَلتِي تُمكِّن اَللغَة مِن نَقْل المعْنى بِوضوح وَقوَّة إِقنَاعٍ. يُركِّز اِسْتخْدام اَللّٰه لِلُّغة على خَيْر المتلقِّي: بِكلمة تَعزية عِنْدمَا يُوَاجِه المرْء ظُروفًا طَاحِنة، أو كلمات التَّحَدِّي والْحَفْز فِي لَحَظات اللاَّمبالاة، أو كَلمَة تَحذِير فِي مُوَاجهَة خطرٍ غَيْر مُدْرَكٍ. وفوْق كُلِّ شَيْء، فَإِنَّ كَلاَم اَللّٰه هُو كَلمَة شَهادَة، تَشهَد لِشخْصيَّته وَهدَفِه، وتشْهد بِالْأساس لِلشَّخْص اَلذِي يُجسِّد هَذِه الشَّخْصيَّة تمامًا ويحقِّق هذَا الغرض.

إِنَّ اَللّٰه هُو مُتَواصِل فَعَّال يُرَاعِي اِحْتياجات وَقدُرات سَامعِيه. فَهُو لاَ يَتَعثَّر أو يَخدَع أو يَتَلاعَب بِكلماته. بل يَسعَى إِلى خَيْر أُولئك الَّذين يَتَحدَّث إِليْهم. فَحتَّى عِنْد تَقدِيم تَحذِير صَارِخ بالدينونة الوشيكة، فَإِنَّه يَبدُو دائمًا أَنَّ اَللّٰه يُوفِّر فُرصَةً لِلتَّوْبة والْخلاص. قِصَّة يُونان هِي مِثَال على ذَلِك، حِين وَعَظَ لِمدينة نينوى. فبإِعْلانٍ بِلاَ هَوادَةٍ عن دَينُونةٍ وَشِيكَةٍ ومروِّعةٍ، يَلفِت سفر يُونان اِنتِباه اَلقُرَّاء إِلى حَقِيقَة أَنَّ اَللّٰه طلب مِنْه أن يَعِظ بِسَبب شَفقَتِه على «نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يُوجَدُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنِ اثْنَتَيْ عَشَرَةَ رِبْوَةً مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ يَمِينَهُمْ مِنْ شِمَالِهِمْ، وَبَهَائِمُ كَثِيرَةٌ؟» (٤: ١١). مِن اَلجدِير بِالذِّكْر أَنَّ يُونان كان يَعلَم أَنَّ هذَا هُو مَا كان اَللّٰه سيفْعَله مُنْذ البداية، وَلِهذَا السَّبب ركض اَلنبِيُّ المتردِّد فِي الاتِّجاه

المعاكس (٤: ٢).

إِنَّ أَوصَاف الكتَاب اَلمُقدَّس لِكلام اَللَّه لَيسَت أُسْطوريَّة وليْستْ مَجازِيَّة؛ ومع ذَلِك، كمَا هُو اَلْحال مع كُلِّ أَشكَال اَلحدِيث عن اَللَّه، فَإِنَّنَا يَجِب أنْ نُدْرِك مَبدَأ التَّشْبيه. إِنَّ كَلاَم اَللَّه يُشْبِه كَلاَمنَا فِي بَعْض النَّواحي -بِمَا فِي ذَلِك اِسْتخْدام الكلمات، وإِمْكانيَّة اِسْتيداعِه بِالْكتابة، وإِتاحته لِلتَّرْجمة عَبْر حَواجِز اَللغَة، ومَا إِلى ذَلِك- وَلَكنَّه يَختَلِف عن كَلامِنا فِي نَوَاحٍ أُخرَى. لِذَلك لاَ يَحْتاج اَللَّه إِلى جِهَازٍ صَوتِيٍّ جَسدِيٍّ، ولاَ يَخضَع حديثه أبدًا لِلْقصور أو الجهْل أو اَلخُبث. ومع ذَلِك، فَإِنَّ الشَّهادة المتَّسقة فِي العهْديْنِ اَلقدِيم والْجديد هِي أنَّ كَلاَم اَللَّه قد سُمِع وَفُهِم وأَحْيانًا نُوقِش وَنُقِل إِلى الآخرين.

عَامِلِيَّة تشاركيَّة:
يَتَكلَّم اَللَّه مِن خِلاَل سُفَراء مِن البشر

لَقد تَكلَّم اَللَّه بِشَكلٍ مُبَاشِرٍ ومسْموعٍ إِلى مخْلوقاته البشريَّة مُنْذ البداية. لَقد تَكلَّم اَللَّه بِكلمَاتٍ إِلى آدم وَحَوَّاء فِي الجنَّة بِطريقة لَم تُشرَح بِالتَّفْصيل (التَّكْوين ٢-٣)، وبالْمثْل إِلى أبرَام فِي حاران (التَّكْوين ١٢)، وَمُوسَى فِي بَرِّيَّة سَيْناء (اَلخُروج ٣) ولصموئيل وَهُو رَاقِد على سَريرِه فِي شيلوه (صَموئِيل الأَوَّل ٣). كمَا سُمِع صَوْتٌ مِن السَّمَاء عِنْد معْموديَّة يَسُوع وَتجلِّيه (مَتَّى ٣؛ ١٧). مِن الواضح أنَّ مُخَاطبَة اَللَّه لِمخْلوقاته البشريَّة بِهَذه الطَّريقة هُو أَمْرٌ يَتَماشَى مع شخْصيَّته وَهدَفِه. ومع ذَلِك، لَم تَكُن هَذِه هِي

الطَّريقـة الأكْثـر شُـيوعًا اَلتِي عَبَّر بِهَـا اَللَّه عن شَـخصِه وإرادته. إذ قد عَيَّـن وأوْكَل السُّـلْطة لِمـن سـيعْلنون كَلِمتَـه لِلْآخرين.

النَّمطُ النَّبَويُّ

كان مُوسَـى هُـو النَّمـط. تَحـدَّث اَللَّـه مُبَاشـرَةً إِلـى مُوسَـى «وَجْهًا لِوَجْـهٍ، كَمَـا يُكَلِّـمُ الرَّجُـلُ صَاحِبَـهُ» (الخـروج ٣٣: ١١)، وَكَان على مُوسَـى أن يَنقُـل كَلاَم اَللَّـه أوَّلاً إِلـى بَنِـي إِسْـرائيل ثُـمَّ إِلـى فِرْعَـوْن. قـال اَللَّـه لِموسـى: «اذْهَـبْ وَاجْمَعْ شُـيُوخَ إِسْـرَائِيلَ وَقُلْ لَهُـمُ: الرَّبُّ إِلـهُ آبَائِكُـمْ، إِلـهُ إِبْرَاهِيـمَ وَإِسْـحَاقَ وَيَعْقُـوبَ ظَهَـرَ لِي قَـائِلاً: [...]» (اَلخُـروج ٣: ١٦). وعنْدَمَـا اِشـتكَى مُوسَـى مِـن أَنَّـه لَيْـس فصيحًـا فِـي الـكلاَم، أَوضَـح اَللَّـه لَـه كَيْـف سـيتغَلَّب على هَـذِه الصُّعوبـة: «مَـنْ صَنَـعَ لِلإِنْسَـانِ فَمًـا؟ أَوْ مَـنْ يَصْنَـعُ أَخْـرَسَ أَوْ أَصَـمَّ أَوْ بَصِيـرًا أَوْ أَعْمَـى؟ أَمَـا هُـوَ أَنَـا الـرَّبُّ؟ فَالآنَ اذْهَـبْ وَأَنَا أَكُـونُ مَعَ فَمِـكَ وَأُعَلِّمُكَ مَـا تَتَكَلَّـمُ بِـهِ» (الخُروج ٤: ١١-١٢). لَم يُترَك مُوسَـى لِمصـادر إِمْداداته الخاصَّـة لِيخاطـب النَّـاس نِيابـةً عـن اَللَّـه. بـل قـد أَعطَـاه اَللَّـه وعْـدًا بِتدْبيـره اَلْخـاصِّ. وسَـيُمكِّنه اَللَّـه مِـن الـكلاَم ويوجِّهـه فِـي مَـا يَقُول. عِنْدمَـا أصـرَّ مُوسَـى على عـدم رَغبَتِـه فِـي الذَّهَـاب، وَفَّـرَ اَللَّـهُ لَـه مُتحدِّثًـا رسْـميًّا؛ أَخَـاه هَـارُون. وقد لَخَّـص اَللَّه تَرتِيـب الأمْر على هذَا النَّحْـو: «فَتُكَلِّمُـهُ وَتَضَـعُ الْكَلِمَـاتِ فِـي فَمِهِ، وَأَنَـا أَكُونُ مَعَ فَمِـكَ وَمَعَ فَمِـهِ، وَأُعْلِمُكُمَـا مَـاذَا تَصْنَعَانِ. وَهُوَ يُكَلِّمُ الشَّـعْبَ عَنْـكَ. وَهُوَ يَكُونُ لَـكَ فَمًـا، وَأَنْـتَ تَكُـونُ لَـهُ إِلهًـا» (الخُـروج ٤: ١٥-١٦).

وَفِـي مَـا بَعْد قال اَلرَّبُّ لِموسـى: «انْظُرْ! أَنَا جَعَلْتُـكَ إِلهًا لِفِرْعَوْنَ. وَهَـارُونُ أَخُـوكَ يَكُـونُ نَبِيَّكَ» (اَلخُروج ٧: ١). هَكـذَا أيْضًا يَتَردَّد صدى

العلاقة بَيْن اَللَّه ونبيِّه بِطريقةٍ غَيْر عَادِيَّة فِي العلاقة بَيْن مُوسَى وهارون. إذ سيتكَلَّم هَارُون إلى النَّاس بِكلمَات **مُوسَى**، وَهذَا مِثَال على مَا يُمْكِن أن تَصفَه النَّظريَّة اللُّغويَّة الحديثة بِأَنَّه «خِطَابٌ مُفوَّضٌ»: شَخْص يَتَحدَّث بِكلمَاتِ شَخْصٍ آخر. ومع ذَلِك، فَإِنَّ هذَا التَّرْتيب بِأَكْمَله يَتَرسَّخ فِي التَّكْليف القادم مِن اَللَّه. عِنْدمَا كان مُوسَى يَقتَرِب مِن نِهاية خِدْمته، قَطَعَ لَه اَللَّهُ وعْدًا، وَهذَا الوعْد جعل مِن هذَا نموذَجًا لِلْمُسْتقْبل:

> أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ. وَيَكُونُ أَنَّ الإِنْسَانَ الَّذِي لاَ يَسْمَعُ لِكَلاَمِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا أُطَالِبُهُ. وَأَمَّا النَّبِيُّ الَّذِي يُطْغِي، فَيَتَكَلَّمُ بِاسْمِي كَلاَمًا لَمْ أُوصِهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، أَوِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ آلِهَةٍ أُخْرَى، فَيَمُوتُ ذلِكَ النَّبِيُّ. (التَّثنية ١٨: ١٨-٢٠)

هذَا هُو تَكلِيفُ اَللَّه، وَهُو يَعنِي أنَّ اَللَّه قَادِرٌ على مُخَاطبَة شَعبِه مِن خِلاَل هؤلاء الوكلاء مِن البشر دُون أن تَفقِد الكلمات المَنْطوقة أيَّ قَدْرٍ مِن السُّلْطة. اِسْتَكْشف وُولترستورف أَوجُه التَّشابه مع هذَا فِي الخبْرة الإنْسانيَّة العاديَّة، على سبيل المثَال فِي حَالَة اَلسفِير اَلمُخوَّل بِنَقل إرادة حُكومَته أو حُكومتهَا. وَخَلَصَ إلى التَّالي:

> تَجدُر الإشارة إلى أنَّ تَفوِيض بَعْض السُّلْطة اَلتِي يَتَمتَّع بِهَا المرْء إلى شَخْصٍ آخر لاَ يَعنِي التَّنازل عن تِلْك السُّلْطة وتسْليمهَا إلى ذَلِك الشَّخْص الآخر؛ بل بِالْأَحْرى أن يُمَارِس اَلمُوكِّل تِلْك السُّلْطة عن طريق الإجْراءات اَلتِي يَقُوم بِهَا

ذَلِك الشَّخْص الآخر اَلذِي يَتَصرَّف كَنائِبٍ لَه.[٢٢]

تُعْطِي هَذِه السُّلْطة ثِقْلاً وَقيُودًا مُعَيَّنَة ومحدَّدة لِمَا قد يقوله اَلنبِيُّ على أَنَّه «كَلِمَة الربِّ». كان هذَا واضحًا فِي خِدْمَة إرميا:

> هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: لاَ تَسْمَعُوا لِكَلاَمِ الأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ يَتَنَبَّأُونَ لَكُمْ، فَإِنَّهُمْ يَجْعَلُونَكُمْ بَاطِلاً. يَتَكَلَّمُونَ بِرُؤْيَا قَلْبِهِمْ لاَ عَنْ فَمِ الرَّبِّ. قَائِلِينَ قَوْلاً لِمُحْتَقِرِيَّ: قَالَ الرَّبُّ: يَكُونُ لَكُمْ سَلاَمٌ! وَيَقُولُونَ لِكُلِّ مَنْ يَسِيرُ فِي عِنَادِ قَلْبِهِ: لاَ يَأْتِي عَلَيْكُمْ شَرٌّ. لأَنَّهُ مَنْ وَقَفَ فِي مَجْلِسِ الرَّبِّ وَرَأَى وَسَمِعَ كَلِمَتَهُ؟ مَنْ أَصْغَى لِكَلِمَتِهِ وَسَمِعَ؟ [...] لَمْ أُرْسِلِ الأَنْبِيَاءَ بَلْ هُمْ جَرَوْا. لَمْ أَتَكَلَّمْ مَعَهُمْ بَلْ هُمْ تَنَبَّأُوا. وَلَوْ وَقَفُوا فِي مَجْلِسِي لأَخْبَرُوا شَعْبِي بِكَلاَمِي وَرَدُّوهُمْ عَنْ طَرِيقِهِمِ الرَّدِيءِ وَعَنْ شَرِّ أَعْمَالِهِمْ. (إرميا ٢٣: ١٦-١٨، ٢١-٢٢)

وَهذَا مَا يُفسِّر السَّبب وَرَاء أَهَمِّيَّة سرْديَّات التَّكْليف الموجَّهة لِلْأَنْبياء فِي الأَسْفار النَّبويَّة لإشعياء (الإصْحاح السَّادس) وإرميا (الإصْحاح الأوَّل) وحزْقيال (الإصْحاحان الثَّاني والثَّالث) ولماذَا تُعتَبَر عِبارَات مِن نَوْع «كَلِمَةُ اَلرَّبِّ اَلَّتِي صَارَتْ إِلَى [...]» مُهمَّةً جِدًّا لِجميع الأنْبياء. وَفِي العهْد اَلجدِيد، نرى أنَّ اِحتِكام بُولُس المعْتاد لِمؤهِّلاته الرَّسوليَّة هُو أَمْرٌ يُشير إِلى نُقطَة مُمَاثلَة (رُومية ١: ١؛ كُورنثوس اَلأُولى ١: ١؛ غَلاطِيَّة ١: ١؛ إِلخ). إنَّ الرَّسول لاَ يَتَكلَّم مِن تِلقاء نَفسِه. بل يَتَكلَّم وَفْق مَا تمَّ تكْليفه بِه. إِنَّ شَهادَة شُهُود

22 Wolterstorff, *Divine Discourse*, 42.

العيَـان مِـن الرُّسـل وتكْليفهـم مِن قِبَـل اَلمسِـيح (أَعمَال الرُّسـل ١: ٨؛ ٩: ١٥-١٦) يُؤَكِّـدَان اِدِّعاءهـم بِأَنَّهـم يتكلَّمـون بِكلمـة اَللَّـه (كُورنثـوس الثَّانيـة ٢: ١٧؛ تسـالونيكي اَلأُولـى ٢: ١٣).

إِمْلاَء؟

فهـل علَيْنَـا إِذًا أَنْ نُفكِّـر فِـي الأَنْبيـاء (والرُّسـل مِـن بَعدهِم) على أَنَّهُـم مُجـرَّد أَبـوَاق مـن دون أيِّ تَدخُّـلٍ فَعَّـالٍ أو مُبْـدِعٍ مِـن جَانبِهـم مِـن جِهـة الكلمـات اَلتِـي نَطقُـوا بِهَـا؟ عَبْـر اَلقُـرون، كَتَـبَ بَعْـض اللاَّهوتيِّيـن المسـيحيِّين كمَـا لَـو كان الأَمْـر كَذلِـك. وَلكِـن كمَـا لاَحَـظ هنـري بِلوخـر، فَـإِنَّ الأَنْبياء الرَّئيسـيِّين «لاَ يُظْهـرون أيَّ عَلامَةٍ على أَنَّ ذَكاءَهـم أو وَعيهِـم كَانَـا غَائبَيـنِ فـي أَثنَـاء قِيامِهِم بِمهـامِّ وظيفتهم وصياغـة رسـائلهم».[٢٣] إِن أردْنَـا أن نُعبِّـر عـن ذَلِـك بِصياغـة إِيجابيَّة؛ فَـإِنَّ الأَنْبيـاء والرُّسـل كَانُـوا بِالْفِعْـل مُنْخرطيـن بِوَعـيٍ وَذَكاءٍ فـي أَثنَـاء حَديثِهـم وَلاحِقًـا فـي أَثنَـاء كِتابتهم.

لِهَـذا السَّـبب يُمْكِـن أن تُنسَـب كلماتهـم إِلَيْهـم بِقَـدر مَـا يُمْكِـن أن تُنسَـب إِلـى الـرُّوح اَلقُـدس. كَانَـت كلمـات إشـعياء هِـي كلمـات إشـعياء بِالْحـقِّ، كمَـا أَشَـار إِلَيْهَـا يَسُـوع (مَتَّـى ١٥: ٧؛ مَرقُـس ٧: ٦). كمَـا لاَحَـظ بُولُـس أنَّ إشـعياء، لاَ اَلـرَّبَّ، هُـو مَـن «يَتَجَاسَـرُ وَيقُـولُ [...]» (رُوميـة ١٠: ٢٠)، ثُـمَّ اِقتبَـس الكلمـات اَلتِـي قالهَا اَلـرَّبُّ فِي نُبوَّة إشـعياء (إشـعياء ٦٥: ١). هُنَـاك أُسـلُوب يُمْكِـن تمْييزه فِـي خِدْمَة إرميا الجهاريَّـة يَختَلِـف عـن أُسـلُوب هُوشَـع أو مَلاخِـي، وَهُـو اِخـتِلافٌ لاَ

23 Henri Blocher, "God and the Scripture Writers: The Question of Double Authorship," in Carson, *Enduring Authority*, 504.

يُـؤدِّي إِلـى نِـزَاعٍ أو تَناقُـضٍ. هَكـذَا تَتَميَّـز طَرِيقَـة بُولُـس فِـي التَّعْبير عـن نَفسِـه بِصفاتهَـا المميَّـزة عِنْدمَـا تُوضَـع جنْبًـا إِلـى جَنْبٍ مـع تِلْك اَلتِـي لِيوحَنَّـا أو بُطـرُس، ومـع ذَلِـك فإنَّهـم جميعًـا يشْـهدون لِنَفـس اَلمسِـيح، وعقيدتهـم مُتماسـكة دَاخلِيًّـا وَمتَّسِـقة مع عَقِيـدَة بعْضهم البعْـض. لِذَلـك، وَعلَى حـدٍّ تَعبِير جُون وِبستر، فَإنَّـه: «فِي الخطَاب النَّبَويِّ والرَّسـوليِّ، يَتِمُّ تَطبِيق الإرْسـاليَّة الإلهيَّة التَّواصليَّة/التَّشـاركيَّة على المخْلوقـات مِـن خِلاَل المخْلوقـات، بِطريقـة يُمْكننَـا بِهَـا أن نَقُـول عـن هَـذِه الكلمـات البشـريَّة إنَّهَـا [«كَلِمَـةُ اَللَّـهِ»] بِالاشْـتقاق والتَّعْييـن».[٢٤]

كَانَـت هُنَـاك بِالْفِعْـل وَقائِـع «إملاَء» عَرَضِيَّـة بِالْمعْنـى اَلدقِيـق لِلْكِلمـة فِـي كُلٍّ مِـن العهْـد اَلقدِيـم والْعَهْـد اَلجدِيـد. إذ يَبـدُو أنَّ التَّسْـطير الثَّانـي لِلْوصايَـا اَلعَشـر على أَلـوَاحٍ حَجَريَّة هُو أحـد الأمْثلة علـى ذَلِـك: «وَقَـالَ الـرَّبُّ لِمُوسَـى: ‹اكْتُـبْ لِنَفْسِـكَ هـذِهِ الْكَلِمَـاتِ›، فَكَتَـبَ عَلَـى اللَّوْحَيْـنِ كَلِمَـاتِ الْعَهْـدِ، الْكَلِمَاتِ الْعَشَـرَ» (الخروج ٣٤: ٢٧-٢٨). فِـي الرُّؤْيَـا العظيمـة فِـي نِهاية العهْـد اَلجدِيد، أُمِرَ الرَّسـول يُوحنَّـا أن يَكتُـب «إِلَى مَلاَكِ كَنِيسَـةِ أَفَسُـسَ» (الرؤيـا ٢: ١، وَعلَى غِرَار «مَلاَئِكـة» الكنائـس السِّـتِّ اَلأُخـرى، ٢: ٨، ١٢، ١٨؛ ٣: ١، ٧، ١٤). ومـع ذَلِـك، لاَ يَبـدُو أنَّ التَّناظـر الإمْلائـيَّ بَيْـن اَلكلِمـة المسْـموعة والْكلمـة المنْطوقـة أو المكْتوبـة هُـو النَّمـط المُعْتـاد. إذ يَتَكلَّـم الأنْبيـاء بِكلمة اَلـرَّبِّ، وَكَان الرُّسـل يكْـرزون بِكلمـة اَللَّه (أَعمَال الرُّسـل ١٣: ٥، ٤٦؛ ١٧: ١٣؛ ١٨: ١١)، وقـد حـدث ذَلِـك بِاسْـتخْدام أقْوالهم، كلمـات صَاغُوها بِوَعـيٍ. كَيْـف لَنَـا أن نَفهَـم هذَا؟

24 Webster, “Domain of the Word,” 8.

مَـرَّةً أُخـرَى، تَتَضمَّـن الإجابـة الرُّجـوع خُطـوَة إِلـى الـورَاء لِفَحص الكيْفيَّـة اَلتِـي يخْتارهَـا اَللَّـه لِلْعمـل فِـي عَالَمِـه. مِـن اَلمُؤكَّـد أنَّ اَللَّـه قَـادِرٌ على التَّدَخُّـل بِطـرقٍ غَيْـر عَادِيَّـة، وَهُـو يَتَدخَّـل فِـي الواقـع، سَـوَاء مِـن خِلاَل المعْجـزة أَو الرُّؤْيَـا أو الخطَـاب المباشـر. ومع ذَلِك، فَـإِنَّ الخالـق لاَ يَقتَصِـر على التَّدَخُّـل المباشـر كَوَسـيلَة لِلْعمل وسـط خليقَتـه. بـل إِنَّ اِنخِـراط اَللَّـه المسْـتمرَّ فِـي العالـم، وحفْظـه إِيَّـاه، وحمْلـه، وتوْجيهـه، يَعنِـي أَنَّـه لاَ يَتَعيَّن عليْه مُقَاطعَة أو تَعلِيق مَسَـار الأَحْـداث البشـريَّة مِـن أَجْـل تَحقِيـق مشـيئَته. فَغالِبًـا مَـا يَعمَـل اَللَّه بِـشَكلٍ مُـتَلازِمٍ ومتزامنٍ فِـي مخْلوقاته وَمِن خِلالِهَـا لِتحْقِيق مَقاصِده. وَهُـم يتصرَّفـون وفْقًا لِطبيعتهم، ويتأثَّرون بِخلْفيَّاتهم، ويسْـتجيبون لِظروفهـم، ومـع ذَلِـك فَـإِنَّ النَّتيجـة هِـي تمامًـا مَـا قَصـدَه اَللَّـه مُنْذ البداية.

اِتَّبـع جَيْـش نَبُوخَـذ نَصَّـر المحْمـوم أَجِنـدَة اَلمَلِـك السِّياسـيَّة والْعسْـكريَّة، ومـع ذَلِـك فَـإِنَّ هَـذِه الأجنْـدة حَقَّقَـت هـدف اَللَّـه فِـي دِينونتـه على مَمْلَكـة يَهُـوذَا (إرميـا ٢٥: ٨-٩). هَكـذَا فَـإِنَّ رَغبَـة الإِمْبراطـور الرُّومانـيِّ فِـي إِجـرَاء إِحصَـاءٍ سُكَّانـيٍّ لِإِمْبراطوريَّتـه، كَأَداة لِلسَّـيْطرة تَخـدِم مَصالِحـه الماليَّـة الخاصَّـة، ضَمنَـت أنَّ يُوسُـف ومرْيـم سـيكونان فِـي بَيْـت لَحْـم عِنْدمَـا وُلِـد اَلمسِـيح (لُوقَـا ٢: ٤). وقـد أَوضَـح الرَّسـول بُطرُس المثَال الرَّئيسـيَّ لِهَـذا التَّزامـن والتَّوافق، إذ نـرى أَنَّـه حَتَّى النَّوايَـا الشِّـرِّيرة لِلْمخْلوقات تَخدِم الغـرض النِّهائيَّ لِلْخالـق: «[يَسُـوع] هـذَا أَخَذْتُمُـوهُ مُسَـلَّمًا بِمَشُـورَةِ اللهِ الْمَحْتُومَـةِ وَعِلْمِـهِ السَّـابِقِ، وَبِأَيْـدِي أَثَمَـةٍ صَلَبْتُمُـوهُ وَقَتَلْتُمُـوهُ» (أعمَـال الرُّسُـل

٢: ٢٣).[٢٥]

فِي أيٍّ مِن هَذِه الحالات، لَم تَكُن مُمَارسَة السِّيادة الإلهيَّة قَسرِيَّة، مُتجاوزة لِلْممارسة الحقيقيَّة لِلْإرادة المخْلوقة. فَقَد فَعَل الوكلاء البشريُّون مَا أرادوا القيَامَ بِه ولأسْبابهم الخاصَّة. ومع ذَلِك، كمَا قال بُطرُس، تَحقَّقَت فِي كُلِّ تِلْك الحالات «مَشُورَة اللهِ الْمَحْتُومَة وَعِلْمه السَّابِق».

تَمتَدُّ هَذِه الدِّينامِيكيَّة إلى أُولئك الَّذين كُلِّفوا بِالتَّكلُّم بِكلمةِ اَللَّه لِلْآخرين. لاَ يَتَعيَّن علَيْنَا أن نَتَخيَّل اَلرَّبَّ الإله يَهمِس لِأذن دَاوُد وَهُو يَكتُب كُلَّ مَزمُورٍ مِن مزاميره، أو لِبطرس عِنْدمَا قام لِلتَّكلُّم يَوْم الخمْسين، أو لِبولس وَهُو يَقِف فِي وسط أَرِيُوس بَاغُوس. لَقد شَكَّلَت شخْصيَّاتهم وخلْفيَّاتهم وظروفهم الكلمات اَلتِي اِسْتخْدموهَا وَكذَا طَرِيقَة وَضْع هَذِه الكلمات معًا: صَرخَة رِثَاء مِن زعيم شَعْب اَللَّه الهارب مِن أعْدائه؛ وَشَهادَة شَاهِد عِيَان مُكلَّف بِالدَّعْوة إلى التَّوْبة والْإيمان فِي ضَوْء كُلِّ مَا رآه وسمعه؛ والْمنْطق الكتابيّ المنْضبط لَدى مُعلِّم النَّاموس المتدرِّب عِنْد أَقدَام غَمَالائيل. لَم يَكُن الإمْلاء ضَرورِيًّا، لِأنَّ عمل اَللَّه خَضَّب حَيَاة كُلٍّ مِن خُدَّامه هؤلاء بِأكْملهَا.[٢٦] إنَّ الانْخراط الفعَّال والْمبْدع لِلْوكلاء البشريِّين فِي الكلمات اَلتِي يتكلَّمون بِهَا لاَ يُقلِّل بِأيِّ حالٍ مِن النَّتيجة: إنَّ كَلمَة اَللَّه صَارَت مَنطُوقة إلى مخْلوقاته بِكلِّ السُّلْطة اَلتِي يُمْكِن أن تَنطَوِي علَيْهَا.

---

٢٥ قارن كلمات يوسف لإخوته في التكوين ٥٠: ٢٠: «أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا، أَمَّا اللهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا، لِكَيْ يَفْعَلَ كَمَا الْيَوْمَ، لِيُحْيِيَ شَعْبًا كَثِيرًا».

26 Blocher, “God and the Scripture Writers,” 505.

يُساعدنَا تَصنِيف وُولترستورف لِلْخطَاب اَلمُفوَّض هُنَا أيْضًا. «فالْكلام اَلمُفوَّض» لاَ يَقتَصِر على شَخْصٍ مُخوَّل لَه أن يَتَكلَّم بِكلمَات شَخْصٍ آخر. فالسَّفير مُخوَّل بِالتَّحدُّث **بِاسْم** أو **بِالنِّيابة عن** الحكومة اَلتِي يُمَثِّلهَا. وهكذَا تَختَلِف دَرجَة التَّحْديد مِن حَيْث الكلمات المُسْتخْدمة مِن مَوقِفٍ إلى آخر. بِالْمِثل، يُجَادِل وُولترستورف، فَإِنَّ «المفْهومَ الكتابيَّ عن اَلنبِيِّ يَمزُج مَفهُوم الشَّخْص اَلمُكلَّف بِإيصَال رِسالةٍ مِن شَخْصٍ مَا، مع مَفهُوم الشَّخْص المُنْتدَب لِلتَّحَدُّث بِاسْم شَخْصٍ مَا».[٢٧] فِي بَعْض الأحْيان، يَجِب نَقْل صِياغة دَقِيقَة مِن الكلمات. أحْيانًا يَنقُل الكاتب الرِّسالة اَلتِي دُعِيَ لِإعْلانهَا بِكلماته الخاصَّة. كَذلِك لَم يُعطَ كُلُّ إعلانٍ لِلْإنْجيل فِي العهْد اَلجدِيد بِنَفس الكلمات بِالضَّبْط. ومع ذَلِك فَهُو الإنْجيل اَلوحِيد الموْثوق بِه لِلرَّبِّ يَسُوع اَلمسِيح.

عمل الرُّوح اَلقُدس

هُنَاك تَفسِيرٌ كِتابيٌّ مُهِمٌّ لِخطاب اَللَّه لِشعْبه مِن خِلاَل الوكلاء البشرِيِّين فِي بُطرُس الثَّانية ١: ٢٠-٢١: «عَالِمِينَ هذَا أَوَّلاً: أَنَّ كُلَّ نُبُوَّةِ الْكِتَابِ لَيْسَتْ مِنْ تَفْسِيرٍ خَاصٍّ. لأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أُنَاسُ اللهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ». يُسلِّط هذَا اَلمقطع الضَّوْءَ على الأصْل الإلَهيِّ -«[مِن] اَللَّه»- والْفاعليَّة البشريَّة الحقيقيَّة -«تَكَلَّمَ أُنَاسُ»- للنبوَّة. ومع ذَلِك، فَإنَّه يَذهَب إلى أَبعَد مِن ذَلِك لِلَفت الانْتباه إلى المشاركة الخاصَّة

27 Wolterstorff, *Divine Discourse*, 48.

يبدو لي أنَّ هذا هو التمييز الذي يجب أن نضعه في الاعتبار في كورنثوس الأولى ٧ كما يتنقَّل الرسول بولس بين «لاَ أَنَا بَلِ الرَّبُّ» (آية ١٠) و«أَنَا، لاَ الرَّبُّ» (آية ١٢).

لِـروح اَللَّـه: «مَسُـوقِينَ مِـنَ الـرُّوحِ الْقُـدُسِ». الكلمـة «مَسُـوقِينَ» (*pherō*) هِـي كَلمَـة مُحَايدَة يَجِب اِسْـتنْباط مَعْنَاها حسـب السِّـيَاق.[٢٨] كان الاهْتمـام فِـي هـذَا اَلمَقطـع هُـو رَفْـض أيِّ اِقتِـراح بِـأنَّ شَـهادَة الرُّسـل لِيسـوع اَلمسِـيح (بِمَا فِي ذَلِـك اِحْتكامهم لِتحْقِيـق نُبوَّة العهْد اَلقدِيـم) كَانَـت اِخْتراعًـا بشـريًّا. فقد كان بُطرُس شَـاهِد عِيَان، وَسَـمِع صوْتًـا مِـن السَّـمَاء عِنْد التَّجَلِّي، وَذَاك الإعْلان لِمَجد اَلمسِـيح قد أَكَّد اَلكلِمـة اَلتِي أُعطِيـت مُنْـذ زمـنٍ بعيـد بِواسِـطة أُولئـك الَّذيـن مكَّنهم الـرُّوح أنْ يَتَكلَّمُـوا مِـن اَللَّه.

إنَّ عمـل الـرُّوح هـذَا فِـي تَمكِيـن مخْلوقـات اَللَّـه البشـريَّة أن ينْطقـوا بِكلمَتـه هُـو تَعبِيـرٌ كَامِـلٌ عـن مَاهِيَّـة الـرُّوح. فَهُـو رُوح اَلآب والابْـن. فقـط بِالـرُّوح يُمْكِن لِلْإنْسـان أن يَعرِف اَللَّـه كآب أو أن يَعتَرِف بِيسـوع ربًّـا (رُوميـة ٨: ١٥؛ كُورنثوس اَلأُولى ١٢: ٣). ومـع ذَلِك، يُمكِّننَا الرَّسـول بُولُـس مِـن قَـوْل مَـا هُـو أَكثَر مِـن ذَلِك.

> بَـلْ كَمَـا هُـوَ مَكْتُـوبٌ: «مَا لَمْ تَـرَ عَيْنٌ، وَلَـمْ تَسْـمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُـرْ عَلَـى بَالِ إِنْسَـانٍ: مَـا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِيـنَ يُحِبُّونَـهُ». فَأَعْلَنَهُ اللهُ لَنَـا نَحْـنُ بِرُوحِـهِ. لأَنَّ الـرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَـيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللهِ. لأَنْ مَـنْ مِـنَ النَّـاسِ يَعْرِفُ أُمُورَ الإِنْسَـانِ إِلاَّ رُوحُ الإِنْسَـانِ الَّـذِي فِيـهِ؟ هكَـذَا أَيْضًـا أُمُـورُ اللهِ لاَ يَعْرِفُهَـا أَحَـدٌ إِلاَّ رُوحُ اللهِ. وَنَحْـنُ لَـمْ نَأْخُـذْ رُوحَ الْعَالَـمِ، بَـلِ الرُّوحَ الَّـذِي مِنَ اللهِ، لِنَعْـرِفَ الأَشْـيَاءَ الْمَوْهُوبَـةَ لَنَا مِنَ اللهِ، الَّتِـي نَتَكَلَّمُ بِهَا أَيْضًا، لاَ بِأَقْـوَال تُعَلِّمُهَـا حِكْمَةٌ إِنْسَـانِيَّةٌ، بَلْ بِمَـا يُعَلِّمُهُ الـرُّوحُ الْقُدُسُ،

28 John S. Feinberg, *Light in a Dark Place: The Doctrine of Scripture* (Wheaton, IL: Crossway, 2018), 134–35.

قَارِنِينَ الرُّوحِيَّاتِ بِالرُّوحِيَّاتِ. (كورنثوس الأولى ٢: ٩-١٣)

يُمكِّن الرُّوح اَلقُدس المخْلوقات البشريَّة مِن فَهْم ونقْل مَا يُمْكِن أن يُعْلَن عن اَللَّه ومقاصده لِلْآخرين، وَذلِك على وَجْه التَّحْديد لِأَنَّه مُنْذ الأزل هُو كَمَال شَركَة اَلآب والابْن. هَذِه العلاقة الأبديَّة هِي أَسَاس ومصْدر عَملِه فِي العالم.[٢٩] إذ قال يَسُوع لِتلاميذه: «وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ» (يُوحنَّا ١٦: ١٣). لَقد كان الرُّوح هُو الشَّخْص اَلذِي سيشْهد لِيسوع ويُذكِّر التَّلاميذ بِكلِّ مَا قَالَه يَسُوع لَهُم (يُوحنَّا ١٥: ٢٦؛ ١٤: ٢٦). إنَّ الرُّوح يَعهَد بِالْكلمة ويصاحبهَا بِهَذه الطَّريقة لِأَنَّه الشَّخْص اَلذِي يَعرِف اَلآب والابْن تمامًا مُنْذ الأزل. «وَحده اَللَّه يَستطِيع أن يَعرِف اَللَّه بِهَذه الطَّريقة»، وَلذَا فَإِنَّ مَا يفْعله يُعبِّر عن هُويَّته.[٣٠] وَهُو يَنخَرِط بِفاعليَّة فِي نَقْل كَلمَة اَللَّه وتلقِّيهَا. فَهُو مَن حَرَّك الأَنْبياء حَتَّى يتكلَّموا مِن اَللَّه، وَهُو يَتحرَّك فِي قُلوبِنَا رِجالاً ونساءً «لِنَعْرِفَ الأَشْيَاءَ الْمَوْهُوبَةَ لَنَا مِنَ اللهِ».

إِذًا هَذَان الشَّيْئان يعْملاَن معًا: أَوَّلاً نَشَاط اَللَّه التَّلازميُّ؛ أيْ الرِّقابة الإِشْرافيَّة على كُلِّ الأَشْياء لِتحْقِيق المقاصد اَلتِي قصدهَا مُنْذ البداية؛ وأيْضًا الانْخراط المباشر لِلرُّوح، مِمَّا دفع الأَنْبياء

29 John Owen, *Pneumatologia, or A Discourse concerning the Holy Spirit*, in *The Works of John Owen*, ed. William H. Goold, 16 vols. (1850–1853; repr., Edinburgh: Banner of Truth, 1965), 3:117.

30 Graham A. Cole, *He Who Gives Life: The Doctrine of the Holy Spirit* (Wheaton, IL: Crossway, 2007), 71.
«الإرساليَّات تتبع الانبثاقات؛ إذ يتمُّ تحديد طبيعة العمل من خلال طبيعة الشخص الذي يعمله». Webster, "Illumination," in *Domain of the Word*, 53.

والرُّسل لِلتَّكَلُّم بِكلمة اَللَّه فِي تِلْك اللَّحْظة وَفِي تِلْك الظُّروف. لَطَالمَا اِنخرَط اَللَّه فِي حَيَاة زَكَريَّا وَظرُوفه، وَلكِن فِي لَحظَةٍ مُعَيَّنَةٍ «امْتَلأَ زَكَرِيَّا أَبُوهُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَتَنَبَّأَ» (لُوقَا ١: ٦٧؛ راجع أعمال الرُّسُل ٤: ٨).

كَلِمَة اَللَّه الفريدة: يَسُوع اَلمسِيح

فَفِي يَسُوع تَجتَمِع مُخَاطبَة اَللَّه المباشرة وَكذَا اِسْتعْماله لِوساطة العامليَّة البشريَّة بِطريقةٍ رَائِعةٍ. فَهُو اَلكلِمة المتجسِّد (يُوحنَّا ١: ١٤) والْإِنْسان اَلذِي يَحُلُّ فِيه كُلُّ مِلْء اَللَّه جسديًّا (كُولوسِّي ١: ١٩). وَهُو اَلنبِيُّ الموْعود وَهُو أيْضًا ثِقَل شَهادَة الأنْبياء. إِنَّه الابْن اَلحبِيب اَلذِي يَستَقِرُّ عليْه الرُّوح (مَتَّى ٣: ١٦-١٧) وَكمَا رأيْنَا، فَهُو يَتَكلَّم عن كَونِه مَمسُوحًا بِالرُّوح لِإِعْلاَن رَحمَة اَللَّه وعدْله (لُوقَا ٤: ١٧–٢١). وبعْد قِيامَته، أَخَذَ التَّلاميذ على طريق عِمْواس فِي رِحْلَةٍ عَبْر العهْد اَلقدِيم، مبتدئًا «مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ يُفَسِّرُ لَهُمَا الأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ» (لُوقَا ٢٤: ٢٧). إِنَّ بُنُوَّتَه الإلهيَّة هِي السَّبب وَرَاء تَمَكُّنِه مِن القيَام بِمهمَّة تَعرِيف اَلآب (مَتَّى ١١: ٢٧؛ يُوحنَّا ١: ١٨)، وقد مكَّنتْه إِنْسانيَّته الحقيقيَّة مِن القيَام بِذَلك فِي وسط الخليقة وانْكسارهَا (تِيموثاوس اَلأُولى ٢: ٥). إِنَّه لَيْس مُجرَّد كَلمَة أُخرَى، بل كَلمَة فَرِيدَة وَكلِمة أَخِيرَة.

كمَا أشرْنَا سابقًا، فَإِنَّ كَاتب العبْرانيِّين يُوَجِّهنَا بِوضوح إِلى اَلكلِمة الفريدة اَلتِي تُمثِّل الذُّرْوة، المعْطاة لَنَا فِي شَخْص يَسُوع وخدْمَته. لَقد تَكلَّم اَللَّه فِعْلاً قَبْل مجيء يَسُوع، لَكِنَّ كُلَّ شَيْء فِي تعاملاته مع البشريَّة كان يَتَّجِه نَحْو هَذِه النُّقْطة، إِلى حَيْث تُقَال

هَـذِه اَلكلِمـة الأخيـرة. لَقد تَكلَّـم بِعدَّة طُرُق مِـن قِبَل عَبيـدِه الأنْبياء، وَلكِـنَّ اِبْنـه تَكلَّـم الآن. إنَّ اِسْـتخْدام مُصطَلَـح «الابْـن» يَسـتلْزِم على الفـوْر «اَلآب» المرْتبـط بِـه. فينْجَـذب اِنْتباهنَـا إِلـى العلاقـة الأبديَّـة بَيْـن اَلآب والابْـن فِـي الـرُّوح، وَالتِي هِي الأسَـاس السَّـابق لِعَمل الابْن فِـي العالـم. سَـيقِف يَسُـوع فِـي وسـط الجنْس البشَـريِّ لَيْـس كَعامِلٍ بَشـرِيٍّ مُفـوَّضٍ لِلتَّكلُّـم بِكلمـة اَللَّـه وَلكِن كَاَللَّه نفْسـه يُخَاطِب شَـعبَه.

صاغهَا جُون وِبستر بِهَذه الطَّريقة:

> إنَّ هـذَا العمـل التَّواصليَّ/التَّشـاركيَّ لِلَّـه هُـو عملٌ فَـردِيٌّ. فَبوصْفِـه إِعلاَن اَللَّـه الأخْرويَّ عن نَفسِـه، فَإنَّه لاَ يَعكِس التَّنَوُّع اَلشكْلِـيَّ اَلـذِي مَيَّـز اَلكلِمة اَلتِي قِيلتْ لِلْآبَاء فِـي الماضي؛ وَهُو لَيْـس كَلمَـة مُؤَقَّتَـة بِعَكـس اَلكلِمـة اَلتِي أُرسِـلت إِلـى إِسْـرائيل مِـن خِلاَل الأنْبيـاء، كمَـا لَـو كان كَلمَـة فِـي اَلطرِيـق إِلـى شَـيْءٍ آخـر. إِذ لاَ يُمْكِـن اِسْـتكْماله ولاَ اِسْـتبْداله.[٣١]

إِنَّ كُلَّ شَـيْءٍ مِـن هَـذِه اللَّحْظـة فَصاعِـدًا لَـن يَكُـون إِلاَّ عرْضًـا وتفْصيلاً لِهَـذه اَلكلِمـة الأخيـرة اَلتِي تَكلَّـم بِهَا اَللَّـه، لاَ كَلمَـة جَدِيدَة. وَمـرَّة أُخـرَى، هـذَا لِأَنَّـه لَـم يَكُـن مُجرَّد كَلمَـة أُخـرَى، كَلمَة أُخـرَى فِي سَـطْرٍ طويـلٍ مِـن كلمـات اَللَّـه، وَلَكنَّـه اَلكلِمـة اَلتِي تُهيْمِـن على كُلِّ الكلمـات السَّـابقة. «لأَنْ مَهْمَـا كَانَـتْ مَوَاعِيـدُ اللهِ فَهُـوَ فِيـهِ النَّعَـمْ وَفِيـهِ الآمِيـنُ» (كورنثـوس الثانيـة ١: ٢٠). ومـع ذَلِـك، فَهُـو لَـم يَكُـن مُجـرَّد تَحقِيـق لِلْكلمـات السَّـابقة. فَحجَّـة العبْرانيِّيـن هِـي أَنَّـه بِمعْنًى فَائِـق الأهمِّيَّـة، فَـإِنَّ «تَفوُّقَـه يَتَجـاوَز ولاَ يُقَـاس مـع مَـا حـدث مِـن

31 John Webster, "One Who Is Son," in *God without Measure: Working Papers in Christian Theology*, vol. 1, *God and the Works of God* (London: T&T Clark, 2016), 66.

قَبْـل».[٣٢] لَقـد فَهِـم جُـون كَالفِـن ذَلِـك حِيـن قـال:

> لِأَنَّ [كَاتِـب العبْرانيِّيـن] يَعنِـي، صَراحَـةً فِـي الواقـع، أَنَّ اَللَّـه لَـن يَتَكَلَّـم فِـي مَـا بَعْـد كمَـا فعـل مِـن قَبْـل، بِـشَكلٍ مُتَقطِّـعٍ مِـن خِلاَل البعْـض وَمِـن خِلاَل البعْـض الآخـر؛ ولـن يُضيـف نُبـوَّاتٍ إِلـى نُبـوَّاتٍ، أو وحْيًا إِلـى وَحْيٍ. بل بِالْأَحْـرى، فقد أتمَّ جميـع وَظائِـف التَّعْليـم فِـي اِبْنِـه لِدرجـة أَنَّنَـا يَجِـب أن نَعتَبِر ذَلِـك شَـهادَةً نِهائِيَّـةً وَأبدِيَّـةً مِنْه. وَبهَـذِه الطَّريقة يُسـمَّى زَمَان العهْـد اَلجدِيـد بِأَكْمَلـه، مِـن النُّقْطـة اَلتِـي ظهـر فِيهَا اَلمسِيح لَنَـا بِكـرازة إِنْجيلـه وَحتَّـى إِلـى يَـوْم الدِّينونـة، كُلُّ هـذَا الزَّمَـان يُسـمَّى «السَّـاعة الأخيـرة»، «الأزْمنـة الأخيـرة»، أو «الأيَّـام الأخيـرة». يَحـدُث ذَلِـك بِحَيـث نَتَعلَّـم، بيْنمَـا نَحْـن قانعـون بِكمـال تَعاليـم اَلمسِيح، أَلاَّ نَضُـوغ أيَّ شَـيْءٍ جديـدٍ لِأَنْفسـنَا يَتَجـاوَز هـذَا أو نَعتَـرِف بِـأيِّ شَـيْءٍ اِخْتلَقَـه الآخـرون.[٣٣]

لَقـد لَخَّـص يَسُـوع فِي شَـخصِه مَا يعْنيـه أن يَكُون اَللَّـه اَلحَيُّ هُو اَللَّـه النَّاطـق. فَهُـو تَذكِيـر مَلمُـوس ومسْـموع بِـأنَّ اَللَّه كَائِـنٌ تواصليٌّ/تشـاركيٌّ. لَقـد جـاء يَسُـوع لِيـوكِل لِلْآخريـن الكلمـات اَلتِـي سَـمِعهَا مِـن اَلآب. فَهُـو يَتَوقَّـع بـل ويطْلـب مِـن تلاميـذه أن يَأخُـذوا هَـذِه الكلمـات ويشـاركُوهَا مـع الآخريـن. وَهُـو يَفعَـل هـذَا لِأَنَّـه قـد «دُفِعَ إِلَـيَّ كُلُّ سُـلْطَانٍ فِـي السَّـمَاءِ وَعَلَـى الأَرْضِ» (مَتَّـى ٢٨: ١٨)، وأيْضًـا

32 Webster, "One Who Is Son," 67.

33 Calvin, *Institutes*, 4.8.7.
تـمَّ تعديـل ترجمـة Battles في نقطـتين: (١) يعتقـد كالفِـن أنَّ بولـس هـو مَـن كَتَـبَ العبرانـيِّين، وقد تمَّـت إزالـة هـذا لتجنُّـب التشـتيت غير الضروريِّ. و(٢) تمَّـت إزالـة الاقتباسـات الكتابيَّـة الهامشيَّة الأصليَّـة، والتي وضعهـا المحـرِّر بين قـوسين في النـصِّ، لتسـهيل القـراءة.

لِأَنَّه الشَّخْص الممْسوح بِالرُّوح حَتَّى «[يكرِز] بِسَنةِ اَلرَّبِّ المَقْبُولَةِ» (لُوقَا ٤: ١٨-١٩).

اَللَّه هُو كلمته

إِذًا، اَللَّه اَلحَيُّ هُو اَللَّه اَلذِي يَتَكلَّم. وَتكشِف كلماته بِشَكلٍ مُنَاسِبٍ وَكامِلٍ عن شخْصيَّته وأغْراضه. فَعلَى عَكْس التَّواصل البشَريِّ الطَّبيعيِّ بَيْن المخْلوقات السَّاقطة، لاَ تُوجَد فَجوَة فِي تَواصُل اَللَّه بَيْن هُويَّته ومَا يُعبِّر بِه عن نَفسِه، بَيْن مَا يَنوِي توْصيله ومَا يفْعله فِي الواقع. بل هُو يَفِي بِوعوده بِلاَ كلل. إِذًا نَحْن مُلْزمون بِالْقَوْل إِنَّ كَلمَة اَللَّه تَحمِل سُلْطان اَللَّه نَفسِه. إِنَّهَا الوسيلة الرَّئيسيَّة اَلتِي يُعبِّر بِهَا عن سِيادَته فِي العالم اَلذِي خَلقَه. **فَكلِمة** اَللَّه هِي مَا يقوله **اَللَّه**. يَصُوغ تِيموثي وَارد هذَا جيِّدًا حِين يَقُول: «لَقد طَابَقَ اَللَّه بَين ذَاته وكلماته حَتَّى أَنَّ كُلَّ مَا يَستجِيب بِه المرْء تُجَاه كَلاَم اَللَّه (سَوَاء كان بِالطَّاعة أو العصْيان) فَإِنَّ هذَا يفْعله مُبَاشرَةً تُجَاه اَللَّه نَفسِه».[٣٤]

لَقد تمَّ تأْكيد هَذِه العلاقة الحميمة بَيْن اَللَّه وكلمَته فِي وَقْت الإِصْلاح. إِذ أصرَّ مَارتِن لُوثَر على أَنَّ المؤْمنين لَيْس لَهُم خَيْر فِي إِلهٍ يُنظَر إِلَيه «بِشَكلٍ مُجرَّدٍ» بل بِالْأَحْرى فِي «إِلهٍ يَرتَدِي ويلْبس كَلِمتَه وَوعُوده».[٣٥] اِسْتخْدم وِيلْيَام تِندل لُغَةً أَكثَر جُرأَةً فَقَال: «إِنَّ

34 Timothy Ward, *Words of Life: Scripture as the Living and Active Word of God* (Nottingham: Inter-Varsity Press, 2009), 29 (emphasis original).

35 Martin Luther, "Exposition of Psalm 51," in *Luther's Works*, ed. Jaroslav Pelikan and Helmut T. Lehmann, 66 vols. to date (St. Louis: Concordia; Minneapolis: Fortress, 1955–), 12:312.

اَللَّـه مَـا هُـو إِلاَّ كلمتـه، كمَـا قال اَلمسِيح فِي يُوحنَّـا ٨: «أَنَا مِـنَ الْبَدْءِ مَـا أُكَلِّمُكُـمْ أَيْضًـا بِـهِ»؛ أيْ أنَـا هُو مَا أُعطِ بِـه. كلماتـي رُوح وَحَياة. إِنَّ اَللَّـه هُـو مَـا يَشـهَد بِه عن نَفسِـه. وتصـوُّر أيِّ شَـيْءٍ آخر مِـن اَللَّه غَيْر ذَلِـك فمَـا هـذَا إِلاَّ عِبـادة أَصنَـامٍ لَعينـة».[٣٦] لاَ يُمْكِـن اِتِّهـام أيٍّ مِـن الرَّجليْـنِ بِتحْوِيـل اَللَّـه إِلـى مَجمُوعـة مِـن الكلمـات، أو إِلـى قَائِمة مِن الأسْـفار، أو بِعبـادة الكتَـاب اَلمُقـدَّس كمَـا لَـو كان الكتَـاب هُـو اَللَّـه. بـل إِنَّ المعْنـى اَلـذِي كان كُلٌّ مِنْهمَـا يُشـير إِلَيـه هُـو أنَّ كَلمَـة اَللَّـه، علـى وَجْـه التَّحْديـد لِأَنَّهَا كَلمَـة اَللَّه اَلحَيِّ، لَيسَـت مُجرَّد وَسِـيلَة لِنَقل المعْلومـات؛ بـل هِـي أَدَاة لِلْعلاقـة. يَصُوغ بِيتر جنسـن هذَا بِبسـاطة حِيـن يَقُـول: «عِنْدمَـا تَثِـق بِكَلمَـة اَللَّـه، فَإِنَّك تَثِـق بِاَللَّه نَفسِـه؛ عِنْدمَا تَحفَـظ كَلمَـة اَللَّـه، فَأَنَّـك تُطيع اَللَّه نَفسَـه. لاَ تَحْتاج إِلـى البحْث وَرَاء اَلكلِمـة أو بعْدهَـا عـن الإلـه الحقيقـيِّ. فَهُو صَالِـح تمامًا بِقَـدر صَلاَح كَلمَتِه».[٣٧]

إِنَّ العقيـدة بِشَـأن الكتَـاب اَلمُقـدَّس اَلتِي أَوصَـى بِهَـا يَسُـوع لَنَا تَرتَكِـز مِرْسـاتهَا العميقـة على شَـخْص وَطَبيعَـة وَعمَل اَللَّـه اَلحَيِّ. لَقد فَهِـم يَسُـوع أنَّ اِنخِـراط اَللَّـه المسْـتمرَّ فِـي خليقَتـه يَتَبلـوَر فِـي هـذَا المعْنـى اَلشـدِيد الأهمِّيَّـة. فَقَـد تَكلَّـم، مُعْطِيًـا نَفسَـه فِـي كلماتـه، وَكشَـفَ عـن قَصـدِه اَلمجِيـد لِخليقتـه. إِنَّ كَلِمتَـه لَهَا قُـوَّة هَائِلة. فَهِي

وتابـع: «يجـب أن نتمسَّـك بهـذا الإلـه، لا عريانًـا بل لابسًـا ومعلنًا في كلمتـه؛ وإلاَّ فإنَّ اليـأس المؤكَّد سـوف يسحقنا».

36 William Tyndale, *The Obedience of a Christian Man*, in *Doctrinal Treatises*, ed. Henry Walter (Cambridge: Parker Society, 1848), 160.

يـشير بـيتر جنسـن أنَّ تِنـدل كان يـشير إلى «قـراءة قريبـة جـدًّا مـن يوحنَّـا ٨: ٢٥، والتي ترجمها هكذا: ‹ثـمَّ قالـوا لـه مـن أنـت؟ فقال لهم يسـوع: أنـا أيضًـا الشيء نفسـه كما أقولـه لكم.›» Jensen, "God and the Bible," in Carson, *Enduring Authority*, 478n2.

37 Jensen, "God and the Bible," 478.

الأدَاة اَلتِي بِهَا خَلَقَ كُلَّ الأشْياء. إنَّ كَلِمتَه هِي تَعبِيرٌ كَامِلٌ عن شخْصيَّته: حَنَّان ورحيم وَعادِل (اَلخُروج ٣٤: ٦-٧)، مَحبَّة وَنُور (يُوحنَّا اَلأُولى ١: ٥؛ ٤: ٨).

ومع ذَلِك، كَيْف نَنتَقِل مِن الحقيقة الرَّائعة أنَّ اَللَّه يَتَكلَّم، مُبَاشرَةً وَكذَا من خِلاَل وِكالة الأنْبياء والرُّسل، إلى حَقِيقَة الكتَاب اَلمُقدَّس؟ كَيْف تمَّ الانْتقال مِن اَلكلِمة المنْطوقة إلى المكْتوبة، وهل فُقِدَ أيُّ شَيْءٍ عَبْر هذَا الانْتقال؟

٣

مِن منطوقات اللهُ إلى «كَلِمَة اَللَّه المَكْتوبَة»

أَجَـابَ يَسُـوعُ اَلمُجـرِّبَ فِـي البرِّيَّة بِقوْلـه: «**مَكْتـوبٌ**» (متَّى ٤: ٤، ٧، ١٠). كمَـا أخـذَ لَفائِـف اَلنبِـيِّ إشـعياء وقرأهَـا فِـي مَجمَـع النَّاصـرة (لُوقَـا ٤: ١٦-٢١). وَوبَّـخ القـادة الدِّينيِّيـن بِسـؤال «أَمَـا **قَرَأْتُـمْ**؟» (مَتَّى ١٢: ٣، ٥؛ ١٩: ٤؛ ٢٢: ٣١). وأيْضًـا عَلَّـم التِّلْميذيْـنِ على طريق عِمْواس مِـن «جَمِيـعِ الْكُتُـبِ» (لُوقَـا ٢٤: ٢٧). لاَ يُمْكِـن إنكَار مَعرِفـة يَسُـوع بِالْكتـب المقدَّسـة فِـي عَصـرِه. وهكـذَا فَـإِنَّ اِحْتكامـه إلـى اَلكلِمـة المكْتوبـة بِاعْتبارهَـا ذات سُـلطَة هُـو أَمْـرٌ لاَ شـكَّ فِيـه بِنَفـس القـدر. وقـد كان هـذَا اِحْتكامًـا رَدَّدَه رُسـلُه. فَكتَـبَ بُولُـس أنَّ اَلمسِيح مـات مِـن أَجْـل خطايانَـا «حَسَـبَ الْكُتُـبِ» (كُورنثـوس اَلأُولـى ١٥: ٣). وَهُـو يُذكِّـر تِيموثـاوس بـ «الْكُتُبَ الْمُقَدَّسَـةَ، الْقَادِرَةَ أَنْ تُحَكِّمَـكَ لِلْخَلاَصِ، بِالإِيمَـانِ الَّـذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُـوعَ» (تِيموثاوس الثَّانيـة ٣: ١٥) وَيحُثُّه علـى تكرِيس نَفسِـه لـ «الْقِـرَاءَةِ وَالْوَعْظِ وَالتَّعْلِيـمِ» (تِيموثاوس اَلأُولى

٤: ١٣).[١] إذ إِنَّ «كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ، لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانُ اللهِ كَامِلاً، مُتَأَهِّبًا لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ» (تِيموثاوس الثَّانية ٣: ١٦-١٧).

ومع ذَلِك، وَعلَى الرَّغْم مِن مَوقِف يَسُوع وَرسُله هذَا، لَم يَكُن واضحًا لِلْجمِيع أنَّ اَلكلِمة المكْتوبة يَجِب أن تَحمِل نَفْس سُلطَة اَلكلِمة اَلتِي نطقَ بِهَا اَللَّه، ولاَ حَتَّى أَنَّه يَنبَغِي وَصفُها بِنَفس الطَّريقة على أَنَّهَا «كَلمَة اَللَّه». كَتَب فريدريتش شلايرماخر Friedrich Schleiermacher، أَبُو اللاَّهوتِ اللِّيبْرالِيِّ، قائلاً: «كُلُّ كِتابةٍ مُقَدَّسَة هِي مُجرَّد ضريح لِلدِّين، نَصْبٌ تِذْكاريٌّ يُلوِّح بِأنَّ الرُّوح العظيمة اَلتِي كَانَت هُنَا يوْمًا لَم تَعُد مَوجُودةً؛ لِأَنَّه إِذَا كَانَت لاَ تَزَال حَيَّة وَنشِطة، فلماذَا تُعلِّق أَهَمِّيَّة كَبِيرَة على الحرف الميِّتِ اَلذِي لاَ يُمْكِن إِلاَّ أن يَكُون اِسْتِنْساخًا ضعيفًا لَهَا؟»[٢] كان ردُّ فِعْل كارل بارت ضِدَّ شِلايرماخر مِن خِلاَل الإِصْرار، كمَا رأيْنَا (ص ١٨)، على أنَّ المسيحيَّة هِي دِيانة حَيَّة فقط بِقَدر مَا لاَ تَستَحِي مِن كوْنهَا دِيانة كِتابِيَّة.[٣] ومع ذَلِك، فقد فَضَّل التَّحَدُّث عن الكتَاب اَلمُقدَّس كَشاهِدٍ لِكلمة اَللَّه عِوضًا عن كَونِه كَلمَة اَللَّه فِي ذاتهَا وَمِن ذاتهَا، على الرَّغْم مِن أَنَّه أقرَّ بِأنَّ اَللَّه يُمْكِنه بِالْفِعْل أن يَخْتارَ اِسْتِخْدام هَذِه الأدَاة المخْلوقة لِمخاطبة شَعبِه اليوْم (وَمتَى يقع هذَا الحدث، يُمْكننَا حِينئذٍ أن نَتَكلَّم عن الكتَاب اَلمُقدَّس بيْنمَا

١ نصوص مثل تيموثاوس الثانية ٣: ١٥ (انظر أيضًا رومية ١: ٢) توحي لنا بالتسمية «الكتاب المقدَّس» الموجودة على أغلفة العديد من نسخنا المعاصرة.

2 Friedrich Schleiermacher, *On Religion: Speeches to Its Cultured Despisers*, trans. Richard Coulter (Cambridge: Cambridge University Press, 1988), 134–35.

3 Karl Barth, *Church Dogmatics*, trans. G. T. Thomson and H. Knight (Edinburgh: T&T Clark, 1956), 1/2:495.

يُصْبِح كَلِمَـة اَللَّـه). كان اِهْتمامـه الأوَّل هُـو الدِّفَـاع عـن حُرِّيَّـة اَللَّـه المُطْلقـة فِـي اِخْتياره التَّعْريف بِنفْسـه (قد تَكُون مُلْزِميـن بِهَذا اَلنَّصّ، لَكِـنَّ اَللَّـه لَيْـس كَذلِـك) بِالْإضافـة إِلـى مَركزِيَّـة يَسُـوع اَلمسِيح، كَونه الإعْلان الكامـل والشَّـخْصيَّ عـن اَللَّـه اَلحَـيّ. لِذَلك، وفْقًا لِبـارت، فَإِنَّ عَلاقَة الكتَاب اَلمُقدَّس بِكلمة اَللَّه هِي عَلاقَة غَيْر مُبَاشـرَة لاَ مُبَاشـرَة.[٤] أَمَّـا كُولِـن غانتِـن، اَلـذِي كان حريصًـا أيْضًـا على تَجنُّـب أيِّ اِدِّعـاء بِمَا يُسَـمِّيه «اِنعِدام الوسـاطة الوحيَّـة Revelatory Immediacy» («أيْ الإدْراك المباشـر لِمحْتَـوى الإيمـان» اَلـذِي يَتَجاهَـل، مِـن بَيْـن أُمُـورٍ أُخـرَى، الوسـطاء البشـرِيِّين لِهَـذا المحْتوى) فقـد كتبَ بِالْمثـل: «إِنَّنَا واثقـون مِـن أَنَّنَـا قـد تجاوزْنَـا المرْحلـة اَلتِي لَم نَعُـد فِيهَا نُسَـاوِي بَيْن الوحْـي والْكلمـات الفعْليَّـة الموْجـودة فِـي الكتَـاب اَلمُقدَّس».[٥]

ومـع ذَلِـك، إِذَا قبلنَـا السُّـلْطة المباشـرة (عَدِيمَـة الوسـاطة) والنِّهائيَّـة لِلْكلمـات اَلتِـي قالهَـا اَللَّـه، خَاصَّـةً شَـخْص وكلمَـات وَعمَـل اَلكلِمـة المتجسِّـد، فكيْـف يَنبَغِـي أن نَنظُر إِلـى اَلكُتب المُقدَّسـة اَلتِي بَيْـن أَيدِينـا؟ كَيْـف تـمَّ الانْتقال مِـن اَلكلِمـة المنْطوقة إِلـى المكْتوبة؟

---

4 Barth, *Church Dogmatics*, 1/2:457–59, 492, 499.

أراد بارت أيضًا مقاومة أيِّ اقتراحٍ بأنَّ الوحي هو سمة ثابتة للنصِّ الكتابيِّ (١/١: ١١٢–١٣). انظر: Mark D. Thompson, "Witness to the Word: On Barth's Doctrine of Scripture," in *Engaging with Barth: Contemporary Evangelical Critiques*, ed. David Gibson and Daniel Strange (Nottingham: Inter-Varsity Press, 2008), 168–97.

5 Colin E. Gunton, *A Brief Theology of Revelation* (Edinburgh: T&T Clark, 1995), 6.

فـي كلِّ حالـةٍ مـن هـذه الحـالات، كان التركيز هـو أنَّ الله يعلن **نفسـه**، وليس مجرَّد حقائـق خارجيَّة عـن نفسـه. كمـا قـال جـون وِبسْـتِر: «إنَّ مسـألة الوحي (*revelata*) لا تتطابـق ببسـاطة مـع شكل أو وسـيلة الوحـي (*modus revelationis*).»

Webster, "*Omnia … Pertractantur in Sacra Doctrina sub Ratione Dei.* On the Matter of Christian Theology," in *God without Measure: Working Papers in Christian Theology*, vol. 1, *God and the Works of God* (London: T&T Clark, 2016), 6

ويمكن معالجة هذا الاهتمام بطرقٍ أخرى كما سنرى.

كَيْف يَشرَح الكتَاب اَلمُقدَّس هذَا، وكيْف نَفهَم نَتِيجَة هَذِه العمليَّة؟ مَاذَا عن تِلْك النُّصوص اَلتِي لَم يَنطِق بِهَا بل كَانَت مَكتُوبة مُنْذ البداية، مِثْل رَسائِل العهْد اَلجدِيد؟

تَوجِيه اَللَّه بِالْكتابة

يَرِد أَوَّل ذِكْرٍ لِلْكتابة فِي الكتَاب اَلمُقدَّس فِي اَلخُروج ١٧: ١٤، حَيْث قال اَللَّه لِموسى: «اكْتُبْ هذَا تَذْكَارًا فِي الْكِتَابِ، وَضَعْهُ فِي مَسَامِعِ يَشُوعَ. فَإِنِّي سَوْفَ أَمْحُو ذِكْرَ عَمَالِيقَ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ» وبتوْجيهٍ مِن اَللَّه سَجَّلَ مُوسَى وعدَ اَللَّه كِتابةً، مَا كان مَقصُودًا لَه، على مَا يَبدُو، أن يَكُون دليلاً على الطَّابع الثَّابتِ والْمؤكَّد لِلْوعْد. فَقَد بَقِي هذَا الوعْد وَثبت أَنَّه يُمثِّل مُشْكِلةً لِلْملك شَاوُل، اَلذِي عِنْدمَا أُوصِيَ بِإنْزَال دَينُونة اَللَّه الموْعودة على العمالقة، حَدَّد بِنفْسه مدى الدَّمَار المناسب عِوضًا عن مُراعَاة الوصايَا اَلتِي تَلَقَّاهَا مِن نَبِيِّ اَللَّه صَموئِيل (صَموئِيل الأوَّل ١٥). لَكِنَّ النُّقْطة الحاسمة هِي أَنَّ هذَا «الكتَاب التِّذْكاريَّ» مَكتُوبٌ بِأَمرٍ مِن اَلرَّبِّ، وَأَنَّه يَحمِل سُلْطان اَللَّه اَلْخاصَّ.

بِقوَّةٍ أَكبَر، تَتَأَكَّد العلاقة بَيْن اَللَّه المتكلِّم والْكلمة المكْتوبة بَعْد بِضْعَة إِصْحاحات فقط عِنْد إِعطَاء الوصايَا العشْر فِي جبل سَيْناء. فقد قِيل لَنَا إنَّ مُوسَى كتب «جمِيع أَقْوَالِ الرَّبِّ وَجَمِيعِ الأَحْكَامِ» (اَلخُروج ٢٤: ٣-٤). كان النَّاس قد طَلَبُوا مِن مُوسَى أن يَقُوم بِدَور اَلوسِيط بيْنهم وبيْن اَللَّه: لَقد وَعدُوا أن يسْتمعوا إِلى كُلِّ مَا يقوله مُوسَى لَهُم، لَكنَّهم توسَّلوا قَائِلين: «تَكَلَّمْ أَنْتَ مَعَنَا فَنَسْمَعَ. وَلاَ يَتَكَلَّمْ مَعَنَا اللهُ لِئَلاَّ نَمُوتَ» (اَلخُروج ٢٠: ١٩). وبعْد أن

قَـدَّم مُوسَـى هـذَا اَلسـجِلَّ المكْتـوب لِمقابلتـه مـع اَللَّه على الجبل، قـال لَـه اَلـرَّبُّ: «اصْعَدْ إِلَـيَّ إِلَى الْجَبَلِ، وَكُـنْ هُنَاكَ، فَأُعْطِيَـكَ لَوْحَيِ الْحِجَـارَةِ وَالشَّـرِيعَةِ وَالْوَصِيَّـةِ الَّتِـي كَتَبْتُهَـا لِتَعْلِيمِهِـمْ» (اَلخُروج ٢٤: ١٢). تَتَّضِح العلاقـة أَكثَـر بَعْد عِـدَّة إِصْحاحات عِنْدمَا يُقَـال لَنَا: «ثُمَّ أَعْطَى [الـربُّ] مُوسَى عِنْـدَ فَرَاغِـهِ مِـنَ الْـكَلاَمِ مَعَـهُ فِـي جَبَلِ سِـينَاءَ لَوْحَـيِ الشَّـهَادَةِ: لَوْحَـيْ حَجَـرٍ مَكْتُوبَيْـنِ بِإِصْبـعِ اللهِ» (الخـروج ٣١: ١٨).

إِنَّ التَّعْبيـر «مَكْتُوبَيْـنِ بِإِصْبـعِ اللهِ» يُمثِّـل لُغَـة تَجسِـيمٍ تمْثيلـيٍّ وَاضِحـة. إِذ لاَ يَجِـب أن نَتخيَّـل أَنَّ اَللَّـه اَلقُـدُّوس الأزَلـيَّ لَـه أَصابِـع. ومـع ذَلِـك، فَـإِنَّ المغْـزى المطْـروح هُنَـا وَاضِـحٌ تمامًـا: كان هـذَا هُو عمـل اَللَّـه. يُقَـال لَنَـا فِـي مَـا بَعْـد: «وَاللَّوْحَـانِ هُمَـا صَنْعَـةُ اللهِ، وَالْكِتَابَـةُ كِتَابَـةُ اللهِ مَنْقُوشَـةٌ عَلَـى اللَّوْحَيْـنِ» (اَلخُـروج ٣٢: ١٦). إِنَّ العلاقـة بَيْـن اَللَّـه وَهذِه الكلمـات المكْتوبة هِـي عَلاقَة قَرِيبَـة بِمقْدَار مَـا يَحمِـل رُوح اَللَّه هَذِه الكلمات عَبْر اَلْهَواء لِيسْـمعهَا مُوسَـى نَفسـه. فالْكلمـات تَحمِـل سُـلْطان اَللَّه. لِذَلك عِنْدمَا كسـر مُوسَـى تِلْك الأَلْواح الحجريَّـة فِـي لَحظَـةٍ مُرَوِّعَـةٍ (اَلخُـروج ٣٢: ١٩)، كان ذَلِـك مُؤَشِّـرًا لاَ لَبْـسَ فِيـه على خُطُـورَة مَـا كان يَحـدُث. فَقَـد أَنكَـر الإِسْـرائيلِيُّون اَللَّه وَحُكمَـه بِسـلوكهم. وكانـتْ المعْجـزة الحقيقيَّـة هِـي أَنَّـه بَعْد شَـفاعَة مُوسَـى نِيابـةً عـن النَّـاس، أَخَـذَ اَلـرَّبُّ المبـادرة مَـرَّةً أُخـرَى وَقَـالَ لَـه: «انْحَـتْ لَـكَ لَوْحَيْـنِ مِنْ حَجَرٍ مِثْـلَ الأَوَّلَيْـنِ، فَأَكْتُبَ أَنَا عَلَـى اللَّوْحَيْنِ الْكَلِمَـاتِ الَّتِـي كَانَتْ عَلَى اللَّوْحَيْـنِ الأَوَّلَيْنِ اللَّذَيْنِ كَسَـرْتَهُمَا» (الخروج ٣٤: ١).

إِنَّ الأهمِّيَّـة المرْكزيَّـة لِكلِّ هـذَا هُـو أَنَّ اَللَّـه نَفسَـه هُـو اَلـذِي

أَعطَى لِلْكلِمة المكْتوبة مكانًا فِي حَيَاة شَعبِه، وقد فعل ذَلِك فِي وَقْتٍ بَاكِرٍ جِدًّا مِن تَارِيخ تعاملاته مَعهُم. لَم تَكُن اَلكلِمة المكْتوبة تطوُّرًا لاَحقًا، لِتَحلَّ محلَّ القيادة السَّاحرة لِلْجماهير مِن قِبل الأنْبياء والْكهنة والْملوك، أو حُضُور اَللَّه الملْموس فِي السَّحابة وَعمُود النَّار، أو المجْد اَلذِي ملأ الهيْكل. بل نَشأَت اَلأُمَّة وَنمَت بيْنمَا تَأَصَّل مَفهُوم اَلكلِمة المكْتوبة ذات السُّلْطان، كمعْيَارٍ قَانُونيٍّ، فِي اِخْتبارهَا مع اَللَّه اَلحَيِّ. لَم تَكُن نَتِيجَةَ بُعْدٍ بيْن اَللَّه ومخْلوقاته البشريَّة. فعنْدَمَا تمَّ تكلِيف يَشُوع بِقيادة إِسْرائيل عوضًا عن مُوسَى، لَم يَعِد اَللَّه أن يَكُون معه أَينَما ذهب فحسْب، بل أَكَّد أيْضًا أَهَمِّيَّة الكلمات اَلتِي كتبهَا مُوسَى بِأَمرٍ مِن اَللَّه: «لاَ يَبْرَحْ سِفْرُ هذِهِ الشَّرِيعَةِ مِنْ فَمِكَ، بَلْ تَلْهَجُ فِيهِ نَهَارًا وَلَيْلاً، لِكَيْ تَتَحَفَّظَ لِلْعَمَلِ حَسَبَ كُلِّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِيهِ» (يَشُوع ١: ٨-٩). لَم يُلْغِ حُضُورُ اَللَّه اَلشخْصِيُّ مع يَشُوع الحاجةَ إِلى الاهْتمام بِالْكلمة المكْتوبة. بل فِي الواقع، وَفِي خِضمِّ غَزْو الأَرْض، أخذ يَشُوع وقْتًا لِيقْرأ بِصَوتٍ عالٍ على النَّاس «جَمِيعَ كَلاَمِ التَّوْرَاةِ: الْبَرَكَةَ وَاللَّعْنَةَ، حَسَبَ كُلِّ مَا كُتِبَ فِي سِفْرِ التَّوْرَاةِ» (يَشُوع ٨: ٣٤).

فِي مَحَطَّاتٍ مُختلفَة مِن العهْد اَلقدِيم، أَمَرَ اَللَّه خُدَّامه بِالْكتابة، وَلكِن كان لِعَمل الأنْبياء الرَّئيسيِّين فِي تَارِيخ إِسْرائيل اللاَّحق أَهَمِّيَّة خَاصَّة. وهكذَا فَإِنَّ نُبوَّة إشعياء العظيمة ضِدَّ الإِسْرائيليِّين الَّذين فرُّوا إِلى مِصْر فِي مُوَاجهَة دَينُونة اَللَّه تَضمَّنَت التَّعْليمات اَلتِي أُعطِيت لَه: «تَعَالَ الآنَ اكْتُبْ هذَا عِنْدَهُمْ عَلَى لَوْحٍ وَارْسُمْهُ فِي سِفْرٍ، لِيَكُونَ لِزَمَنٍ آتٍ لِلأَبَدِ إِلَى الدُّهُورِ» (إشعياء ٣٠: ٨).

وَكمَا هُو اَلْحال مع «الكتَاب التِّـذْكاريِّ» لِموسى، فَإِنَّ هـذَا اَلسجِلَّ المكْتوب سيذكِّر النَّاس فِي السَّنوات القادمة بِفشلِهم وبْدينونة اَللَّه المؤكَّدة. هَكذَا أَمَرَ اَلرَّبُّ إِله إِسْرائيل إرميا: «اكْتُبْ كُلَّ الْكَلاَمِ الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ إِلَيْكَ فِي سِفْرٍ» (إرميا ٣٠: ٢). بَعْد ذَلِك بِقليلٍ، قِيل لَه مَرَّة أُخرَى: «خُذْ لِنَفْسِكَ دَرْجَ سِفْرٍ، وَاكْتُبْ فِيهِ كُلَّ الْكَلاَمِ الَّذِي كَلَّمْتُكَ بِهِ عَلَى إِسْرَائِيلَ وَعَلَى يَهُوذَا وَعَلَى كُلِّ الشُّعُوبِ، مِنَ الْيَوْمِ الَّذِي كَلَّمْتُكَ فِيهِ، مِنْ أَيَّامِ يُوشِيَّا إِلَى هذَا الْيَوْمِ» (إرميا ٣٦: ٢؛ راجع أيضًا ٢٥: ١٣). وَيرِد المغْزى بَعْد ذَلِك مُبَاشرَةً: «لَعَلَّ بَيْتَ يَهُوذَا يَسْمَعُونَ كُلَّ الشَّرِّ الَّذِي أَنَا مُفَكِّرٌ أَنْ أَصْنَعَهُ بِهِمْ، فَيَرْجِعُوا كُلُّ وَاحِدٍ عَنْ طَرِيقِهِ الرَّدِيءِ، فَأَغْفِرَ ذَنْبَهُمْ وَخَطِيَّتَهُمْ» (إرميا ٣٦: ٣). هَكذَا قِيل لِحزْقيال: «عَرِّفْهُمْ صُورَةَ الْبَيْتِ وَرَسْمَهُ وَمَخَارِجَهُ وَمَدَاخِلَهُ وَكُلَّ أَشْكَالِهِ وَكُلَّ فَرَائِضِهِ وَكُلَّ شَرَائِعِهِ، وَاكْتُبْ ذلِكَ قُدَّامَ أَعْيُنِهِمْ لِيَحْفَظُوا كُلَّ رُسُومِهِ وَكُلَّ فَرَائِضِهِ وَيَعْمَلُوا بِهَا» (حزقيال ٤٣: ١١).

ومع ذَلِك، لَفتَ الأَنْبياء الانْتباه أَيْضًا إِلى الكلمات اَلتِي كُتبَت قَبلهم بِوَقتٍ طويلٍ. فَقْد اِحتكَم دانْيَال إِلى الكلمات المكْتوبة فِي شَرِيعَة مُوسَى وَعلَى هذَا الأَسَاس عَزَى نكبَة السَّبْي إِلى رَفْض النَّاس الابْتعاد عن آثامِهم وأن يتبصَّروا حقَّ اَللَّه (دانْيَال ٩: ١١، ١٣). وَمِن خِلاَل مَلاخِي، أَصدَر اَللَّه هَذِه التُّهْمة: «اُذْكُرُوا شَرِيعَةَ مُوسَى عَبْدِي الَّتِي أَمَرْتُهُ بِهَا فِي حُورِيبَ عَلَى كُلِّ إِسْرَائِيلَ» (٤: ٤). فِي هذَا التَّاريخ المتأَخِّر، كان اَلوُصول اَلوحِيد إِلى تِلْك الفرائض والْقواعد مُمْكِنًا فقط مِن خِلاَل الكلمات اَلتِي كتبهَا مُوسَى بِنَاءً على تعْليمات اَللَّه.

يُمْكِن تَمييز حقيقتيْنِ أساسيَّتيْنِ مِن هذَا. الأُولى هِي الطَّابع المسْتديم لِكلمة اَللَّه. فَكلِمة اَللَّه لَيسَت عَابِرة أو مُؤَقَّتَة. بل هِي نُقطَة مَرجعِيَّة تَبقَى طَوَال الحيَاة وَطَوال تَارِيخ الشَّعْب. إذ يَستَمِرُّ اَللَّه نَفسه فِي مُصَاحبَة كَلمَتِه والتَّأكُّد مِن أَنَّه يُمْكِن لِلأَجْيَال الْقَادِمة سَمَاعهَا مِن جَديدٍ، ولذَلك تسبَّبَ فِي كِتابتهَا. لِهَذا السَّبب يُمْكِن لِصاحب المزْمور أن يُصلِّي قائلاً: «اكْشِفْ عَنْ عَيْنَيَّ فَأَرَى عَجَائِبَ مِنْ شَرِيعَتِكَ» (المزامير ١١٩: ١٨)، وهكذا يشهد: «فَتْحُ كَلاَمِكَ يُنِيرُ، يُعَقِّلُ الْجُهَّالَ» (المزامير ١١٩: ١٣٠).

أَمَّا الحقيقة الثَّانية فَهِي النِّسْيان اَلآثِم لَدى شَعْب اَللَّه المُخْتار. فقد كَانُوا بِحاجةٍ إِلى تذْكيرهم بِانْتظامٍ بِمَا قَالَه اَللَّه لَهُم، وكانتْ وَسِيلَة القيَام بِذَلك هِي تَسجِيل الكلمات اَلتِي قالهَا اَللَّه كِتابةً. قد تَكُون الكلمات المسجَّلة كلمات بَرَكَةٍ وَوعْدٍ، أو قد تَكُون كلمات تَحذِيرٍ ودَينونةٍ. وقد تَكُون توْثيقًا لِأمانة اَللَّه فِي التَّعامُل مع شَعبِه أو الحكْمة اَلتِي أعْطاهَا لِرجال مِثْل اَلمَلِك سُليْمَان. لَم يَكُن اِنتِشار اَلأُمِّيَّة بَيْن اَلأُمَّة القائمة على الرَّعْي والزارعة عائقًا، لِأَنَّ الكلمات المكْتوبة يَجب أن تُقرَأ علنًا، كمَا فعل عزْرَا تُجَاه السَّاحة اَلتِي أَمَام باب اَلْماء بَعْد أن اِنتهَى العائدون مِن السَّبْي مِن إِعادة بِنَاء سُور المدينة فِي أُورُشليم (نحميَا ٨: ١-٣).

كان أيْضًا مِن الواضح فِي أَيَّام يَسُوع هُو وُجُود مَجمُوعة مِن الكتابات اَلتِي فُهِم أَنَّهَا كَلمَة اَللَّه ذات السُّلْطان. كان هذَا الكتَاب اَلمُقدَّس اَلعبْرِيُّ، اَلذِي سَيعرِفه المسيحيُّون فِي مَا بَعْد بِالْعَهْد اَلقدِيم، هُو النُّقْطة المرْجعيَّة الحاسمة فِي مَا يَتعلَّق بِفَهم أو شَرْح فِكْر اَللَّه. هذَا هُو السَّبب فِي أنَّ اِحتِكام يَسُوع لِلْأَسْفار

المقدَّسة، المُعبَّر عَنْه بِقوْله: «مَكْتُوبٌ»، كان مَفهُومًا تمامًا لِكلٍّ مِن اَلمُجرِّب وَكذَا قُرَّاء الأناجيل الأوائل. هذَا هُو السَّبب فِي أَهَمِّيَّة تَحدِيد مَوقِع خِدْمَة يُوحنَّا المعْمدان فِي مُقَابِل كلمات مَلاخِي المكْتوبة، وَكذَلِك غَيرَة يَسُوع على لِياقة الخدْمة بِالْهَيْكل فِي مُقَابِل كلمات إشعياء وإرميا.[٦] لِذَا قال يَسُوع لِتلاميذه مِرارًا وتكْرارًا إنَّه يَجِب أن يَتَحقَّق مَا كان **مَكتُوبًا** عَنْه فِي الكتَاب اَلمُقدَّس (لُوقَا ٢١: ٢٢؛ ٢٢: ٣٧؛ ٢٤: ٤٤). وبالْمثْل، تَكلَّم الرُّسل عن أَحدَاث الكنيسة اَلأُولى كَتحقِيقٍ لِمَا كان **مَكتُوبًا** (أَعمَال الرُّسل ١: ٢٠؛ رُومية ٨: ٣٦؛ ١١: ٨؛ كُورنثوس اَلأُولى ١: ١٩؛ ١٤: ٢١؛ ١٥: ٥٤). لَقد فَهمُوا مَا كَتبُوه على أَنَّه مَكتُوبٌ تَحت تَأثِير سُلْطان اَلمسِيح المُقَام (كُورنثوس اَلأُولى ١٤: ٣٧؛ كُورنثوس الثَّانية ١٠: ٨؛ ١٣: ١٠؛ غَلاطِيَّة ١: ١) وَبقُوَّة الرُّوح اَلقُدس (كُورنثوس اَلأُولى ٧: ٤٠). لَم يرَ الرَّسول بُولُس أيَّ فرقٍ مِن حَيْث السُّلْطة بَيْن كلماته المنْطوقة إلى أَهْل تسالونيكي ورسائله (تسالونيكي الثَّانية ٢: ١٥).

وبطبيعة اَلْحال، يَستخْدِم العهْد اَلجدِيد لُغَة الكلاَم فِي إشارةٍ إلى اَلكلِمة المكْتوبة. فالْكلمات المدوَّنة فِي إشعياء ٦ هِي «نُبُوَّةُ إِشَعْيَاءَ الْقَائِلَةُ» (مَتَّى ١٤: ١٣). وكلمَات المزْمور ١١٠: ١ يُقَال عَنهَا إنَّ: «دَاوُدُ نَفْسُهُ يَقُولُ فِي كِتَابِ الْمَزَامِيرِ» (لُوقَا ٢٠: ٤٢). قال بُطرُس، فِي يَوْم الخمْسين، شيْئًا مُشابِهًا: «لأَنَّ دَاوُدَ لَمْ يَصْعَدْ إِلَى السَّمَاوَاتِ. وَهُوَ نَفْسُهُ يَقُولُ»، ثُمَّ يُتابِع مُقتبِسًا نَفْس الكلمات مِن المزْمور ١١٠ (أَعمَال الرُّسل ٢: ٣٤). كَذلِك كتب بُولُس بِشَكلٍ مُثيرٍ لِلاهْتمام: «لأَنَّهُ يَقُولُ الْكِتَابُ لِفِرْعَوْنَ» ثُمَّ يَقتَبِس مِن اَلخُروج ٩:

٦ متَّى ١١: ١٠، بالإشارة إلى ملاخي ٣: ١؛ متَّى ٢١: ١٣، بالإشارة إلى إشعياء ٥٦: ٧ وإرميا ٧: ١١.

١٦ (رُومية ٩: ١٧). وبعْد ذَلِك بِقليلٍ يَطرَح اِقْتباسًا مِن هُوشَع ٢: ٢٣ قائلاً: «كَمَا يَقُولُ فِي هُوشَعَ أَيْضًا» (رُومية ٢٥: ٩). إنَّ الهيْئة المكْتوبة لاَ تَحجُب حَقِيقَة أنَّ الكاتب البشَريَّ وَاَللَّه نَفسَه كِلَيْهِمَا يُخاطبنَا فِي هَذِه الكلمات. وَكمَا سَنرَى، فَإنَّ الانْتقال مِن اَلكلِمة المنْطوقة إلى اَلكلِمة المكْتوبة وَكذَا العامِليَّة البشريَّة اَلتِي كَتَبتهَا لَم يُغَيِّرَا كثيرًا مِن الحقيقة الأساسيَّة اَلتِي تَكمُن وَرَاء كِلَيْهِمَا: إنَّ هَذِه هِي وَسِيلَة اَللَّه فِي الاتِّصال/التَّشارك. إنَّ هَذِه هِي كلمته المكْتوبة.

ضرورة الكتاب المُقدَّس

تاريخيًّا، وَخَاصَّةً فِي وَقْت الإصْلاح، تمَّ اِسْتكْشاف هَذِه الأفْكار تَحْت عُنْوان «ضَرُورَة الكتَاب اَلمُقدَّس»، فِي مُنَاقضَة صَارِخة لِكُلِّ مِن اِحتِكام الرُّوم الكاثوليك لِلتَّقاليد غَيْر المكْتوبة وأولَئك الَّذين اِدَّعوْا وحْيًا خاصًّا ومباشرًا فِي الوقْتِ الحاضر. يَظْهَر هُنَا سُؤالاَن: لِماذَا كان مِن الضَّروريِّ أن تُصْبِح اَلكلِمة المنْطوقة هِي اَلكلِمة المكْتوبة فِي المقَام الأوَّل؟ وهل لاَ تَزَال اَلكلِمة المكْتوبة ضَروريَّةً اليوْم؟ إنَّ المعالجة المُفصَّلة لِفرانْسيس تُوريتِن هِي تَمثِيل كبير لِهَذه المسْألة. فقد أَدرَك تُوريتِن بِأنَّ الكتَاب اَلمُقدَّس «لَيْس ضَروريًّا بِشَكلٍ مُطلَقٍ بِالنِّسْبة لِلَّه». فَمِن الواضح جِدًّا أنَّ اَللَّه كان بِإمْكانه الاسْتمْرار فِي التَّواصل مع شَعبِه كمَا فعل فِي الوقْتِ اَلذِي سبق مُوسَى. لَم يَعجز اَللَّه عن هذَا بِأيِّ شَكْلٍ مِن الأشْكال. ومع ذَلِك، أصرَّ تُوريتِن أنَّ «اَللَّه قد رأى أَنَّه مِن المناسب لِأسْبَاب

جَسِيمَة أن يَستوْدِع كَلِمتَه إلى الكتابة».[٧]

لَقد تَحرَّك تَفسِير تُوريتِن فِي اِتِّجاهيْن. رَكَّز الأوَّل على شَخصِيَّة اَللَّه والتَّكشُّف التَّاريخيِّ لِهدفه. فَقَرار اَللَّه بِاسْتيداع كَلِمَتِه إلى الكتابة هُو جُزْءٌ مِن تَكيُّفِه اَلمحِبِّ مع حَالَة مخْلوقاته؛ لاَ سِيَّما الكنيسة. فَهُو يَعرِف مَا هُو مَطلُوب فِي كُلِّ مَرْحَلةٍ مِن تَارِيخ شَعبِه.

> كمَا هُو اَلْحال فِي إِطَار التَّدْبير الطَّبيعيِّ، يُنوِّع الوالدان فِي طَرِيقَة التَّرْبية وفْقًا لِسنِّ أوْلادهمَا [...] وهكذَا فَإِنَّ اَلآب السَّماويَّ اَلذِي يُؤدِّب شَعبَه كإِنْسَانٍ يُؤدِّب اِبْنه (التَّثْنية ٨: ٥)، يُرْشِد الكنيسة حَتَّى الآن فِي طُفولتهَا ولعْثمتهَا بِالْكلمة المنْطوقة، اَلتِي هِي أَبسَط طَرِيقَة لِلْوحْي. وَإِذ تَنمُو الكنيسة فِي الوقْتِ الحاضر بيْنمَا تَأسَّسَت فِي بداية شَبابِها تَحْت النَّاموس، يعلِّمهَا اَللَّه بِالْكلمات المنْطوقة (بِسَبب مَا تَبقَّى مِن طُفولتهَا) والْكتابة (على حِسَاب بِدايَات عَصْر أَكثَر قُوَّة فِي زمن الرُّسل). وبنهاية المطَاف، إِذ تَبلُغ رُشدَهَا بِموجب الإِنْجيل، يَرُوم اَللَّه أن تصير قَانِعة بِأَكْثر طُرُق الوحْي مِثالِيَّةً وكمالاً (أيْ بِنور اَلكلِمة المكْتوبة).[٨]

إِذًا، لَم يَكُن قَرَار إِعطَاء كَلمَتِه بِشَكلٍ مَكتُوبٍ مَسْأَلَةً تَتَعلَّق فقط بـ «قُوَّة اَللَّه وحرِّيَّته» بل بِالْأحْرى بـ «حِكْمته وتدْبيره فِي التَّعامل مع الإِنْسان».[٩] عِنْدمَا يَأخُذ تَلامِيذ يَسُوع، فِي هَذِه الأيَّام

7 Francis Turretin, *Institutes of Elenctic Theology*, ed. James T. Dennison, trans. George Musgrave Giger, vol. 1 (Phillipsburg, NJ: P&R, 1992), 57 (2.2.2).

8 Turretin, *Institutes*, 1:57–58 (2.2.3) (spelling modernized at points).

9 Turretin, *Institutes*, 1:58 (2.2.6).

الأخيرة،[١٠] الإنْجيلَ إلى أَقاصِي الأرْض حَتَّى نِهاية الزَّمَان، يكُون الوضْع المكْتوب لِإعْلاَن اَللَّه ضَرورِيًّا.

رَكَّز الاتِّجاه الثَّاني مِن حُجَّة تُوريتِن بِشَكلٍ أَكثَر إِحْكامًا على اَلكلِمة نفْسهَا:

> كان مِن الضَّروريِّ إعطَاء كَلمَة مَكتُوبة لِلْكنيسة مفَادهَا أنَّ قَانُون الإيمان الدِّينيِّ الحقيقيِّ يَنبَغِي أن يكُون ثابتًا وغيْر قَابِل لِلتَّأَثُّر؛ بل يُمْكِن بِسهولة الحفَاظ عليْه نقيًّا وَكامِلاً ضِدَّ ضَعْف الذَّاكرة وَفَساد الإنْسان وقِصَر الحيَاة؛ أن يُحَامَى عَنْه بِالْأحْرى ضِدَّ غِشِّ وَفَساد الشَّيْطان؛ وأن يَكُون أَكثَر مُلاءَمَة لَيْس فقط لِإرْساله إلى الغائبين أو البعيدين على نِطَاقٍ وَاسِعٍ، وَلكِن أيْضًا نَقله إلى الأجْيال القادمة.[١١]

إنَّ الحاجة إلى نَقْلٍ أمينٍ لِلْكلِمة، المعْطاة فِي مَرْحَلة مُعَيَّنَة مِن التَّاريخ، إلى الأجْيال المُقْبلة وَعلَى مدى فَترَةٍ طَوِيلَةٍ مِن الزَّمن، بِالْإضافة إلى الواقع المسْتمرِّ لِمحْدوديَّة الإنْسان وَتَوقُّع اِسْتمْرار الاعْتداء على اَلكلِمة مِن قِبَل الشَّيْطان وَكُلِّ مَن يُقاومون إنْجيل اَلمسِيح، كُلُّ هذَا يَشرَح أيْضًا ضَرُورَة الكتَاب اَلمُقدَّس.[١٢] بِالطَّبْع

---

١٠ الإشارة هنا هي إلى ما جاء في العبرانيِّين ١: ٢، فتعبير «الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ» يُستَخدَم من قِبَل كُتَّاب العهد الجديد ليشير إلى مُجمَل الحقبة الزمنيَّة ما بين المجيء الأوَّل والثاني للمسيح؛ (المُتَرجِم).

11 Turretin, *Institutes*, 1:58 (2.2.6).

١٢ منذ بضعة عقود مضت، أعطى إقرار إيمان وستمنستر (١،١) تعبيرًا كلاسيكيًّا عن هذه الحجَّة: «لقد سُرَّ الربُّ [...] فيما بعد، من أجل حفظ الحقِّ وإعلانه بشكلٍ أفضل، ولتأسيس الكنيسة وتعزيتها على نحوٍ أكثر تأكيدًا ضدَّ فساد الجسد، وخُبث الشيطان والعالم، أن يعهَد بالإعلان نفسه بالكامل إلى الكتابة، ممَّا يجعل الكتاب المقدَّس ضروريًّا جدًّا، إذ قد توقَّفت الآن تلك الطرق التي بها أعلن الله إرادته لشعبه».

هـذَا لاَ يَضمَـن تلقِّـي اَلكلِمة بِأمانـة أو أن تُعَلَّم بِأمانة فِـي كُلِّ حَالَةٍ أو حَتَّـى فِـي كُلِّ جِيـلٍ. إذ إِنَّ هُنَـاك عَوامِـل أُخـرَى تَلعَـب دوْرًا فِـي هذَا الصَّـدد (فَهْـمُ وَمَهارَةُ اَلمُعلِّـم، الضَّعْف البشَـريُّ والْخطِّيَّة، الضَّغْط المؤسَّسـيُّ أو الثَّقافـيُّ، إِلـخ). مـع ذَلِـك أصـرَّ يَسُـوع نَفسـه علـى أن «يُكْرَزُ بِبِشَـارَةِ الْمَلَكُوتِ هذِهِ فِي كُلِّ الْمَسْـكُونَةِ شَـهَادَةً لِجَمِيعِ الأُمَمِ. ثُـمَّ يَأْتِـي الْمُنْتَهَـى» (مَتَّـى ٢٤: ١٤). كان مِن بَيْن اَلأُمور الحاسـمة لِهَذه اَلمهمَّـة هُـو أن يُوفِّـر اَلرَّبُّ كَلِمتَـه فِي شَكْلٍ مَكتُوبٍ ثَابِـتٍ. كَيْف لَنَا أن نَتَأَكَّـد مِـن أنَّ الإنْجيـل اَلـذِي نُعْلِنه الآن هُـو الإنْجيل نَفسـه الموْكول إِلَيْنَـا آنـذاك؟ إِنَّنا نَجِد فِـي الكتَاب اَلمُقدَّس المعْيار والْإِرْشـاد «لِتمْيِيز اَلحَـقِّ الإِلَهـيِّ مِـن التَّأْثيـرات الباطلـة والْقـوى الخاطئـة».[١٣] لَـم يَكُـن علـى اَللَّـه أن يُزَوِّدنَـا بِصيغـة مَكتُوبـة مِـن كَلِمَتِـه، وَلكِن بِسَـبب إِدْراكه لِحاجتنَـا، وَبِسـبَب الـدَّوْر الحاسـم لِكلِمَتـه فِـي الرِّسـالة اَلتِـي أوْكلَهَـا اَلمسِـيح إِلـى شَـعبِه، أعْطانَـا اَللَّه الكتَـاب اَلمُقدَّس.

وحي الكتَاب اَلمُقدَّس

مِـن الواضـح أنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس اَلـذِي أعْطانَـا إِيَّـاه اَللَّـه هُـو نِتَـاجٌ مخْلوقاتيٌّ. فَهُـو يقـع على الجانـب المخْلـوق مِن ذَلِـك التَّمْييز اَلعظِيـم بَيْـن الخالـق والْمخْلـوق، بَيْـن اَللَّـه وَكُلِّ شَـيْءٍ آخـر. فَهُـو يُمثِّـل كلمـات حَقيقِيَّـة، مَأخُـوذة فِـي الغالـب مِـن خِطَـابٍ مخْلوقاتيٍّ عَـادِيٍّ (سَـوَاء فِي النُّصـوص الأَصْليَّة أو فِي عددٍ لاَ يُحصَى مِن النُّسَـخ والتَّرْجمـات اَلتِـي نُسـخَت علـى مـرِّ اَلقُـرون)، مَكتُـوب بِالْحِبْـر علـى

13 A. A. Hodge and B. B. Warfield, "Inspiration," *The Presbyterian Review* 2, no. 6 (1881): 232, reprinted as *Inspiration* (Grand Rapids, MI: Baker, 1979), 17–18.

الرَّقـوق، أو البرْديَّـات، أو الـورق.

الأهـمُّ مِـن ذَلِـك هُـو أنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس هُـو نِتَـاجٌ إِنْسـانيٌّ. فَقْـد كُتِبَـت الكلمـات فِـي كُلِّ حَالَـةٍ تقْريبًـا (مـع مُلاحَظَة الاسْـتِثْناءات اَلمهِمَّـة لِلْغايـة فِـي وَقْـتٍ سَـابِقٍ مِـن هـذَا الفصْـل، ص ٩٠) مِـن قِبَل وُسَـطاء بشـريِّين. يُعرَف بَعْض اَلكُتَّاب مِن النُّصوص نَفسـها: إذ كتب مُوسَـى أَسـفَار النَّامـوس. وَكتَـب دَاوُد اَلكثِيـر مِـن المزامِيـر. وأوْضـح الأنْبيـاء فِـي الكتابـة أَنَّهُـم كَانُوا يُسـجِّلون كَلِمَة اَلـرَّبِّ اَلتِي جَـاءَت إِلى كُلِّ وَاحِـدٍ مِنْهـم. كَذلِـك قَـدَّم الرَّسـول يُوحنَّـا رِوايَتَـه كَشـاهِد عِيَـان عـن حَيَـاة يَسُـوع وخدْمَتـه، وَكذَلِـك كِتَـاب الرُّؤْيَـا؛ تُسـاعدنَا المقاطع الـواردة بِضميـر المتكلِّـم فِـي أَعمَـال الرُّسـل (١٦: ١٠-١٧؛ ٢٠: ٥-١٥؛ ٢١: ١-١٨؛ ٢٧-٢٨) على تَحدِيـد لُوقَـا اَلطبِيـب على أَنَّـه كَاتِب إِنْجيـل لُوقَا وأعْمَـال الرُّسـل؛ وَكتَـب بُولُـس رَسـائِله إِلـى الكنائـس، وَغالِبًـا مَـا كان يُوَقِّعهَـا بِنفْسـه (كُورنثـوس اَلأُولـى ١٦: ٢١؛ غَلاطِيَّـة ٦: ١١؛ كُولوسِّـي ٤: ١٨؛ تسـالونيكي الثَّانيـة ٣: ١٧؛ فليمـون ١٩). ومـع ذَلِـك، حَتَّـى عِنْدمَـا لاَ تُعطَـى لَنَـا هُويَّـة الكاتـب، فَمِـن الواضـح أنَّ هَـذِه النُّصـوص لَـم تَسـقُط مِـن السَّـمَاء بـل كَانَـت فِـي كُلِّ حَالَـةٍ نِتَـاجَ يدٍ بَشَـرِيَّةٍ.

أخيـرًا، يَجتَمِـع هَـذَان العـاملان معًـا فِـي الاعْتـراف بِـأنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس هُـو نِتَـاجٌ تاريخـيٌّ. إذ تُعطَـى الكلمـات لَنَـا مِـن سِـيَاقٍ تاريخـيٍّ مُعيَّـن، سَـوَاء كان نَشـأَة اَلأُمَّة بَعْـد اَلخُروج، أو فَتـرَة المَمْلكة المتَّحـدة، أو اِنحِـدار اَلقُـرون اللاحقـة فِي تَارِيخ إِسْـرائيل اَلـذِي تَكلَّم فِيـه الأنْبيـاء، وَحَيـاة يَسُـوع وخدْمَتـه، أو السَّـنوات اَلأُولـى لِرسـالة الإِنْجيـل اَلتِي حملهَـا الرُّسـل. فَقْـد كُتِبَـت رَسـائِل بُولُـس فِـي المقَام الأوَّل، علـى سـبيل المثَـال، إِلـى الكنائـس أو الأفْـراد الَّذيـن وُجِّهَـت

إِلَيْهِم، حَتَّى لَو كان هُنَاك شُعُور مُنْذ البداية بِأَنَّ مَا قَالَه بُولُس لِكلِّ كَنِيسَةٍ لَه نِطَاق أَوسَع مِن التَّطْبِيق (كُولوسِّي ٣: ١٦). سَوَاء فِي العهْد اَلقدِيم أو اَلجدِيد، كَانَت الكلمات مَكتُوبة **إِلى** جُمْهُورٍ أَصلِيٍّ وَلكِن تَمَّت كِتابتهَا أيْضًا **مِن أَجلِنا** نَحْن، كمَا أَشَار بُولُس: «لأَنَّ كُلَّ مَا سَبَقَ فَكُتِبَ كُتِبَ لأَجْلِ تَعْلِيمِنَا، حَتَّى بِالصَّبْرِ وَالتَّعْزِيَةِ بِمَا فِي الْكُتُبِ يَكُونُ لَنَا رَجَاءٌ» (رومية ١٥: ٤).

تَتَنوَّع العمليَّات اَلتِي تمَّ مِن خِلالِهَا إِنتَاج نُصُوص الكتَاب اَلمُقدَّس تنوُّعًا كبيرًا. لَقد أَشَرتُ بِالْفِعْل إِلى بَعْض المناسبات اَلتِي حَدثَت فِيهَا عَمَليَّة قَرِيبَة جِدًّا مِن الإِمْلاء (على جبل سَيْناء وَفِي الرَّسائل الموجَّهة إِلى الكنائس السَّبْع فِي سِفْر الرُّؤْيَا). ومع ذَلِك، كَانَت هَذِه الطَّريقة إِلى حدٍّ كبيرٍ هِي الاسْتِثْناء لاَ القاعدة. كمَا أَنَّ عِبارة بُطرُس «تَكَلَّمَ أُنَاسُ اللهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ» لاَ تَقتَصِر على الأَنْبِياء الَّذين يُردِّدون الكلمات الحرفيَّة اَلتِي سَمعُوها تُنطَق فِي السَّمَاء، كَذلِك فَإِنَّ كُتَّاب النُّصوص الكتابيَّة المخْتلفة قَامُوا بِإِنْتاجهَا بِعَدد مِن الطُّرق المخْتلفة. إِذَا اِقْتصرْنَا على العهْد اَلجدِيد فقط، فَإِنَّنَا نَجِد شَهادَة شُهُود العيَان، اَلتِي يُقَال عَنهَا: «أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي» (لُوقَا ١: ٣) وَذلِك عن التَّاريخ اَلذِي تمَّ تجْميعه مِن تَقارِير اَلعدِيد مِن شُهُود العيَان، والرَّسائل الشَّخْصيَّة والرَّعويَّة اَلتِي كتبهَا رُسُل اَلمسِيح المكلَّفون، وَكذَلِك «كَلِمَةَ الْوَعْظِ» (العبْرانيِّين ١٣: ٢٢)، وَسجلِّ الرُّؤْيَا اَلتِي أُعطِيت لِرسولٍ فِي المنْفى. لَم يَتَطلَّب أيٌّ مِن هَذِه الإِمْلاءَ كَلِمَة بِكلمة. إِذ تَظْهَر الشَّخْصيَّات والْأساليب الأدبيَّة لِلْكُتَّاب المُخْتلفين فِي اِخْتياراتهم لِلْكلمات، والتَّفاصيل اَلتِي اِخْتاروا التَّرْكيز عليْهَا،

وعلاقتهم بِالْمواقف الخاصَّة اَلتِي كَانُوا يكتُبون فِيهَا، وَكذَا اَلتِي كَانُوا يَكتُبون إِلَيْهَا وعنْهَا.

ومع ذَلِك، فلاَ الطَّبيعة المخلوقانيَّة، ولاَ البشريَّة، ولاَ التَّاريخيَّة لِلْكتَاب اَلمُقدَّس ولاَ تَنوُّع الأزْمنة والْكُتَّاب والْأساليب المُتضمَّنة فِي تكْوينه تَمنعُه مِن أن يَكُون كَلمَة اَللَّه بِالنِّسْبة لَنَا. فمهْمَا كَانَت العمليَّة الدَّقيقة اَلتِي مِن خِلالِهَا ظَهَرَ هذَا اَلنَّصُّ الكتابيُّ على وَجْه التَّحْديد، فَإِنَّ النَّتيجة هِي أنَّ «كُلُّ الْكتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ» (تِيموثاوس الثَّانية ٣: ١٦). هذَا مَا يقْصده اللاَهوتيُّون المسيحيُّون عِنْدمَا يتحدَّثون عن «وَحْي» الكتَاب اَلمُقدَّس، وَهُو مُصطلَح يَأتِي مِن التَّرْجمة اللاَّتينيَّة لِكلمة *theopneustos* (مُتَنفَّس بِهَا) فِي تِيموثاوس الثَّانية ٣: ١٦، *divinitus inspirata est*. وبالْمعْنى اَلدقِيق لِلْكلِمة، فَإِنَّ مَا يُوصَف بِأَنَّه «مُوحًى بِه» هُو اَلمُنتَج (كُلُّ الكتَاب اَلمُقدَّس)، وليْس أُولئك المشاركين فِي العمليَّة (الكُتَّاب). وَفِي ضَوْء الخلْفيَّة اَلتِي رَسَمتهَا، لَيْس مِن الصَّعْب شَرْح مَا يعْنيه هذَا. إِنَّ هَذِه هِي كَلمَة اَللَّه، فِي أَبسَط المسْتويات اَلتِي يجْلبهَا لَنَا رُوح اَللَّه، وَالتِي تَتمتَّع بِالْعلاقة الحميمة نَفسها معه كمَا تَرتَبِط بِنَا الكلمات اَلتِي تَخرُج مِن أفْواهنَا، وَالتِي تحْملهَا أنْفاسنَا. هَذِه هِي الكلمات اَلتِي قصدهَا اَللَّه لَنَا مِن مُوسَى أو دَاوُد أو إشعياء، أو مِن يُوحنَّا أو بُطرُس أو بُولُس. إِنَّها نِتَاج عَامليَّة مُزْدوجَة، وَهِي سِمة خَاصَّة لِإِعْلاَن اَللَّه عن نَفسِه لِمخْلوقاته كمَا رأيْنَا بِالْفِعْل. هَذِه العَامليَّة المُزْدوجَة هِي فِي حدِّ ذاتهَا نَتِيجَة لِقرار اَللَّه اَلكرِيم بِإِشْرَاك مخْلوقاته فِي تَحقِيق أهْدافه.

إِنَّ وَحْي الكتَاب اَلمُقدَّس هُو مَا يُميِّز هَذِه النُّصوص على أَنَّهَا

مُختلفَـة عـن أيِّ نُصُـوصٍ أُخـرَى قـد نُفكِّـر فِيهَـا، سَـوَاء كَانَـت مَجامِع كَنَسـيَّة أو مَحافِـل عَامَّـة أو كُتَّـاب لاَهوتيِّيـن آخريـن. إنَّ الوحْي هُو مَا يُؤَكِّـد سُـلْطتَهَا الفريـدة. فأوغسـطينوس مـثلاً، اَلذِي هُـو أَعظَم عَقْلٍ مَسـيحِيٍّ فِـي الكنيسـة الباكـرة، علـى الرَّغْـم مِـن كُلِّ الأشْـياء المفيـدة اَلتِـي كتبهَـا، فَإنَّـه لَـم يُقـدِّم نُصوصًـا يَجِـب أن نَصِفهَا بِأنَّهَـا «مُوحًى بِهَـا مِـن اَللَّـه». وَكذَلِـك لَـم يَفعَـل المُصْلحـون العظمـاء أَمثَـال لُوثَر أو زوينْجلـي Zwingli أو كالفـن أو كرَنمَـر. لاَ يُوجَـد كُتَّاب مُعاصرون، بِغـضِّ النَّظـر عن كَونهِـم ذَوِي عَقِيدَة قَوِيمَة أو صَالحِيـن مِن النَّاحية الرَّعويَّـة، يُمْكنهـم طَـرْح هـذَا الادِّعـاء مِـن جِهـة كِتاباتهـم. لاَ يُمْكننَا أن نَتَحـدَّث بِهَـذه الطَّريقـة عـن العقائـد اَلكُبـرى أو إِقْـرارات إِيمَـان الكنائـس أيْضًـا. بل يَشـمُخ الكتَاب اَلمُقـدَّس بِمفْرَده بِاعْتبـاره «مُوحًى بِـهِ»، وَمِـن ثـمَّ فَهُـو يَسـمُو بِمفْـرَده بِاعْتبـاره السُّـلْطة النِّهائيَّـة اَلتِـي يَجِـب أن يُحكَـم بِهَـا على جميـع مَصـادِر السُّـلْطة اَلأُخرى.

وَعلَـى الرَّغْـم مِـن أنَّ الكتَـاب اَلمُقدَّس نَفسَـه يُطْلَق عليْـه بِجدارة أَنَّـه «مُوحًـى بِـهِ» عِوَضًـا عـن كُتَّابـه أَنفُسـهم، فَإنَّـه كان مِـن الصَّعْب عمليًّـا فَصْـل اَلمُنتـج عـن العمليَّـة اَلتِـي أنْتجَتْـه لَنَـا. يَتَّضِـح هـذَا فِي التَّعْريـف الأكْثـر اِسْـتخْدامًا لِمفْهـوم الوحْـي الكتابِيِّ لَدى الأسْـتاذيْنِ أرشِـبالد هـودج A. A. Hodge وبنيامين وُرفيلـد B. B. Warfield:

> [إِنَّ وَحْـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس هُـو] عمـل اَللَّـه المسْـتمرُّ فِـي الرِّقابـة الإشْـرافيَّة، وَالتِـي بِمقْتضاهَـا، بَعْـد أن تَأسَّـس مُسـبَّقًا اِنْخراطـه الإلَهـيُّ والْكريـم والْخـارق لِلطَّبيعـة، تَـرأَّس الكُتَّـاب القدِّيسـين فِـي كَامِـل عَملِهِـم الكتابـيِّ، بِتصْمِيمٍ وَتأثِيـرٍ جعلَ مِـن تِلْـك الكتابـة سِـجلاًّ خاليًا مِـن الأخْطـاء لِلْأمـور اَلتِي قصد

لَهُـم أن يُوصِّلوهَـا، وبالتَّالـي كَوَّنُـوا كِتابًـا هُـو بِأكْمَلـه وَفِـي جميـع أجْزائـه كَلمَـة اَللَّـه لَنَـا.[١٤]

إِنَّ السِّـيَاق اَلمهِـمَّ لِفَهـم كَيفِيَّـة حُـدُوث وَحْـي الكتَـاب اَلمُقدَّس بِـشَكلٍ صحيـحٍ هُـو، كمَـا رأيْنَـا، الطَّريقـة اَلتِـي يَعمَل بِهَـا اَللَّـه بِشَكلٍ مُـتَلازِمٍ ومتزامـنٍ فِـي عَالَمِـه. إذ يَعمَـل اَللَّـه فِـي المخْلوقـات اَلتِـي صنعهَـا وَكـذَا يَعمَل بِهَـا، مُهَيِّئًـا إِيَّاهَا لِلْمهِمَّـة الموكلة إِلَيْهَـا، ويمكِّنهَا مِـن أَدَاء اَلمهِمَّـة، ويوجِّههَا فِـي إِطَار اَلمهِمَّة دُون المسَـاس بِطبيعتهَا المخْلوقـة. إِنَّ اِنخِـراط اَللَّـه الواسـع والسَّـابق فِـي حَيَاة أُولئـك الَّذين كَلَّفهـم بِدوْرِهـم اَلْخـاصِّ مَكَّنَـت كُتَّـاب الكتَـاب اَلمُقـدَّس البشـريِّين مِـن التَّصَـرُّف بِوَعـيٍ وإِبْـدَاعٍ بيْنمَـا فِـي النِّهايـة يَترُكـون لَنَـا الكلمـات اَلتِـي قصدهَـا اَللَّـه. فَتَعلَّـم مُوسَـى فِـي بَلاَط فرعـون، وَكَانَـت لـدَاوُد خِبـرَة كَـرَاعٍ قَبْـل أن يُصْبِـح ملـكًا، وتـدرَّبَ بُولُـس كربِّينـي عِنْـد أَقدَام غمالائيـل؛ كان تَشـكِيل اَللَّـه لِكلِّ شَـخْصٍ طَـوَال حَياتِـه هُـو مَـا شَكَّل الأَفْكار والْكلمـات اَلتِـي اِسْـتخْدمهَا. كَتَـب وارفيلـد لاَحقًـا: «إِذَا أَرَاد اَللَّـه أن يُعْطِـي شَـعبَه سِلْسـلةً مِـن الرَّسـائل مِثْـل رِسـالة بُولُس، فقد أعـدَّ بُولُـس لِكتابتهَـا، وَكَان بُولُـس اَلذِي أَعـدَّه اَللَّه لِلْمهِمَّـة هُو بُولُس اَلـذِي سـيكتب مِثْـل هَـذِه الرَّسـائل تِلْقائيًّا».[١٥]

ومـع ذَلِـك، فقـد كان الأَمْـرُ أَكثَـر مِـن مُجـرَّد إِشـرَاف اَللَّـه اَلْعـامِّ علـى كُلِّ الأَشْـياء، إِذ قـام بِإِرْشـادهم وتوْجيههـم نَحْـو الغايـات

14 Benjamin Breckinridge Warfield, "The Biblical Idea of Inspiration," in *The Inspiration and Authority of the Bible*, ed. Samuel G. Craig (Phillipsburg, NJ: Presbyterian and Reformed, 1948), 155.

15 Benjamin Breckinridge Warfield, "The Biblical Idea of Inspiration," in *The Inspiration and Authority of the Bible*, ed. Samuel G. Craig (Phillipsburg, NJ: Presbyterian and Reformed, 1948), 155.

اَلتِي خَطَّط لَهَا. تَحدَّث وارفيلد أيْضًا عن «رِقابة اَللَّه الإشْرافيَّة الخاصَّة» المصمَّمة لِتأْمِين «تَعبيرٍ خالٍ مِن الأخْطاء فِي لُغَة مِن الأفْكار مِن تَصمِيم اَللَّه».[16] لَم يَقُم اَللَّه بِبساطة بِبرْمَجة الكوْن وَتركِه يَعمَل مِن تِلقاء نَفسِه، واثقًا مِن أَنَّه سَيصِل إلى الغاية اَلتِي قصدهَا. كمَا أَنَّه لَم يَعدَّ الأفْراد فحسْب ثُمَّ ترك الأمْر لَهُم مَا إذَا كَانُوا سيكْتبون أم لاَ، أو مَاذَا سيكْتبون إذَا كَتبُوا. بلى، لَقد كَانُوا نشطين بِوَعي وَذَكاء وإبْدَاع، لَكِنَّ الشَّهادة المرْكزيَّة لِلْكتَاب اَلمُقدَّس عن نَفسِه هِي أنَّ هَذِه النُّصوص مُوحًى بِهَا مِن اَللَّه. لَقد آلَ الاسْتخْدام اَلحُرُّ والْفعَّال لِعَقل بُولُس إلى الكلمات اَلتِي أَرَاد اَللَّه نَفسه أن نَحصُل عليْهَا.

وحيٌ لَفظِيٌّ

مِن الواضح أنَّ الوحْي بِهَذا المعْنى يَمتَدُّ إلى الكلمات المُسْتخْدَمة وليْس مُجرَّد الأفْكار الكامنة وَرَاء الكلمات. هذَا هُو المقْصود **بِالْوَحْي اَللفْظِيِّ**. بِالطَّبْع، الكلمات هِي تَعبِيرٌ عن الفكْر (بِالْإضافة إلى العاطفة والشَّخْصيَّة ومجْموعة مِن الأشْياء اَلأُخرى). ومع ذَلِك، لاَ يُمْكننَا إغفَال الكلمات الفعْليَّة المكْتوبة. وَهذَا وَاضِح، كمَا لاَحَظَ رُوجَر نِيكول Roger Nicole، فِي الطَّريقة اَلتِي بِهَا «لَم يَتَردَّد يَسُوع وَرُسُله فِي بَعْض الأحْيان فِي بِنَاء كُلِّ حُجَجهِم على كَلِمَة وَاحِدة مِن كِتَاب العهْد اَلقدِيم [...] أو حَتَّى على الشَّكْل اَلنحْوِيِّ لِكلمة وَاحِدة».[17] يَظْهَر اِهتِمام يَسُوع اَلوثِيق بِصياغة

16 Warfield, "Biblical Idea of Inspiration," 154.

17 Roger Nicole, "New Testament Use of the Old Testament," in *Revelation and the Bible*, ed. Carl F. H. Henry (Grand Rapids, MI: Baker, 1958), 139.

نُصُـوص العهْـد اَلقدِيم فِـي اِحْتكامه لِحَـرفٍ وَاحِدٍ فِي اَلنَّـصِّ اَلعبْرِيِّ اَلأَصْلِـيِّ وَهُـو اَلْيـاء فِـي كَلمَـة «لِرَبِّـي» (مَتَّـى ٢٢: ٤١-٤٥). كمَـا اِحتكَم إِلـى اِسْـتخْدام كَلمَـة «آلِهَةٌ» فِـي مَزمُور ٨٢: ٦، عِنْدمَا دَافَع عن نَفسِـه ضِـدَّ أُولئـك اليهـود الَّذيـن أرادوا أنَّ يَرجُمـوه فِـي أَعقَـاب وَصفِـه لِلَّـه بِأَنَّـه «أبـوه» وبتصْريحـه «أَنَا وَالآبُ وَاحِـدٌ» (يُوحنَّـا ١٠: ٢٧-٣٦). أيْضًا كان أحـد المبـادئ الأساسـيَّة لِتعْلِيم بُولُس عن التَّبْرير فِي رِسـالَته إِلى أَهْـل رُوميـة هُو اِحْتكامه لِكلمة «حَسِـبَ» (חָשַׁב) فِـي التَّكْوين ١٥: ٦ لِلْمقارنـة بَيْـن عَطيَّـة اَلبِـرِّ لَدى إِبْراهيـم وَالبِرِّ اَلذِي سَـيكُون مُسـتحَقًّا كأَجْـرٍ إِذَا كان قـادرًا على اِكْتسـابه. كمَـا يُعْطِي كَاتِـب العبْرانيِّين أَهَمِّيَّة كَبِيـرَة لِكلمـة «إِخْوَة» فِي المزْمور ٢٢ (العبْرانيِّـين ٢: ١١-١٢)، و«الْيَوْمَ» فِـي المزْمـور ٩٥ (العبْرانيِّـين ٤: ٧)، و«مَـرَّةً أَيْضًـا» فِـي حَجَّـي ٢: ٦ (العبْرانيِّـين ١٢: ٢٦-٢٧). يَمتَـدُّ مُسـتَوَى التَّفْصيـل إِلـى عـدد الأَسْـماء فِـي غَلاطِيَّـة ٣: ١٦ -«نَسْـل»، وليْـس «أَنسَـال»- بِالْإِشـارة إِلـى التَّكْوين ٢٢: ١٨. لاَ يُمْكِـن لِأيٍّ مِـن هَـذِه الأَمْثلـة أن يَكُـون مُقْنِعًـا إِذَا لَـم يَكُـن وَحْـي الكتَـاب اَلمُقدَّس شـاملاً الكلمـات عَينها. فِي الواقـع، كان مَارتِن لُوثَـر يَقُـول: «لَيْـس فقـط الكلمـات وَلكِـن أيْضًـا تَرتيـب الكلمـات اَلتِي يسْـتخْدمهَا الـرُّوح اَلقُـدس والْكتَاب اَلمُقـدَّس هُو أَمْـرٌ إِلَهِيٌّ».[١٨]

إِذَا كان الوحْـي يَشـمَل الكلمـات، فمَـا هِـي الكلمات اَلتِـي نَتحدَّث عَنهَـا؟ كان العهْـد اَلقدِيـم مَكتُوبًا فِـي الأَصْل بِالْعبْريَّـة (بِالْإِضافة إِلى عِـدَّة إِصْحاحـات فِـي دانْيَـال وَعـزرَا وآيـات وكلمَـات أُخـرَى مُنفصلَـة فِـي إِرميـا وَسـفر التَّكْويـن والْمزامير مَكتُوبـة بِاللُّغـة الآراميَّـة) والْعَهْد

18 Martin Luther, *In Quindecim Psalmos Graduum*, in *D. Martin Luthers Werke: Kritische Gesamtausgabe, Schriften*, ed. J. K. F. Knaake et al., 73 vols. (Weimar: Hermann Bohlaus, 1883–2009), 40/3:254.23–24.

بكلمة «إلهي» في هذا السياق، كان لوثر يقصد «من عند الله». لم يعتقد أنَّ النصَّ هو الله.

اَلجدِيد بِالْيونانيَّة الدَّارجة (koinē). لِذَلك، وَفِي المقَام الأوَّل، هَذِه هِي الكلمات اَلتِي يُمْكِن أن نَصِفهَا بِأنَّهَا «مُوحًى بها مِن اَللَّه/ تَنَفَّسهَا اَللَّه». وهكذَا فَإِنَّ الدَّافع وَرَاء الدِّراسة المتأنِّية المسْتمرَّة لِهَذه اللُّغَات القديمة يَنبُع مِن مِثْل هذَا الاقْتناع. إِنَّ مُحتَوَى كَلِمَة اَللَّه هُو أَمْرٌ بَالِغ الأهمِّيَّة، لَكِنَّ هذَا لاَ يَعنِي أنَّ الصِّيغة اَلتِي بِهَا أُعطَى لَنَا هذَا المحْتوى لَيسَت مُهمَّة أو عَارِضة. اِتَّفق لُوثَر مع أُوغسطينوس على أنَّ هُنَاك حَاجَة مُسْتمِرَّة «إلى بَعض النَّاس فِي الكنيسة الَّذين يُمْكنهم اِسْتخْدام اليونانيَّة والْعبْريَّة بيْنمَا هُم بِصَدد التَّعامل مع اَلكلِمة، لِأنَّ الرُّوح اَلقُدس كتب العهْديْنِ اَلقدِيم والْجديد بِهاتَيْنِ اللُّغتيْنِ».[١٩] لِذَا يَجِب اِختِيار جميع التَّرْجمات مُقَابِل الأصْل، نظرًا لِأنَّ التَّرْجمة الخاطئة هِي اِحتِمالٌ حَتمِيٌّ.

ومع ذَلِك، فَإِنَّ عَمَليَّة التَّرْجمة لاَ تَنطَوِي بِالضَّرورة على تَحرِيفٍ. إذ لَيْس مِن الضَّروريِّ أن تُمثِّل التَّرْجمة غِشًّا على الدَّوَام.[٢٠] لَيْس هُنَاك مَا يَستدْعِي اَلكثِير مِن الحرج بِشَأن اِحتِياج الكتَاب اَلمُقدَّس نَفسه إِلى التَّرْجمة. على سبيل المثَال، كَانَت التَّرْجمة

19 Martin Luther, "The Adoration of the Sacrament," in *Luther's Works*, ed. Jaroslav Pelikan and Helmut T. Lehmann, 68 vols. to date (St. Louis: Concordia; Minneapolis: Fortress, 1955–), 36:304.

يبدو أنَّ لوثر كان يشير إلى أوغسطينوس:

De Doctrina Christiana 2.11, accessible as *On Christian Teaching*, trans. R. P. H. Green (Oxford: Oxford University Press, 1997), 38.

٢٠ على الرغم من القول المنسوب إلى:

Okakura-Kakuzō, *The Book of Tea* (London: Putnam's Sons, 1906), 48

«الترجمة هي دائمًا خيانة، وكما يلاحظ أحد المؤلِّفين في عصر سلالة مينغ الحاكمة، يمكن أن تكون الترجمة في أفضل حالاتها كالتطريز المقلوب؛ كلُّ الخيوط موجودة، ولكن بلا دقَّة في اللون أو التصميم.»

السَّـبْعينيَّة هِـي التَّرْجمـة اليونانيَّـة لِلْعهْـد اَلقدِيم اَلعبْـرِيِّ تقريبًا ٢٥٠ قَبْـل المـيلاد، وَالتِي يَبـدُو أنَّ العهْد اَلجدِيد يقْتبسـهَا بِانْتظامٍ. عِلاوةً على ذَلِـك، تَظْهَـر بَعْـض المصْطلحات العبْريَّـة والْآراميَّة فِـي العهْد اَلجدِيـد جنْبًـا إِلـى جَنْـبٍ مـع ترْجمتهَـا اليونانيَّـة (على سـبيل المثَال: متَّـى ١: ٢٣؛ ٢٧: ٣٣؛ مَرْقُـس ٥: ٤١؛ ١٥: ٣٤؛ يُوحنَّـا ١: ٤١؛ أَعمَـال الرُّسـل ٩: ٣٦). إِنَّ التَّرْجمة هِي سِـمة مِن سِـمَات اَللُّغَة البشـريَّة مُنْذ بُـرْج بَابِـل، وتعـدُّد اللُّغَـات لَـم يَكُـن عائقًـا أبـدًا أَمَـام تَعرِيـف اَللَّـه بِنفْسـه وبأهْدافـه. وَلعَـلَّ أَكثَر الدَّلائـل الدِّراماتيكيَّة على ذَلِك هُو مَا حـدث فِـي يَـوْم الخمْسـين، عِنْدمَـا أَجـرَى اَللَّـه عَملَـه جـاعلاً كُلَّ فَـرْدٍ مِـن ذَلِـك الجمْهـور مُتَعـدِّد الأعْـراق المُجْتَمِع آنـذاك يَسـمَع التَّلاميذ يُسـبِّحون اَللَّـه بِلُغَتـه اَلأُمِّ (أَعمَـال الرُّسـل ٢: ٥-١١). لِذَلـك، بِقَـدر مَـا تقـدِّم تَرجمَـةٌ مُعَيَّنَـةٌ اَلنَّـصَّ اَلأصْلِـيَّ اَلعبْـرِيَّ أو الآرامـيَّ أو اليونانـيَّ بِأمانـةٍ، يكـون مَـا لَديْنَـا فِـي تِلْـك التَّرْجمـة هُـو كَلمَـة اَللَّـه لَنَـا. وَهِـي تَحمـل كُلَّ سُـلْطان الأصْـل.

وحيٌ مُطلَقٌ

لاَ يَشـمَل الوحْـي الكلمـات اَلتِـي يَتَكـوَّن مِنهَـا اَلنَّـصُّ فقـط؛ بـل يَمتَـدُّ أيْضًـا عَبْـر اِتِّسـاع الكتَـاب اَلمُقـدَّس. إِنَّ «كُلَّ الْكِتَـابِ» مُوحًـى بِـه مِـن اَللَّـه، وليْـس مُجرَّد «كُلِّ كتـابٍ». غالبًا مَـا تُوصَف هَـذِه الفكْرة الأساسـيَّة بِاسْم **الوحْي اَلمُطلق أو الشَّـامل.** لاَ تُوجَد دَرَجات لِلْوحْي فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس. بـل هُـو كُلُّـه كَلمَـة اَللَّـه بِالنِّسْـبة لَنَـا لِأَنَّـه كُلَّـه مُوحًـى بِـه مِـن اَللَّـه. لَيْس لَديْنَـا اَلحَقُّ فِـي اِنتِقـاء واخْتيار مَا سـنقْبَله فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس. فَقْـد تَكـون الكلمـات اَلتِـي قالهَـا يَسُـوع ثَمِينَة

على وَجْـه اَلخُصـوص لِأَنَّهَا الكلمـات اَلتِي قالهَا يَسُـوع، لَكِنَّهَا لَيسَـت أَنفَـاس اَللَّـه بِـشَكلٍ يَفُـوق السَّـرْد اَلـذِي يُحيـط بِهَـا فِـي الأناجيـل. إِنَّ كِلَيْهِمَـا «الكتَـاب اَلمُقـدَّس» بِالتَّسـاوي. إِنَّ الكلمـات المَكْتوبـة بِالْحِبْر الأَحْمـر والْأَسْـود جَميعهـا مُوحًـى بِهَا.[٢١]

وَهـذَا يَنطَبِـق أَيْضًـا على الأَنْـواع الأدبيَّـة المتنوِّعـة لِنصـوص الكتَـاب اَلمُقـدَّس. لَيسَـت المـادَّة الشَّـرائعيَّة فقـط هِـي اَلتِي تَحمِـل سُـلْطان اَللَّـه، بـل السِّـجلاَّت التَّاريخيَّـة أَيْضًـا وَحتَّـى الشِّـعْر. مِـن اَلمهِـمِّ بِالتَّأْكيـد التَّعَـرُّف على الأَنْواع المخْتلفـة لِلْكتابة وَعـدَم قِراءة الكتَـاب اَلمُقـدَّس كمَـا لَـو كان كُلُّـه مُتشـابهًا. سَـتكُون الكيْفيَّـة اَلتِي نُطبِّـق بِهَـا رِسـالة الأَسْـفار التَّاريخيَّـة مُختلفَـة بِالضَّرورة عـن الطَّريقة اَلتِي نُطبِّـق بِهَـا تحْذيـرات وأوامـر الرَّسـائل الرَّسـوليَّة. إِذ نَنتَقِـل مِـن اَلنَّـصِّ الكتابـيِّ إِلـى مواقفنَـا الخاصَّـة بِطـرقٍ مُختلفَـة قلـيلاً فِـي كُلِّ حَالَـة، مـع مُلاَحظَـة التَّمْييـز بَيْـن الوصْف والتَّشْـريع. ومع ذَلِـك، فَإِنَّ الاخْتلافـات فِـي النَّـوْع الأَدَبـيِّ لاَ تُؤثِّـر على وَحْـي اَلنَّـصِّ. فَكُلُّ نَـوْعٍ مِنهَـا هُـو كَلِمَـة اَللَّـه بِالنِّسْـبة لَنَـا بِالتَّسـاوي.

ولاَ يَنبَغِـي لَنَـا أن نُميِّـز بَيْـن النُّصـوص مِـن حَيْـث طَبِيعَـة موْضوعهَـا، كمَـا لَـو كان الوحْـي يَنطَبِـق فقـط عِنْدمَـا يَتَنـاوَل اَلنَّـصُّ بِـشَكلٍ مُبَاشِـرٍ شَـخْصَ وأغْـرَاضَ اَللَّـه أو مَسـائِلَ الـخلاَص. أنَّ سِـجلَّ تَارِيـخ إِسْـرائيل هُو اَلسـجِلُّ اَلـذِي أَرَاد اَللَّـه أن نَحصُل عليْـه. وَكذَلِك مَجمُوعـة الأَمْثـال وأجْـزَاء الحكْمـة اَلأُخـرى. إِنَّ مُعَالجَـة بُولُـس لِلسُّـلوك اللاَئـق فِـي البيْـتِ بِنَاءً على مَا فَعلَه اَلمسِـيح مِـن أَجلِنا هِي

٢١ الإشارة هنا هي إلى النُسَخ الإنجليزيَّة التي تُطبَع فيها الكلمات التي نَطَق بها يسوع في الأناجيل باللون الأحمر بينما باقي النصوص باللون الأسود؛ (المُتَرجِم).

مُوحًى بِهَا تمامًا مِثْل شَرحِه لِلتَّبْرير بِالْإيمان وَحدَه بِدون أَعمَالٍ. بِالطَّبْع، يَجِب الانْتباه بِعنايةٍ إِلى هدف وَمقصِد اَلنَّصّ الكتابيّ (بِقَدر مَا يُمْكِن إِدْراكه مِن اَلنَّصّ نَفسِه). على سبيل المثَال، حَتَّى عِنْدمَا يَتَناوَل الكتَاب اَلمُقدَّس الظَّواهر الطَّبيعيَّة، فَإِنَّه لاَ يَكتُب بِنَفس التَّوقُّعات، أو الأعْراف، أو بِالْقَدر نَفسِه مِن الاهْتمام بِدقَّة التَّفاصيل كمَا لَو كان كِتابًا عِلْميًّا فِي القرْن الحادي والْعشْرين. وَفَرْضُ هَذِه اَلأُمور على الكتَاب اَلمُقدَّس سيخْلق مُشكِلاَت حتْمًا. إِنَّ اَللُّغَة الظَّاهراتيَّة لِلْكتَاب اَلمُقدَّس (أيْ اَللُّغَة اَلتِي تَصِف الأشْياء كمَا نخْتبرهَا) واهْتمامهَا الرَّئيسيَّ بِعلاقة كُلِّ الأشْياء بِاللَّه وأهْدافه، وَالتِي تَجِد اِكْتمالهَا النِّهائيَّ فِي اَلمسِيح، تقودنَا فِي اِتِّجاهٍ مُخْتَلِفٍ عن اِهتِمام القرْن الحادي والْعشْرين بِدقَّة التَّفاصيل. ومع ذَلِك، فَإِنَّ المقاطع اَلتِي تُنَاقَش فِيهَا الظَّواهر الطَّبيعيَّة هِي مُوحًى بِهَا تمامًا مِثْل الأجْزاء اَلأُخرى مِن الكتَاب اَلمُقدَّس. يَجِب أَلاَّ نَتَعجرَف على اَلنَّصّ ونقرِّر مَا هُو مُوحًى بِه ومَا هُو لَيْس بِموحًى بِه. إِذ إِنَّ هذَا مِن شَأنِه أن يَجعَل منْطقنَا أو الإِجْماع اَلعلْمِيَّ الحاليَّ هُو المرْجعيَّة النِّهائيَّة، وليْس الكتَاب اَلمُقدَّس.

تاريخيًّا، حَدَثَ شَيْءٌ كَهذَا عِنْدمَا دَافَع النَّاس عن فِكْرَة «الوحْي المحْدود». فِي القرْن السَّادس عشر، كتب فاوستُس سوتشينوس أنَّ بَعْض أَجزَاء الكتَاب اَلمُقدَّس «لَيْس لَهَا أَهَمِّيَّة»، وَهِي وُجهَة نظرٍ سَمحَت لَه بِرَفض عددٍ مِن العقائد المسيحيَّة، بِمَا فِي ذَلِك الثَّالوث والْخطيَّة الأصْليَّة وَتدبِير اَللَّه لِلْكفَّارة بِمَوت اَلمسِيح.[٢٢]

22 F. Socinus, *De sacrae Scripturae auctoritate* (1570; Rakow: Sebastiani Sternacii, 1611), 21; see Richard A. Muller, *Post-Reformation Reformed Dogmatics: The Rise and Development of Reformed Orthodoxy, ca. 1520 to ca. 1725*, vol. 2, *Holy Scripture*, 2nd ed. (Grand Rapids, MI: Baker, 2003), 306.

وبعْـد قرْنيْـنِ ونصْـف، كان لِصموئيـل تِيلور كوليـردج Samuel Taylor Coleridge تَأثِيـرٌ على عـددٍ مِـن قَـادَة الكنيسـة الإنْجليزيَّـة عِنْدمَـا كتـب: «بِاخْتصـارٍ، كُلُّ مَـا يَتَّفِـق مَعِي، يَشـهَد بِذَلك لِنفْسـه أَنَّـه اِنبثَق مِـن الـرُّوح اَلقُـدس».[٢٣] كمَـا أَوضَـح لِصديـق، «مَـا تَجـدُه مُتطابقًا مع قناعاتـك اَلتِي تَأسَّسَـت مُسـبَّقًا، سَـتدرِك بِالطَّبْع أَنَّـه اَلكلِمـة اَلمُوحى بِهَـا».[٢٤] هَـذِه الفكْـرة القائلـة بِأَنَّنَـا نَحْتـاج أن نُؤكِّـد وَحْـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس فِـي بَعضِـه فقـط وليْـس كُلّـه هِـي فِكْـرَة تَكمُـن فِـي قَلْـب الجـدل الدَّائـر بَيْـن تِشـارلز بِريغـز Charles Briggs، وليولِيـن إِيفانـز Llewellyn J. Evans، وَهنـري برزرفـد سـميث Henry Preserved Smith فِـي نِهايـة القـرْن التَّاسـع عشـر.[٢٥] كمَـا قـال إِيفانـز:

> الكتَـاب اَلمُقـدَّس هُـو كِتَـابٌ رُوحـيٌّ. فِـي أَساسِـه، وجوْهَـره، وَكُلُّ مُكوِّنَـات الكتَـاب هِـي رُوحيَّـة. فالْسَّـداة واللُّحْمـة مِنْـه هِـي الـرُّوح. بيْنمَـا تَندَفِـع حَوَافُّه، بِـشَكلٍ مَحتُومٍ، إِلـى اَلْأَوجه العلْمانيَّـة والْمادِّيَّـة والنَّفْسـيَّة. أَلاَ يُمْكنَنَا، كأَشْـخَاصٍ يتمتَّعون بِـذكاءٍ فطْـرِيٍّ، وفـوْق كُلِّ ذَلِـك لَديْنَا الشَّـهادة الدَّاخليَّـة لِلرُّوح لِمسـاعدتنَا، أَلاَ يُمْكنَنَـا التَّمْييـز بَيْن الحافَّة والسَّـداة واللُّحْمة؟ أَلاَ تميِّـز «الرُّوحيَّـات» و«السَّـماويَّات» فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس نَفسـها عـن كُلِّ مَـا هُـو أَدنَـى، مِثلَمـا يَتَميَّز السُّـطوع المسْـتمرُّ

23 Samuel Taylor Coleridge, *Confessions of an Inquiring Spirit* (New York: Chelsea House, 1983), 42 (first published in 1840, six years after his death).

24 Coleridge, *Confessions of an Inquiring Spirit*, 64–65.

25 Henry Preserved Smith, *Inspiration and Inerrancy: A History and a Defense* (Cincinnati: Robert Clarke, 1893).

لِلنُّجـوم الأبديَّـة عـن اللَّمعـان المتقطِّـع لِحُباحِـب الأرْض؟[٢٦]

أَرَاد إِيفانـز أن يُؤكِّـد وَحْـي الكتَـاب اَلمُقدَّس، وَلكِـن فقط بِطريقة يَتِـمُّ فِيهَـا قَبُول الكتَـاب اَلمُقدَّس بِاعْتبـاره «قَاعِدة مَعصُومـة لِلْإيمان والسُّـلوك وليْـس مَعصُومًـا عـن الخطـأ فِـي كُلِّ تصْريحاتـه».[٢٧] ذهـب سِـميث إِلـى مَـا هُـو أَبعَـد مِـن ذَلِـك، وَأصَـرَّ على أَنَّـه «مِن المشْـروع تمامًـا [...] التَّمْييـز بَيْـن عُنْصُريـن فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس: مَـا كان مِـن مُسـنَدَات الوحْـي ومَـا لَـم يَكُـن مِن مُسـنَدَات الوحْـي».[٢٨] وتُـرِكَ لِلْفرْد أن يُميِّـز الشَّـهادة الدَّاخليَّة لِلـرُّوح وهكذَا يَقُوم بَيْن تِلْك المُسْـنَدَات.

لَكِـن كتـب وارفيلـد مَـرَّةً أُخـرَى مُدافِعًـا عَمَّـا يُعَلِّمـه الكتَـاب اَلمُقـدَّس عـن نَفسِـه ضِـدَّ هـذَا اَلبدِيـل على وَجْـه اَلخُصـوص. إِنَّ المشْكلـة الرَّئيسـيَّة لِاقْتـراح بِريجـز وإِيفانـز وسـميث بخصـوص الوحْـي والْعصْمـة هِـي أنَّ «الكتَـاب اَلمُقـدَّس نَفسَـه يَقِـف ضِـدَّه»، كمَـا كتـب.[٢٩] إِنَّ «**كُلَّ** الْكِتَـابِ هُـوَ مُوحًـى بِـهِ مِـنَ اللهِ»، وبالتَّالـي لاَ يُمْكننَـا التَّمْييـز بَيْـن النُّصـوص اَلمُوحى بِهَـا وغيْر اَلمُوحى بِهَـا، أو بَيْن دَرَجـات ومسْـتويات مِـن الوحْـي. هـذَا هُو السَّـبب فِي وَصْـف الوحْي بِأَنَّـه **لَفظِـيٌّ وَمُطلَـقٌ.**

26 Llewelyn J. Evans, "Biblical Scholarship and Inspiration," in Smith, *Inspiration and Inerrancy*, 81.

27 Smith, "The Debate," in *Inspiration and Inerrancy*, 148.

28 Smith, "Response to the Charges," in *Inspiration and Inerrancy*, 225.

29 Benjamin Breckinridge Warfield, *Limited Inspiration* (Philadelphia: Presbyterian and Reformed, 1974), 54.

قانونيَّة الكتَاب اَلمُقدَّس

تَحْمِلُنَا كَلِمةُ «اَلمُطلَق» والتَّعْبيرُ الكتابيُّ «كُلُّ الْكِتَابِ» إِلى مَسْأَلةِ نِطَاق الكتَاب اَلمُقدَّس. كَيْف نُميِّز بَيْن مَا يَنْدَرِج تَحْت «كُلُّ الْكِتَابِ» ومَا لاَ يَنْدَرِج؟ فنحْن لَديْنَا الكتَاب اَلمُقدَّس بِأسْفاره السِّتَّة والسِّتِّين، مُجَمَّعَة ككتابٍ وَاحِدٍ، مَفهُومًا أَنَّه بِالْكلِّيَّة وَكذَا فِي أجْزائه أَنَّه كَلمَة اَللَّه المكْتوبة مِن أَجلِنا. لِماذَا هَذِه الأسْفار السِّتَّة والسِّتُّون وليْس غَيرُها؟

لَقد رأيْنَا بِالْفِعْل أنَّ يَسُوع نَفسَه اِحتكَم بِانْتظامٍ إِلى العهْد اَلقدِيم وَأيَّد البنْية الثُّلاثيَّة المشْتركة لِلْكتَاب اَلمُقدَّس اَلعبْرِيِّ؛ النَّاموس والْأنْبياء والْكتب (لُوقَا ٢٤: ٤٤). لَقد أَدرَك أنَّ هَذِه هِي «كُتُبُ الأَنْبِيَاءِ» (مَتَّى ٢٦: ٥٦؛ يُوحنَّا ٦: ٤٥)، الَّذين تكلَّموا بِهَذه الكلمات مِن خِلاَل عمل الرُّوح اَلقُدس، مِثْل دَاوُد (مَرْقُس ١٢: ٣٦). قَاد هذَا يَسُوع إِلى التَّمْييز بِوضوحٍ بَيْن التَّعْليم الموْجود فِي هَذِه النُّصوص وَتعلِيم الَّذين جَاؤُوا لاَحقًا، وَخَاصَّةً المعلِّمين الدِّينيِّين والْخبراء فِي عَصرِه (مَتَّى ١٥: ٦). كمَا كَلَّف يَسُوع الرُّسل بِإرْساليَّة الإنْجيل فِي جميع أَنحَاء العالم حَتَّى نِهاية الزَّمَان (إِنْجيل مَتَّى ٢٨: ١٩-٢٠)، ووعدَهم بِالرُّوح اَلقُدس نَفسه، اَلذِي لَم يُذكِّرْهم فقط بِكلِّ مَا عَلَّمهم إِيَّاه، بل أعْطاهم الكلمات لِيقولوهَا عِنْدمَا دُعُوا إِلى الشَّهادة لَه (مَتَّى ١٠: ١٩؛ يُوحنَّا ١٤: ٢٦).

اِتَّبع الرُّسل مِثَال يَسُوع، واحْتكموا إِلى العهْد اَلقدِيم على أَنَّه كلمات الرُّوح اَلقُدس فِي تعاليمهم وكتابتهم (أَفَسُس ٦: ١٦؛ العبْرانيِّين ٣: ٧؛ ١٠: ١٥؛ بُطرُس الثَّانية ١: ٢١). ومع ذَلِك فَهمُوا أيْضًا أَنَّهُم، كَشهُود يَسُوع المفوَّضين، كَانُوا يتكلَّمون كأناسٍ تعلَّموا مِن

الـرُّوح نَفسـه (كُورنثوس اَلأُولى ٢: ١٣؛ كُورنثوس الثَّانية ٤: ١٣). وحَفِظَ اَلمسِيح القائـم مِـن المـوْتِ وَعـدَه وَسكَبَ رُوحَـه على الكنيسـة. اِسـتمَرَّ هـذَا الـرُّوح فِي نَشـاطِه فِي الكنيسـة؛ مُتيحًـا لَنَا سَـمَاع اَلكلِمة الرَّسـوليَّة وتلقِّيهَـا بِاعْتبارهَـا كَلمَـة اَللَّـه (تسـالونيكي اَلأُولى ٢: ١٣؛ بُطـرُس الثَّانيـة ٣: ١٦). وكانـتْ النَّتيجة هِي كَنِيسَـة مَبنِيَّة «عَلَى أَسَـاسِ الرُّسُـلِ وَالأَنْبِيَـاءِ، وَيَسُـوعُ الْمَسِـيحُ نَفْسُـهُ حَجَـرُ الزَّاوِيَةِ» (أَفَسُـس ٢: ٢٠). فِـي ضَـوْء هـذَا، شَـدَّد بُولُـس على سُـلْطته الرَّسـوليَّة كُلَّمَـا كتـب إِلـى الكنائـس وَأَشـار إِلـى عَادَتِه فِي كِتابـة اَلتحِيَّة الأخيـرة بِيَده كدليل على أنَّ الرِّسـالة كَانَـت بِالْفِعْـل مِنْـه (غَلاطِيَّة ٦: ١١؛ تسـالونيكي الثَّانية ٣: ١٧)؛ مِـن الواضـح أَنَّـه كَانَـت هُنَاك رَسـائِل مُتداولة تَدَّعِـي زُورًا أَنَّهَا مِنْـه (تسـالونيكي الثَّانيـة ٢: ٢). كمَـا تَوقَّـع الرَّسـول مِـن أيِّ شَـخْصٍ يَدَّعِـي أَنَّـه «نَبِيًّـا أَوْ رُوحِيًّـا» أن يَعتَـرِف بِـأنَّ الأشْـياء اَلتِي كان بُولُـس يَكتُبهـا لَهُـم كَانَـت «وَصَايَـا الـرَّبِّ» (كُورنثـوس اَلأُولى ١٤: ٣٧).

لَقـد وُلِـدَت الكنيسـة البَاكِـرة بِـ «الوعْـي القانونـيِّ» اَلـذِي عَكَـس مَوقِـف رَبِّهَـا وَرُسـلِه. إِذ تَعرَّفَـت مُنْـذ البدايـة على مَجمُوعـة مِـن الكتابـات النَّبويَّـة اَلتِـي تَختَلِف عن كُلِّ الكتابات اَلأُخـرى، وَالتِي تَحمِل سُـلْطان اَللَّـه وتعْمـل كاخْتبـارٍ وَقاعِدةٍ لِجميـع التَّعاليم والْممارسـات النَابِعَـة مِـن الإيمَـان.[٣٠] صـاغ هذَا بروتـون نوكـس Broughton Knox هَكذَا:

> عِنْدمَـا اِهتـدَى اليهـود لِلْإيمـان، فِـي بِدايـة عَصْـر الإنْجيـل، وَاضعِيـن إِيمانهـم بِيسـوع كمسـيحهم، لَـم يتخلَّـوْا عـن

٣٠ تحمـل كلمـة «قانـون canon» كلا المعنيَيـن: قضيـب قيـاس يتـمُّ مـن خلالـه اختبار أشـياء أخرى، وقائمـة معـترف بهـا مـن الكتابـات التي تشكِّل هـذا المقيـاس أو القاعدة.

عَهدهِـم اَلقدِيـم، ولـم يُغيِّـروا آراءَهـم بِشـأْنه، إِلاَّ أَنَّهُم رأَوْا يَسُـوع اَلمسِـيح على أَنَّـه مُتمِّـم لَـه. وبالْمِثْـل، عِنْدمَـا اِهتـدَى الوثنيُّـون لِلْإِيمـان، فإِنَّهـم اِهْتدَوْا إِلى كَنِيسَـةٍ حَيْث كان العهْد اَلقدِيـم يُقـدَّر بِالْفِعْـل بِاعْتبـاره وِعَـاء وَحْي اَللَّـه (رُومية ٣: ٢). وبالتَّالـي «لَـم يَكُـن مَطلُوبًـا مِـن الكنيسـة المسـيحيَّة أن تُشكِّل لِنفْسِـهَا مَفهُومًـا عـن القانونيَّـة». [...] بـل كان لَديْهَـا لائِحـة قانونيَّـة لِلْأَسْـفار مِـن البدايـة.[٣١]

أحـد المعانـي الضِّمْنيَّـة لِهَـذا الأَمْـر هُـو أَنَّ ظُهُـور اللائحـة المسـيحيَّة القانونيَّـة لِلْكتَـاب اَلمُقـدَّس لَيْـس فِـي المقَـام الأَوَّل قرارًا لِلْمخْلوقـات البشـريَّة، أو حَتَّـى المخْلوقـات البشـريَّة المفْديَّـة أو حَقِيقَـة اِجْتماعهَـا كَكَنيسَـة. إِذ يُميِّـز اَللَّـه نَفسـه هَـذِه الكتابـات عـن الكتابات البشـريَّة اَلأُخرى. فالْكلمات اَلتِي أَعْطاهَا اَلآب لِلابْن يَحرُسـها ويوجِّههَـا الـرُّوح، اَلـذِي يَأْتِي بِكلِّ الأَشْـياء إِلى الهـدف المقْصود مِنهَا. لَقـد أَدرَك اللاهوتيُّـون عَبْـر اَلقُـرون أَنَّ «كَينُونـة الكتَـاب تَكمُـن فِـي إِشـارَته إِلـى عمـل اَللَّه»، وَهـذَا يَمتَدُّ إِلى نَشـاطِه فَرْز هَـذِه النُّصوص والْحفـاظ عليْهَـا كَأَداة لِإِعْلانـه عـن ذَاتِـه وكوسـيلة لِإِطْعَـام وَتوجِيـه شَـعبِه.[٣٢] إِنَّ اَللَّـه يُصَاحِـب كَلِمتَـه، لَيْس فقط فِي اللَّحْظـة اَلتِي قِيلتْ

31 D. Broughton Knox, "The Canon and Biblical Theology," in *D. Broughton Knox Selected Works*, vol. 1, *The Doctrine of God*, ed. Tony Payne (Kingsford, NSW: Matthias Media, 2000), 320.

إنَّ تعـبير «وعـاء وحـي الله» والمرجـع المرتبـط به مأخوذ من نسـخة مخطوطة سـابقة لمقـال نوكس. تمَّ اقتبـاس نوكس في:

Benjamin Breckinridge Warfield, "The Formation of the Canon of the New Testament," in *Inspiration and Authority*, 411.

32 John Webster, "The Dogmatic Location of the Canon," in *Word and Church: Essays in Church Dogmatics* (Edinburgh: T&T Clark, 2001), 28.

أو كُتِبَت فِيهَا، وَلكِن بيْنمَا تُقرَأ وَتُعرَف على حقيقتهَا، وَبَينمَا يَتِمُّ تَداوُل نُصوصِهَا ثُمَّ جمْعهَا فِي الوقْتِ اَلمُعيَّن إذ يَتِمُّ إعدَاد قوائمهَا المعْتمدة. إِنَّ القانونيَّة هِي حَقِيقَة لاَهوتيَّة قَبْل أن تَكُون تاريخيَّة.[٣٣]

كَانَت عَمَليَّة اِسْتيعاب القانونيَّة غَيْر مُرَتَّبَة مِن النَّاحية التَّاريخيَّة. تَأَمَّل فقط أَسفَار العهْد اَلجدِيد: لَم تَكُن هُنَاك قَائِمة تَبدُو ضَرورِيَّة فِي السَّنوات اَلأُولى لِلإرْساليَّة المسيحيَّة. يُعلِّق نُوكس مَرَّةً أُخرَى قائلاً:

> إِنَّ عمل الرُّوح اَلقُدس وَتكلِيف اَلمسِيح لِرُسُله هُمَا العاملان اللَّذَان يُوفِّرَان إِمْكانيَّة وُجُود كِتَاب العهْد اَلجدِيد. إِنَّ الكتَاب اَلمُقدَّس اَلمُوحى بِه مِن الرُّوح اَلقُدس هُو ذُو سُلْطانٍ مِن لَحظَة كِتابَته. ويعْتَرف بِه بِاعْتباره ذَا سُلْطانٍ عِنْدمَا يُعرَف أَنَّه يَحمِل سُلْطانًا رَسولِيًّا. كان المتلقُّون الأوائل لِهَذه الكتابات على عِلْمٍ بِهَذا مُنْذ البداية. وَستعلَم الكنائس المسيحيَّة اَلأُخرى بِوجود هَذِه اَلكُتب المقدَّسة وبسلْطانهَا بِمرور الوقْتِ. وَبهَذِه الطَّريقة ستنْمو اللائحة القانونيَّة لَدى كُلِّ كَنِيسَة مِن حَيْث الحجْم وَلكِن لَيْس مِن حَيْث السُّلْطة.[٣٤]

يَبدُو، مِن اَلأدِلَّة الموْجودة فِي العهْد اَلجدِيد نَفسه، أنَّ هَذِه العمليَّة كَانَت جَارِية بِشَكلٍ جَيِّدٍ خِلاَل حَيَاة الرُّسل (كُولوسِّي ٤: ١٦؛

33 Kevin J. Vanhoozer, *The Drama of Doctrine: A Canonical-Linguistic Approach to Christian Theology* (Louisville: Westminster John Knox, 2005), 146. Floyd V. Filson, *Which Books Belong in the Bible? A Study of the Canon* (Philadelphia: Westminster Press, 1957), 42.

34 Knox, "Canon and Biblical Theology," 328.

بُطرُس الثَّانية ٣: ١٦). وكانتْ مُصادقتهم عليْهَا بِالطَّبْع أمْرًا بَالِغ الأهمِّيَّة مِن أَجْل قَبُول كُلِّ جُزْءٍ مِن المكْتوب.[٣٥] مِن اَلممْكِن أن تَكُون الأناجيل الأرْبعة القانونيَّة، اَلتِي اِنْتشَرتْ أَوَّل الأمْر بِشَكلٍ فَردِيٍّ، قد تَمَّت قِراءتهَا كمجْموعة وَاحِدة بِحلول نِهاية القرْن الأوَّل. إنَّ اِقتِباس أَجزَاءٍ مِن العهْد اَلجدِيد كنصٍّ مُقدَّس مِن قِبَل كَاتِب اَلعِظة المعْروفة بِرسالة كليمنضس Clement الثَّانية (٩٥ م) وإغناطيوس الأنْطاكيِّ Ignatius of Antioch (تُوفِّي ١٠٨) يُشير أيْضًا إلى الاعْتراف المتزايد بِهَذه النُّصوصِ فِي نَفْس الفتْرة المبكِّرة.[٣٦] تُشير اللائحة المورَاتوريَّة The Muratorian Fragment إلى أنَّ قَوائِم أَسفَار العهْد اَلجدِيد القانونيَّة كَانَت تُعَدُّ فِي مُنتَصَف القرْن الثَّاني، رُبَّمَا فِي أَعقَاب سِلْسلة مِن الكتابات الزَّائفة وَنَشاط الهراطقة مِثْل مرْقيون السَّينوبي Marcion of Sinope (اَلذِي أَزَال أَجزَاءً مِن الكتَاب اَلمُقدَّس لَم تُعْجِبه). لِذَلك عِنْدمَا قام أثناسيوس Athanasius بِتضْمِين قَائِمة فِي رِسالَته الخاصَّة بِعيد الفصْح عام ٣٦٧، لَم يَعتَقِد أَنَّه كان يَقتَرِح أيَّ شَيْءٍ جديدٍ فِي الأسْفار الموْجودة فِي القائمة، وَلَكنَّه كان يُقِرُّ فقط مَا كان عليْه اَلحال مُنْذ فَترَة طَوِيلَة.

تَجدَّدَت المناقشات مَرَّة أُخرَى فِي وَقْت الإصْلاح. فقد كان اِحتِكام كَنِيسَة رُومَا الكاثوليكيَّة إلى الأبوكريفَا لِدَعم عَقِيدَة

٣٥ لم تكن الصفة الرسوليَّة تعني بالضرورة التأليف المباشر من قِبَل الرسل لكلِّ كتابة، ولكنَّها دلَّت على ارتباطٍ وثيقٍ بالرُسُل بطريقةٍ تُظهر تأييدهم. تحدَّث وارفيلد عن الأسفار الجديدة «الممنوحة للكنيسة تحت ختم السلطة الرسوليَّة [...] لقد تلقَّوا سفرًا جديدًا تلو الآخر من داخل الدائرة الرسوليَّة، بوصفها ‹أسفارًا مقدَّسة› إلى جانب الأسفار القديمة».
Warfield, "Formation of the Canon," 412–13.

36 2 Clement 2:4; Ignatius, *To the Smyrnean Church*.7

اَلمَطهَـر مُزْعِجًـا لِلْمُصْلحيـن على وَجْـه اَلخُصـوص. بِالْإضافـة إِلـى ذَلِـك، كان التَّرْكيـز اَلجدِيـد على الـخلاَص فِـي اَلمسِيح ذَا تَأْثِيـرٍ على لُوثَـر مِمَّـا دَفعَـه إِلـى طَرْح أَسـئِلة عـن مَكانَـة بَعْـض اَلكُتـب المقْبولة عُمومًـا على أَنَّهَـا قانونيَّـة. وَلعَـلَّ أَكثَـر مَـا يَشـتَهِر عَنْـه بِهَـذا الصَّـدد هُـو وَصفُـه لِرسـالة يَعقُـوب بِأَنَّهَـا «رِسـالة مِـن اَلقَـشِّ»، وَلكِـن كَانَـت لَديْـه أيْضًـا شُـكُوك بخصـوص العبْرانيِّيـن، وَيَهـوذَا، والرُّؤْيَـا، وِأسْـتِير فِـي العهْـد اَلقدِيـم.[٣٧] ومـع ذَلِـك، لَـم يَكُـن لُوثَـر قـادرًا على إِزالـة هَـذِه اَلكُتـب مِن اللاَئحـة القانونيَّة، ولـم يَكُن قادرًا على إِقنَـاع زُمَلائِه مِـن المُصْلحيـن بِآرائـه. عِنْدمَـا أَصـدَر اَلمَجمـع الكاثوليكيُّ فِـي ترِنت، فِـي عـام ١٥٤٦، قَائِمـة قانونيَّـة مُعتمـدَة تَتَضمَّـن الأبوكريفَـا -وأَعْلَـنَ أَنَّ كُلَّ مَـن لَـمْ يُوَافِـق عليْهَـا مَحـرُومٌ- بَـدأَت الكنائـس البروتسْـتانْتيَّة فِـي إِنتَـاج قوائمهَـا القانونيَّـة الخاصَّة بِهَا بِـدون الأبوكريفَـا، مِثْل تِلْك الموْجـودة فِـي إِقـرَار الإيمـان الهلفيتي الثَّانـي (١٥٦٢) وَبنُـود العقيدة التِّسْـعة والثَّلاثيـن (١٥٧١).[٣٨]

ومـع ذَلِـك، مِـن اَلمهِـمِّ أن نَتَذكَّـر أنَّ هَـذِه العمليَّـة الفوْضويَّـة بِرمَّتِهَـا قـد حَدثَـت فِي سِـيَاقٍ مُعيَّـنٍ. تَضمَّن هذَا السِّـيَاق إِصـرَار اَللَّه على التَّعْريـف بِنفْسـه، وانْخراطـه فِي عَامِليَّة بَشَـريَّة حَقيقِيَّـة مفَادهَا نُطْـق وكتابـة كَلمَتِـه، وَكـذَا مَوهِبـة الـرُّوح اَلقُـدس والرُّسـل مِـن قِبَـل اَلمسِيح القائـم إِلى الكنيسـة، ومصاحبة الرُّوح لِكلمَته فِـي كُلِّ مَرْحَلة

٣٧ ميَّز لوثـر بين مـا أسـماه «الأسـفار الرئيسـيَّة الحقيقيَّـة والمؤكَّـدة للعهـد الجديـد» وغيرهـا مـن الكتـب التي «منـذ العصـور القديمـة كانـت لها سـمعة مختلفة». وقد وضـع هذه الأسـفار الأربعة في صفحـات غير مرقَّمـة كملحـق في نهايـة العهـد الجديـد.

Martin Luther, *Preface to the Epistle to the Hebrews (1522)*, in *Luther's Works*, 35:394.

٣٨ غالبًـا مـا ذُكـرت الأبوكريفـا مقرونـةً بتحذيـر، مثـل ذلـك الـذي وردَ في البنـود التسـعة والـثلاثين: «الكتـب الأخـرى (كمـا قـال جيروم) التي تقرأهـا الكنيسـة كـعبرة للحيـاة وتعليـم الأخلاق؛ لكنَّهـا مع ذلـك لا تطبِّقهـا في سـياق تأسـيس أيِّ عقيـدة» (المـادَّة ٦).

مِـن مراحلهَـا مُنْـذ النُّطْـق اَلْأَوَّلـيِّ بِهَا وَحتَّـى إِلى اِسْـتقْبالهَا. لَـم يَتْرُك اَللَّـه الكلمـات البشـريَّة اَلتِـي اِسْـتخْدمهَا لِيعـرِّف عن نَفسِـه هَكـذَا فِي العالـم لِتلقَـى مَصيرَهـا بِنفْسِـهَا. بـل إِنَّ رُوحَـه يَضمَـن أَنَّهَا لَـن تَرجِع إِلَيـه «فَارِغَـةً» وَلكِـن «تَعْمَـلُ مَا سُـرِرْتُ بِـهِ وَتَنْجَحُ فِـي مَا أَرْسَـلْتُهَا لَهُ» (إشـعياء ٥٥: ١١). لِهَـذا السَّـبب يَجِـب أن نَسـتنْتِج أنَّ «القانونيَّـة هِـي مَسْـأَلة تَتَعلَّـق بِالنِّعْمة».[٣٩]

هـذَا إِلـى جَانِـب هَـذِه الحقيقـة الرَّائعـة اَلتِـي قالهَـا يَسُـوع لِتلاميـذه إِنَّ خِرافـه تَسـمَع صَـوْت راعيهَـا، فَهُـو «يَذْهَـبُ أَمَامَهَـا، وَالْخِـرَافُ تَتْبَعُـهُ، لأَنَّهَـا تَعْـرِفُ صَوْتَـهُ» (يُوحنَّـا ١٠: ٢-٤). وبعيـدًا عـن كُلِّ اَلحُجـج التَّاريخيَّـة والتَّأْكيـدات أو اَلأدِلَّـة اَلتِـي اُقْترِحَـتْ مِـن وَقْتٍ لِآخـر، فَـإِنَّ المسـيحيِّين، كمَـا قـال كالفـن، يَثِقُـون بالكتَـاب اَلمُقـدَّس اَلـذِي أُعْطِـي لَهُـم لِأَنَّ «اَللَّـه شـخْصيًّا يَتَكلَّـم فِيـه». لَقـد أصـرَّ على أَنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس «يَشـهَدُ لِنفْسـه بالْموثوقيَّـة» وأَنَّ «اَليقِيـن اَلذِي يَسـتحِقُّه مِنَّـا يَتَحقَّـق بِشـهادة الـرُّوح».[٤٠] ومـع ذَلِـك، كمَـا يَقُـول أحد المؤلِّفيـن المعاصريـن، فَـإِنَّ «قَبُول الكتَاب اَلمُقـدَّس مِن خِلاَل الرُّوح هُـو نَتِيجَـة لِلسُّـلْطان اَلذِي يمْلكـه الكتَاب اَلمُقـدَّس بِالْفِعْـل فِي ذَاتِه

39 Webster, "Dogmatic Location of the Canon," 42.

40 John Calvin, *Institutes of the Christian Religion*, ed. John T. McNeill, trans. Ford Lewis Battles (Philadelphia: Westminster, 1960), 1.7.4–5.
تـوريتِن، الـذي خـدم في جنيـف بعد قرنٍ مـن الزمان بعد كالفـن، اقترح «علامات» خارجيَّـة وداخليَّة، والتي على حـدٍّ تعبيره «تقـدِّم دليلاً لا يقبل الشـكَّ على الطابع الإلهيِّ»: تشـمل العلامات الخارجيَّة: القِـدَم، والحفـظ، وصراحـة الكتَّـاب وإخلاصهـم، وشـهادة الشـهداء؛ بينمـا تتضمَّـن العلامـات الداخليَّة: الأسرار السـامية (الثالـوث، التجسُّـد، الكفَّـارة، القيامـة)، وعظمـة الأسـلوب الإلهيِّ (البسـاطة مـع ثقـل التعـبير)، تَوافُـق العقيـدة وتناغمهـا، الاتِّجـاه إلى مجـد الله وخلاصنـا، الفعاليَّـة (يـخترق الـروح وينـتصر على الشـيطان).
Turretin, *Institutes*, 1:63–64 (2.4.6, 8–9).
كان إقرار إيمان وستمنستر قد أنتج قائمة مماثلة من الأدلَّة قبل ذلك بوقت قليل.

وَمِـن ذاته».[٤١]

لَقـد أعْطانَـا اَللَّـه الأسْـفار السِّـتَّة والسِّـتِّين اَلتِـي تُـشكِّل القائمـة القانونيَّـة لِلْمسـيحيَّة. وَهـذَا لاَ يَعنِـي أَنَّـه لَـم يَتِـمَّ اِتِّخـاذ قـرارَات بَشَـريَّة أو أَنَّهَـا كَانَـت عَمَليَّة بَسِـيطَة ومباشـرة. فلاَ يَزَال الـخلاَف قائمًا بَيْـن الكاثوليـك والْبروتسـتانت، لَيْـس بِشَـأن الأسْـفار السِّـتَّة والسِّـتِّين بـل بِشَـأن عدد قليل مِن الأسْـفار اَلأُخـرى اَلتِي أَضَافهَـا أحد المجامع الكاثوليكيَّـة وَالتِـي يَصعُـب إِيجَـاد أيِّ صِلة لَهَا بِالْإِرْسـاليَّة الرَّسـوليَّة.[٤٢] ومـع ذَلِـك، فَـإِنَّ النُّقْطـة الحاسـمة هِـي أنَّ «مَـا حَكمَـت بِـه الكنيسـة يُمثِّـل اِعْترافًـا مِنهَـا بِمَـا يَسـبِق الكنيسـة وَيفـرِض نَفسَـه عليْهَـا».[٤٣] إذ تَعتَـرِف الكنيسـة بِالْقانونيَّـة؛ لَكِنَّهَـا لاَ تَخلُقهـا. إِنَّ مُصَادقَـة يَسُـوع علـى أَسـفَار العهْـد اَلقدِيـم وتكْليفـه بِالْإِنْجيـل، بِالْإضافة إِلـى تَمكِين مَوهِبـة الـرُّوح اَلقُـدس وَخِدمَـة الرُّسـل النَّبويَّـة لِلْكنيسـة، هِـي اَلتِـي يَجِـب أن تَرسُـو فِـي مَركَـز أيِّ اِعتِبـارٍ لِلْقانونيَّـة.

حِفْظ الكتَاب اَلمُقدَّس

ومـع ذَلِـك، قَبْـل أن نَنتَقِـل إِلـى التَّفْكيـر فِـي طَبِيعَـة الكتَـاب

41 Henk van den Belt, *The Authority of Scripture in Reformed Theology: Truth and Trust* (Leiden: Brill, 2008), 323.

٤٢ لـم يتـمَّ العثـور على هـذه الأسـفار في المخطوطـات العبريَّـة للعهـد القديـم، ولكنَّهـا موجـودة فقـط في الترجمـة السـبعينيَّة، وهـي الترجمة اليونانيَّـة التي يرجع تاريخها إلى القرن الثـاني قبل الميلاد. يصـف البروتسـتانت هـذه الكتـب مجتمعـة باسـم «الأبوكريفـا». وهـي تعـتبر خارجـة عـن اللائحـة القانونيَّـة وبالتـالي لا يتـمُّ اسـتخدامها «لتأسـيس أيِّ عقيـدة»، لكنَّهـا مـع ذلـك مفيدة «كـعبرة للحياة وتعليـم الأخلاق» (البنـد ٦ مـن بنـود العقيـدة التسـعة والـثلاثين). في عـام ١٥٦٣ أدرج مجلـس ترنت هـذه الأسـفار في قانـون كنيسـة رومـا الكاثوليكيَّة.

43 Webster, "Dogmatic Location of the Canon," 38–39.

اَلمُقدَّس اَلمُعطى لَنَا، أيجدر بِنَا أن نَتَقدَّم أَكثَر قليلاً؟ فَفِي نِهاية المطَاف، نَحْن لَيْس لَديْنَا خطٌّ يد مُوسَى وداود وإشعياء أو يُوحنَّا وبطْرس وبولس؛ لَكِن بدلاً مِن ذَلِك، لَديْنَا نُسَخ مِن نُسَخٍ على مدى قُرُونٍ، أوَّلاً بِالْيد، ثُمَّ بِالطَّابعات، والْآن رقميًّا. هل أَصبَح مِن المُسْتحيل اَلوُصول إلى نصِّ الكتَاب اَلمُقدَّس اَلأَصْلِيِّ اَلمُوحى بِه؟ ووفْقًا لِأيِّ مِعيَار سنخْتَبر التَّرْجمات المخْتلفة المتاحة اليوْم؟ قد تَبدُو هَذِه الأسْئلة وَكَأَنَّهَا أَسئِلة حَدِيثَة، وَلَكنَّهَا قد عُولجتْ عِدَّة مَرَّات على مرِّ اَلقُرون. فقد اِعترَف أُوغسطينوس بِإمْكانيَّة وُجُود «نصٍّ غَيْر صحيح» فِي رِسالةٍ مِنْه إلى جِيروم. وأنْتج إيرازموس Erasmus طَبعَة نَقدِيَّة لِلْعهْد اَلجدِيد بِاسْتخْدام المخْطوطات المتاحة لَه وإجْرَاء بَعْض التَّصْحيحات اَلمهِمَّة جِدًّا لِترْجَمة الفولجاتَا نَتِيجَةً لِذَلك. كمَا كَرَّس جُون أُوِن John Owen جُهْدًا كبيرًا لِمعالجة السُّؤَال فِي رِسالتيْنِ نُشِرتَا معًا فِي عام ١٦٨٩. أَمَّا فِي القرْن التَّاسع عشر، فقد سُخِر مِن بِنْيامين وارفيلد لِإِصْراره على أنَّ الوحْي والْمصْداقيَّة المعْصومة مُرْتبطان بِالنَّصِّ اَلأَصْلِيِّ، إذ سَخَر النُّقَّاد مِن اِحْتكامه لِلنَّصِّ المثاليِّ اَلذِي «لَم يره أيُّ إنسَانٍ على الإطْلاق». وَهُو تَناول السُّؤَال مُبَاشرَةً فِي إجابة تَمَّت صِياغتهَا بِعناية.[٤٤]

اِلتقَطَ ردٌّ وارفيلد عَناصِر مِن اَلحُجج السَّابقة مِن أَشخَاص مِثْل

44 Augustine, "Epistle 82" (AD 405); Desiderius Erasmus, *Novum instrumentum omne* (Basel: Froben, 1516); John Owen, *Of the Divine Original, Authority, Self-Evidencing Light and Power of the Scriptures* (Oxford: Robinson, 1689); Owen, *Of the Integrity and Purity of the Hebrew and Greek Text of the Scripture* (Oxford: Robinson, 1689); Benjamin B. Warfield, "The Inerrancy of the Original Autographs," *The Independent*, March 23, 1893, 382–83.

تُوريتِـن وَأُوِن. لَقـد مَيَّـز تمْييـزًا حاسـمًا بَيْـن «المخْطوطـة الأصْليَّـة» (علـى سـبيل المثـال، المخْطوطـة اَلتِـي تَحتَـوِي علـى خـطٍّ بُولُـس اَلْخـاصِّ) و«اَلنَّـصِّ اَلأصْلِـيِّ». فنحْـن لَيْـس لَديْنَـا اَلأُولـى (على سـبيل المثـال، لَيْـس لَديْنَـا مَخطُوطـة بُولُـس المكْتوبـة بِخـطِّ اَليَـد)، وَلكِـن يُمْكننَـا أن نَكُـون على ثِقةٍ مِن أنَّ لَديْنَا الثَّانـي (كلمات بُولُس).[٤٥] اِعتقَد وارفيلـد أنَّ الدِّراسـة التَّفْصيليَّـة لِعَـددٍ لاَ يُحصَـى مِـن المخْطوطـات والْقصاصـات -أيْ تَحدِيـد علاقتهَـا بِبعْضِهَا البعْـض، وَتحدِيد النِّقَاط اَلتِـي يَبـدُو أنَّ أَخطَـاء النَّسْـخ أو الطِّباعـة قـد دَخلَـت فِـي سِلْسـلة الانْتقـال النَّصِّـيِّ، والسَّـعْي لِشَـرح كَيفِيَّـة حُـدُوث ذَلِـك- قـد أعْطانَـا دَرجَـة عَالِيـة مِـن اَلثقَـة بـأنَّ اَلنَّـصَّ اَلـذِي لَديْنَـا هُـو بِالْفِعْـل اَلنَّـصُّ اَلأصْلِيُّ.

مِـن اَلمهِـمِّ أن يَكُـون لَديْنَـا مِنْظارٌ مُناسِـبٌ هُنَا. فَعلَـى الرَّغْم مِن الادِّعـاءات الغريبـة اَلتِـي تُشـير إِلـى عَكْس ذَلِـك، عِنْدمَا تُؤخَـذ عَلاقَة الاحْتمـالات النَّصِّيَّـة بِبعْضِهَـا البعْض فِـي الاعْتبار، يكُـون الرَّقْم غَيْر مُعْضِـل، والْجـزْء الأكْبـر مِنْـه سـطْحيًّا (اِخْتلافـات إِمْلائيَّـة، كَلمَـة أو حَـرْف مَفقُـود، تَكْـرار كَلمَـة مِـن السَّـطْر أَعلاَه، ومَـا إِلـى ذَلِـك).[٤٦] ومع ذَلِـك، هُنَـاك عـدد قليـل مِـن الاحْتمـالات النَّصِّيَّـة الأكْثـر جَوهرِيَّـة.

---

٤٥ أُقْتُرِحَـت تفـسيرات مختلفـة لسـبب عـدم إبقـاء الله في صلاحـه وسـيادته على «المخطوطـة الأصليَّـة» على مرِّ القـرون. الجـواب البسـيط هـو أنَّنـا لا نعـرف. لا يقـول العهـد الجديـد شـيئًا عـن النُّسَـخ الأصليَّـة المفقـودة للعهـد القديـم. ومـع ذلـك، ربَّمـا ينبغي أن ننظـر إلى هـذا على أنَّه لطفٌ مـن الله في إبعادنـا عـن تجربـة عبادة الأوثـان، إذ تصبح عطيَّة الله نفسـها موضوعًا للعبـادة. في ملوك الثـاني ١٨، هـذا بالضبـط مـا حـدث مـع الحيَّـة النحاسـيَّة التي بناها موسى بأمـرٍ من الله (سـفر العدد ٢١)، ومُـدِح حزقيَّـا حين دمَّرهـا.

٤٦ ينمـو عـدد الاحتمـالات النصِّيَّـة هندسـيًّا وليـس خطِّيًّـا. وهـذا يـعني أنَّ احتمـالاً نصِّيًّـا يقـع في مخطوطـة واحـدة قـد يتكـرَّر في مخطوطـات أخـرى منسـوخة مـن تلـك النسـخة. يقـارن علـم النقد النـصيّ بين المخطوطـات ويرسـم العلاقـة بينهـا حتَّى لا نُضلَّل بعدد المـرَّات التي يظهر فيها احتمال نصيٌّ مـعيَّن أو بمجمـوع متضخِّـم مـن الاحتمـالات النصِّيَّـة.

وَهـذِه لاَ يَنبَغِـي صَـرْف النَّظـر عَنهَا بِاسْـتخْفاف، بل يَجِـب أن تَتَطلَّب دِراسـةً وشـرْحًا دقيقَيْـنِ. وعنْـد القيَـام بِذَلـك، نَحْتـاج إِلـى أن نضـع فِـي اِعْتبارنَـا أَنَّـه لَيسَـت كُلُّ الاحْتمـالات النَّصِّيَّـة جَدِيـرَة بِالاهْتمـام بِـشَكلٍ مُتَسـاوٍ (فَحَقيقَـة وُجُـود الاحْتمـال لاَ تَعنِـي تِلْقائيًّـا أَنَّـه بديـلٌ جـادٌّ)، والْمقارنـة الدَّقيقة لِلْمخْطوطـات والْقصاصات عَادَةً مَـا تُمَكِّننَا مِـن تَحدِيـد أيٍّ مِنهَـا يُرجَّـح أن يكُـون أَصلِيًّـا أَكثَـر مِـن غَيـرِه. كمَا قال كسـتنبرغر Köstenberger وَكروغـر Kruger، حَتَّـى «هَـذِه الاحْتمالات النَّصِّيَّـة اَلقليلـة ‹الهامَّـة› لاَ تُؤثِّـر جَوهَريًّـا على سَلامَة العهْـد اَلجدِيد لِأَنَّـه، بِبسـاطة، يُمْكننَا عَـادَةً اِكْتشـافهَا عِنْد حُدوثِهَـا».[٤٧] لَفَت وارفيلد الانْتبـاه إِلـى «نُسـخَة الكتَـاب اَلمُقـدَّس المعيبـة» لِعَـام ١٦٣١، إذ طُبِعَـت اَلوصِيَّـة السَّـابعة بِالْخَطـأ مـن دون النَّفْـي: «اِزْنِ». فَعلَـى الرَّغْـم مِـن خطـأ الطِّباعـة، لَـم يَكُـن هُنَـاك أيُّ شـكٍّ فِـي مَاهِيَّـة الصِّياغـة الحقيقيَّـة.[٤٨] فَفِـي النِّهايـة، حَتَّـى أُولئـك الَّذيـن يلْجـؤُون إِلـى الاحْتمـالات النَّصِّيَّـة لِلتَّشْـكيك فِـي اَلنَّـصِّ يَجِـب أن يعْترفـوا بِأَنَّ «المعْتقـدات المسـيحيَّة الأساسـيَّة لاَ تَتَأَثَّـر بِالاحْتمـالات النَّصِّيَّـة فِي تُـرَاث المخْطوطـات لِلْعهْـد اَلجدِيـد».[٤٩]

فِـي هـذَا الصَّـدد، لاَ تَختَلِـف حالتُنَـا كثيـرًا عـن تِلْـك اَلتِـي كَانَـت فِـي زمـن الكتَـاب اَلمُقـدَّس، لِأَنَّـه حَتَّـى فِـي زمن يَسُـوع وَلعِـدَّة قُرُون

47 Andreas J. Kostenberger and Michael J. Kruger, *The Heresy of Orthodoxy: How Contemporary Culture's Fascination with Diversity Has Reshaped Our Understanding of Early Christianity* (Wheaton, IL: Crossway, 2010), 218.

48 Warfield, "Inerrancy of the Original Autographs," 382–83, reprinted in *Selected Shorter Writings of B. B. Warfield*, ed. John E. Meeter, 2 vols. (Nutley, NJ: Presbyterian and Reformed, 1973), 2:585.

49 Bart D. Ehrman, *Misquoting Jesus* (San Francisco: HarperSanFrancisco, 2006), 252–53 (appendix to paperback edition).

سَابِقة، كان أيُّ اِحتِكامٍ لِلْعهْد اَلقدِيم هُو بِالضَّرورة اِحتِكام إِلى اَلنَّصِّ كمَا هُو مَحفُوظ فِي نُسخَةٍ مَا. فِي بِداية كُلِّ فَترَةِ حُكْمٍ جَدِيدَةٍ فِي إِسْرائيل، كان على اَلمَلِك أن يَصنَع نُسخَةً مِن الشَّريعة، وَكَان عليْه أن يقْرأَهَا بِانْتظامٍ، ويحْفظهَا، ولاَ يحيد عَنهَا (التَّثْنية ١٧: ١٨-٢٠). كان مِن اَلمُقرَّر أن تَكُون نُسخَة مَصنُوعة بِعناية («مُعتمدَة مِن قِبَل الكهَنة اللاَوِيِّين»)، لَكِنَّهَا لاَ تَزَال نُسخَة. لَم تَكُن بِخطِّ يد مُوسَى أو اَلرَّبِّ، ولم يَكتُبها اَلمَلِك نَفسه. ومع ذَلِك فقد حَملَت السُّلْطان نَفسَه. بِحلول وَقْت العهْد اَلجدِيد، لَم يَكُن لَدى يَسُوع ولاَ الرُّسل المخْطوطة الأَصْليَّة لِأيٍّ مِن أَسفَار العهْد اَلقدِيم. ومع ذَلِك، فقد اِحْتكموا بِثقةٍ إِلى النُّسَخِ الموْجودة على أَنَّهَا كَلمَة اَللَّه الموْثوقة. عِنْدمَا قرأ يَسُوع مِن لَفائِف اَلنبِيِّ إِشعياء فِي مَجمَع النَّاصرة، كان بِلاَ شكٍّ يَقرَأ مِن نُسخَةٍ لاَ مِن المخْطوطة الأَصْليَّة. ومع ذَلِك اِسْتطَاع أن يَقُول: «إِنَّهُ الْيَوْمَ قَدْ تَمَّ هذَا الْمَكْتُوبُ فِي مَسَامِعِكُمْ» (لُوقَا ٤: ٢١). مَا يَهُمُّ «هُو الصِّياغة اللَّفْظيَّة، وليْس النُّسْخة الأَصْليَّة المادِّيَّة».[٥٠]

يَجِب أن يُنظَر إِلى حِفْظ الكتَاب اَلمُقدَّس على أَنَّه مِثَالٌ آخر على إِحسَان اَللَّه فِي تواصله مع مخْلوقاته البشريَّة. فَهُو لَيْس إِنْجازًا بشريًّا وَلَكنَّه مِن فِعْل نِعْمَة اَللَّه. تَكلَّم إِقرَار وِستمنستر عن «رِعاية اَللَّه وعنايته الاستثْنَائيَّتيْنِ» فِي مَا يَتَعلَّق بِكلمَته المكْتوبة (فَصْل ١ بَنْد ٨). حَدَّد هِينرِيخ بولينغر Heinrich Bullinger هذَا فِي خُطَّة اَللَّه عَبْر اَلعُصور: «إِنَّه بِالْعناية الحثيثة مِن اَللَّه أَبِينَا،

50 Peter J. Williams, "Ehrman's Equivocation and the Inerrancy of the Original Text," in *The Enduring Authority of the Christian Scriptures*, ed. D. A. Carson (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2016), 400.

وصلاحه اَلـذِي لاَ يُوصَـف، يَتَّضِح أَنَّه لاَ يُوجَـد فِي أيِّ عَصْـرٍ أو زَمَانٍ كَنْـزٌ بِهَـذا الحجْم».[٥١] إِنَّ قَصْد اَللَّه هُو أن يُعرِّفَنَا بِنفْسـه وبمقاصده. لَقـد اِخْتَـار اَللَّـه أن يَفعَـل ذَلِـك مِـن خِلاَل الكلمـات البشـريَّة، اَلتِـي قالهَـا وَكَتبهَـا وُكلاؤه مِـن البشـر فِـي مَواقِـف مُعَيَّنَـة، بيْنمَـا هُـو يُفكِّر فِينَـا. ولأَنَّهَـا كَلِمَـة اَللَّـه بِالتَّحْديـد، فَـإِنَّ اَللَّـه نَفسَـه يُصاحبهَـا فِي كُلِّ مَرْحَلـة مِـن النُّطْـق بِهَـا إِلـى اِسْـتقْبالهَا لَـدى المتلقِّين.

ومـع ذَلِـك، فَإِنَّ حِفْـظ الكتَاب اَلمُقـدَّس لَيْس مَفهُومًـا تمَّ فَرضُه علـى الكتَـاب اَلمُقـدَّس مِـن الخـارج. بـل كمَـا لاَحَـظ اَلنبِـيُّ إِشـعياء، يَبِـسَ الْعُشْـبُ، ذَبُـلَ الزَّهْـرُ. وَأَمَّـا كَلِمَـةُ إِلهِنَـا فَتَثْبُـتُ إِلَـى الأَبَـدِ. (إِشـعياء ٤٠: ٨)

لَقـد تَكلَّم يَسُـوع نَفسـه عـن أَنَّه لَـن «يَزُول حَـرْفٌ وَاحِـدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِـدَةٌ مِـنَ النَّامُـوسِ حَتَّـى يَكُـونَ الْكُلُّ» (مَتَّـى ٥: ١٨)، وَلَكنَّـه تَكلَّـم أَيْضًـا بِعبـارات مُشَـابهَة لِتلْك اَلتِي قالهَا إِشـعياء عن كلماته: «اَلسَّـمَاءُ وَالأَرْضُ تَـزُولاَنِ وَلَكِـنَّ كَلاَمِـي لاَ يَزُولُ» (مَتَّـى ٢٤: ٣٥). لَقد ضَمِنَ اَللَّه أَنَّـه حَتَّـى بَعْـد أَلفَـي عـام مِـن النَّسـخ والطِّباعـة والتَّرْجمـة، لاَ يَـزَال بِإِمْكاننَـا اَلوُصـول إِلـى كَلاَم الأَنْبيـاء والرُّسـل وَيسُـوع نَفسـه. ووفْقًـا لِشـهادة أحـد أَكثَـر الشُّـهود المُسْـتبْعَدين (شلايرماخـر): «إِنَّ الحفْـظ اَلأَمِيـن لِلْكتابـات الرَّسـوليَّة هُو عمل رُوح اَللَّه اَلـذِي يَتَعهَّد أعْماله».[٥٢]

إِنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس هُـو كَلِمَـة اَللَّـه المكْتوبـة. «لأَنَّ كُلَّ مَا سَـبَقَ

51 Heinrich Bullinger, *The Decades of Henry Bullinger, Minister of the Church of Zurich*, trans. H. I., ed. Thomas Harding (Cambridge: Parker Society, 1849), 55 (decade 1, sermon 1).

52 Friedrich D. E. Schleiermacher, *The Christian Faith*, ed. Hugh Ross Mackintosh and J. S. Stewart, trans. D. M. Baillie et al. (Edinburgh: T&T Clark, 1999), 602.

فَكُتِبَ كُتِبَ لأَجْلِ تَعْلِيمِنَا، حَتَّى بِالصَّبْرِ وَالتَّعْزِيَةِ بِمَا فِي الْكُتُبِ يَكُونُ لَنَا رَجَاءٌ» (رُومية ١٥: ٤). فماذَا يَسعُنا إِذًا أن نَقُول عن طَبِيعَة هَذِه اَلكلِمة اَلتِي أعْطاهَا اَللَّه؟

٤

طَابع الكتَاب اَلمُقدَّس [١] الْوُضُوح والْحَقَّانيَّة[١]

عِنْدمَا اِحتكَم يَسُوع إِلى الكتَاب اَلمُقدَّس، إِمَّا فِي تَعلِيم تلاميذه أو فِي تحدِّي خُصومِه، تَضمَّن اِحْتكامه أحْيانًا تأْكيدًا، وَدائِمًا مَا كان يَحمِل اِفْتراضات مُعَيَّنَة بِخصوص طَبِيعَة الكتَاب اَلمُقدَّس. فَكمَا رأَينَا، اِفتَرَضَ أنَّ الكتَاب اَلمُقدَّس سَلِسٌ، أيْ أَنَّه يُمْكِن قِراءَته وفهْم رِسالَته. فَإِنَّ التَّحَدِّي اَلذِي يطْرحه يَسُوع بِقوْله «أَمَا قَرَأْتُمْ؟» (مَتَّى ١٢: ٣، ٥؛ ١٩: ٤؛ ٢٢: ٣١) لَن يَكُون لَه مَعنًى إِذَا لَم يَكُن الأمْرُ كَذلِك. وَكذَلِك اِتِّهامه بِأنَّ الزُّعماء الدِّينيِّين فِي عَصرِه قد أبْطلوا كَلمَة اَللَّه (قدْرمَا اِسْتطاعوا) مِن خِلاَل إِصْرارهم على تقاليدهم (مَتَّى ١٥: ٦).

لَقد تَكلَّم يَسُوع بِجرْأةٍ عن حَقَّانِيَّة الكتَاب اَلمُقدَّس وَمِن ثمَّ

١ المقصود هنا هو عزو الحقّ إلى الكتاب المقدَّس، أي أنَّه حقٌّ بكل ما فيه، وهذا أمرٌ يفوق المصداقيَّة؛ (المُتَرجِم).

مُوثوقيَّتـه، أيْ جَدَارتـه بِالثِّقـة -«كَلاَمُكَ هُوَ حَـقٌّ» (يُوحنَّا ١٧: ١٧) وَ«لاَ يُمْكِـنُ أَنْ يُنْقَـضَ الْمَكْتُـوبُ» (يُوحنَّـا ١٠: ٣٥)- وَكذَلِـك عـن رُوح اَلحَـقِّ (يُوحنَّـا ١٤: ١٧؛ ١٥: ٢٦؛ ١٦: ١٣)، اَلـذِي سَيرسِـله إِلـى تلاميـذه. ومَـا مَثَلـه عـن اَلغَنِيِّ وَلعَـازر إِلاَّ تعْزيزًا لِكفاية الكتَاب اَلمُقـدَّس: «إِنْ كَانُوا لاَ يَسْـمَعُونَ مِـنْ مُوسَـى وَالأَنْبِيَـاءِ، وَلاَ إِنْ قَـامَ وَاحِـدٌ مِـنَ الأَمْـوَاتِ يُصَدِّقُـونَ» (لُوقَـا ١٦: ٣١). لَقـد أَظهَـر يَسُـوع قُـوَّة كلماتـه عِنْدمَا هدَّأ العاصفـة (مَرْقُـس ٤: ٣٩)، وطـرَدَ الشَّـياطين (مَرْقُـس ١: ٢٥؛ ٥: ٨؛ ٩: ٢٥) وَشـفَى المرْضـى (مَتَّـى ٨: ٨، ١٣؛ مَرْقُـس ٥: ٣٤). فكلماتـه لَهَـا اَلقُـدرة علـى إِجـرَاء الفعْلِ. لَقد كَانَـت كلماته فَعَّالة. وقـد تَوقَّع نَفْسَ الشَّـيْء مِـن كلمـات الكتَاب اَلمُقـدَّس، إِذْ قامَ بِتعْلِيـم تلاميذه أَنَّه «لاَ بُـدَّ أَنْ يَتِـمَّ جَمِيـعُ مَـا هُـوَ مَكْتُـوبٌ عَنِّي فِـي نَامُـوسِ مُوسَـى وَالأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيـرِ» (لُوقَـا ٢٤: ٤٤). لَـم يَفهَـم يَسُـوع الكتَـاب اَلمُقـدَّس علـى أَنَّـه كَلِمَـة اَللَّـه المكْتوبـة فحسْـب، بـل فَهِـم أَيْضًـا نَـوْعَ اَلكلِمـة اَلتِـي أَعْطانَـا إِيَّاهَـا اَللَّـه. وَكمَا رأَيْنَا أَيْضًـا، فَإِنَّ تكْليفَه لِلرُّسـل ووعدَه بِالرُّوح اَلقُـدس يُلْقِـي بِالنَّظْـرة نفْسـهَا على العهْـد اَلجدِيد.

فِـي اللاَّهـوتِ المسـيحيِّ، غالبًا مَـا نُوقِش طَابع الكتَـاب اَلمُقدَّس تَحْـت عَناوِيـن مِثْـل «خَصائِـص الكتَاب اَلمُقـدَّس» و«صِفَـات الكتَاب اَلمُقـدَّس». فبَعْـد تَحدِيـد «مَا هُـو الكتَـاب اَلمُقدَّس (الماهيَّـة)» (أَيْ كَلِمَـة اَللَّـه المكْتوبـة)، اِنْتقَلَـتْ اَلعدِيـد مِـن المعالجـات المتاحـة عن الموْضـوع إِلـى «كَيْف هُو الكتَـاب اَلمُقدَّس (الكيْفيَّـة)» (أَيْ طَابعُه).[٢]

٢ يميِّز ريتشارد مولر في بعضٍ من اللاَّهوتِ الذي ظَهَرَ بعد الإصلاحِ ذلك النمطَ القديمَ للانتقال من «هل يُوجَد شيءٌ من هذا القَبيل؟» (*an sit*) إلى «مَا هذا؟» (*quid sit*) ثمَّ إلى «كيف يبدو هذا [أو ما نوعه]؟» (*qualis sit*). يوجد مثل هذا النمط في أدبيَّات الحركة المدرسيَّة Scholasticism في العصور الوسطى جرَّاء تأثير كلام أرسطو.

Muller, Post-Reformation Reformed Dogmatics: The Rise and Development of Reformed

فِي وَقْت الإصْلاح، أَصبَح مِن اَلمُهِمِّ لَدى البروتستانت أن يشْرحوا صِفَات الكتَاب اَلمُقدَّس لِتَأْكيد تَفرُّدِه وسلْطَته، فِي مُوَاجهَة كُلِّ مِن مَزاعِم الكاثوليك بِسلْطة الكنيسة والتَّقاليد ومزاعم الأَنَابابْتِست القائلة بِسلْطة اَلكلِمة الدَّاخليَّة مِن الرُّوح لِلنَّفْس البشريَّة.[٣] وَاحِدة مِن أَكمَل القوائم هِي تِلْك الخاصَّة بِالْعالِم اللاَّهوتيِّ الهولنْديِّ بِتروس فَان ماستريخت: السُّلْطان، اَلحَقُّ، النَّزاهة، القداسة، اَلوُضوح، الكمَال (أيْ الكفاية)، الضَّرورة، والْفعَّاليَّة.[٤] هَكذَا عالجتْ الرِّوايات الحديثة بعْضًا مِن هَذِه العناصر فِي أَماكِن أُخرَى مِن البنَاء العقيديِّ، مِمَّا سمح بِقائِمةٍ أَكثَر إِيجازًا مِن الصِّفَات.[٥] فِي هذَا الْفَصْل والْفَصْل اَلذِي يليه سَوْف نَفحَص أَربَعة جَوانِب لِطابع الكتَاب اَلمُقدَّس تَنشَأ مُبَاشرَةً مِن اِسْتخْدام يَسُوع نَفسه لِلْكتَاب اَلمُقدَّس كمَا هُو مُوضَّح أَعلاَه: اَلوُضوح، والْحقَّانيَّة، والْكفاية، والْفعَّاليَّة.

ومع ذَلِك، وقبْل اَلمُضِيِّ قُدُمًا، يَجِب أن نُدْرِك أنَّ أيًّا مِن

Orthodoxy, ca. 1520 to ca. 1725, vol. 2, *Holy Scripture*, 2nd ed. (Grand Rapids, MI: Baker, 2003), 298.

٣ لمناقشة هذا السياق، انظر:
Herman Bavinck, *Reformed Dogmatics*, ed. John Bolt, trans. John Vriend, vol. 1, *Prolegomena* (Grand Rapids, MI: Baker Academic, 2003), 449, 452–54.

4 Petrus van Mastricht, *Theoretical-Practical Theology*, trans. Todd M. Rester, ed. Joel R. Beeke, vol. 1, *Prolegomena* (Grand Rapids, MI: Reformation Heritage, 2018), 126–31.

٥ إنَّها «السلطة، والحتميَّة، والكفاية، والوضوح»:
Bavinck, *Reformed Dogmatics*, 1:449; "necessity, sufficiency, clarity and authority": Timothy Ward, *Words of Life: Scripture as the Living and Active Word of God* (Nottingham: Inter-Varsity Press, 2009), 98–132; "enough, clear, final and necessary": Kevin DeYoung, *Taking God at His Word: Why the Bible Is Worth Knowing, Trusting and Loving* (Nottingham: Inter-Varsity Press, 2014).

هَـذِه «الصِّفَـات» لَيسَـت خاصِّيَّـة جَامِـدة أو خَامِلـة لِلنَّـصِّ الكتابـيِّ. بـل بِالْأَحْـرى، تُوجَـد هَـذِه الحقائـق الأَرْبع كَواقِـعٍ دِينامِيكيٍّ يَنشَـأ مِن هُويَّـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس إِذ هُـو كَلِمَـة اَللَّـه اَلحَـيِّ. لَقـد تَكَلَّـم اَللَّه مِن خِلاَل الأَنْبيـاء والرُّسـل، وَنَتيجَـةً لِذَلـك، فَـإِنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس هُـو «كَلاَم-فِعْـل اَللَّـه اَلقدِيـر»، كمَـا قـد يَقُـول الفلاسـفة اللاَّهوتيُّـون اللُّغويُّـون المعاصـرون.[٦] رُبَّمَـا أَثَـار اللاَّهوتيُّـون المُصْلحـون فِـي القـرْن السَّـابع عَشـر بَعْـضَ الأَسْـئلة مِـن خِلاَل أُطْروحتهـم، علـى حـدٍّ تَعبِيـر رِيتْشـارد مُولـر Richard Muller، بِـأَنَّ «صِفَـات الكتَـاب اَلمُقـدَّس لَهَـا عَلاقَـة تناظريَّـة بِبَعـض صِفَـات اَللَّـه التَّشـاركيَّة». ومع ذَلِـك، حسـبمَا يُحَذِّرنَـا جُـون وِبسْـتِر، فَإِنَّـه لاَ دَاعِـيَ لِقـراءة هـذَا على أَنَّـه «تَأْلِيـه لِلْكتَـاب اَلمُقـدَّس».[٧] إِنَّ تِلْـك العلاقـة التَّناظريَّـة تَصلُـح فِـي كِلاَ الاتِّجاهيْـنِ، وَفِـي هَـذِه الحالـة تَتَبـادَل كُلٌّ مِـن أَوجُه التَّشـابه والاخْـتلاف بَيْـن اَللَّـه اَلحَيِّ والنَّصِّ اَلـذِي جَلبَه ذَلِك الإلـه إِلى اَلوُجود مِـن خِلاَل عَامليَّـة بَشَـريَّة حَقيقِيَّـة. إِنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس لَيسَـت لَـه طَبِيعَـة إِلهيَّـة بِالطَّريقـة اَلتِـي يَتَمتَّع اَللَّه نَفسـه بِهَا بِطبيعتـه الإلهيَّة، إِنَّ وِبسْـتِر مُحِـقٌّ فِـي الإِشـارة إِلـى أَنَّ العلاقـة بَيْـن الطَّبيعـة الإلهيَّـة والْعامليَّـة البشـريَّة فِـي إِنتَـاج الكتَـاب اَلمُقـدَّس لَيسَـت هِـي نَفسـها الاتِّحـاد بَيْـن اللاَّهـوتِ والنَّاسـوتِ فِي شَـخْص اَلمسِيح.[٨] ومـع ذَلِك،

6 Kevin Vanhoozer, "God's Mighty Speech-Acts: The Doctrine of Scripture Today," in *A Pathway into the Holy Scripture*, ed. P. E. Satterthwaite and D. F. Wright (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1994), 171.

7 Muller, Post-Reformation Reformed Dogmatics, 2:299; John Webster, Holy Scripture: A Dogmatic Sketch (Cambridge: Cambridge University Press, 2003), 23.

8 Webster, Holy Scripture, 23.
كما يقول فانهوزر: «في حين أنَّ المسيح **شخصٌ عاملٌ** وهو إنسانٌ بالكامل وإلهٌ بالكامل، فإنَّ كلَّ ما ننادي به للكتاب المقدَّس هو أنَّه **عملٌ** إنسانيٌّ بالكامل وإلهيٌّ بالكامل».

وَكمَا أَوضَحت إِحْدى الدِّراسات الحديثة، فَإِنَّ «عَلاقَة اَللَّه بِكلمَته هِي عَلاقَة حَمِيمَة بِشَكلٍ فَائِقٍ يَصعُب على عِلْم اللاَّهوتِ تقْديره فِي كثيرٍ مِن الأَحْيان».[٩]

لاَ يُوجَد الكتَاب اَلمُقدَّس بِمعْزِلٍ عن حُضُور اَللَّهِ، ولاَ يَعمَل بِمنْأًى عن نَشَاط اَللَّه فِي التَّعْريف بِنفْسه، وافْتداء البشر السَّاقطين، وَتحرِيك كُلِّ الأَشْياء نَحْو الغاية اَلتِي خَطَّطهَا لَهَا. إِنَّ الكتَاب اَلمُقدَّس هُو كَلمَة اَللَّه، لَيْس فقط بِمعْنى أَنَّه يَنبُع مِنْه، وَلكِن أَيْضًا بِمعْنى أَنَّه يَستَمِرُّ فِي تَقدِيم نَفسِه لَنَا فِيه. فالْكتَاب اَلمُقدَّس، مَصحُوبًا بِحضور الرُّوح اَلقُدس، يُمثِّل وَساطَةً لِحضور اَللَّه الثَّالوث. وَبِحسَب تَلخِيص جيمس بَاكِر J. I. Packer، فَإِنَّ «اَللَّه اَلآب هُو وَاهِب الكتَاب اَلمُقدَّس. وَاَللَّه الابْن هُو مَوضُوع الكتَاب اَلمُقدَّس. وَاَللَّه الرُّوح، بِصفته اَلوكِيل اَلمُعيَّن مِن اَلآب فِي الشَّهادة لِلابْن، هُو مُؤلِّف الكتَاب اَلمُقدَّس وموثِّقه ومفسِّره».[١٠]

عَلَى الرَّغْم مِن أَنَّ اَلحدِيث عن تِلْك الصِّفَات هُو عن كوْنهَا **صِفَات الكتَاب اَلمُقدَّس**، فَهِي مع ذَلِك صِفَات الكتَاب اَلمُقدَّس بِالتَّحْديد لِأَنَّهَا كَلمَة اَللَّه المكْتوبة، وَاَللَّه نَفسُه يَتَّصِف بِتلْك الصِّفَات. إِنَّ اَللَّه هُو كَائِنٌ تواصليٌّ بِشَكلٍ فَعَّالٍ؛ لَيْس فِيه جَهْلٌ أو خِدَاعٌ، إِذ يَقُول اَلحَقَّ دائمًا؛ وَهُو كريمٌ فِي عِنايَته بِشعْبه؛ ويتمِّم أَهْدافه السِّياديَّة دائمًا فِي كُلِّ مَا يفْعله. وَنَتيجَةً لِذَلك،

Mighty Speech-Acts," 175 (emphasis original).

9 Telford Work, *Living and Active: Scripture in the Economy of Salvation* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2002), 26.

10 J. I. Packer, *God Has Spoken: Revelation and the Bible* (London: Hodder & Stoughton, 1979), 91.

فَـإِنَّ الكتَـاب اَلمُقدَّس وَاضِـحٌ وَصادِقٌ وَكَافٍ وَفَعَّالٌ بِقـوَّةٍ. ومع ذَلِك، فَإِنَّنَـا لاَ نَتَكلَّـم عـن الكتَـاب اَلمُقـدَّس بِهَذه الطَّريقة فقط على أَسَـاس الاسْـتنْتاجات المأْخـوذة مِـن عقيدتنَـا عـن شَـخْص اَللَّـه. بل تَنشَـأ كُلُّ هَـذِه الصِّفَـات أَيْضًـا مِـن شَـهادَة الكتَـاب اَلمُقـدَّس عن نَفسِـه.

فِـي مَجمُوعـة مُتَنوِّعَـة مِـن «الأَفْعَـال النَّاطقـة» اَلتِـي يَصعُـب حَصرُهـا فِـي شَكْلٍ وَاحِـدٍ، يُوجِّـه اَللَّـه كُلَّ الأَشْـياء نَحْـو اِبْنِـه. فَهُـو مِـن خِلاَل عُمَلائِـه البشـريِّين، يُؤكِّـد ويشْـرح، ويدْعـو ويأْمـر، وَيعِـد ويحـذِّر، وَيصِـف وَيلـزِم، ويفْـرَح ويأْسَـف. بِالْإضافـة إِلى ذَلِـك، تَأْتِي تِلْـك الأَفْعـال النَّاطقـة ضِمْـن مَجمُوعـة مُتَنوِّعَـة مِـن أَنـوَاع النُّصوص الأَدبيَّـة. فَقـد يُحذِّر يَسُـوع مِن الدِّينونـة القادمة مُبَاشـرَةً أو مِن خِلاَل مَثَـلٍ. كمَـا يُمْكِـن سَـرْد رِعايـة اَللَّـه اَلمُحِبَّـة لِعبْـده فِـي شَكْلٍ قَصَصِـيٍّ أو مِـن خِلاَل التَّغَنِّـي بِهَـا فِـي مَزمُـورٍ. وقـد يَأْمُـر مِـن خِلاَل النَّاموس، أو قـد يُصـدِر نَفْـس الأَمْـر مِـن خِلاَل كلمـات الحكمـاء كَدعْـوَة لِلْحيَاة المُباركـة. ومـع ذَلِـك، فَـإِنَّ الصِّفَات اَلتِي نَدرُسـها تَنطَبِق على كُلٍّ مِن الأَفْعـال النَّاطقـة هَـذِه والْأَنْـواع الأَدبيَّـة المخْتلفـة اَلتِي تقـع فِيهَـا، حَتَّـى لَـو كَانَـت بِطـرقٍ مُختلفَـةٍ قليلاً.

إِنَّ إِيلاَء الانْتبـاه إِلـى الكتَـاب اَلمُقـدَّس بِصنوفِه الأَدبيَّـة المتنوِّعة بِوصْفـه فِعْـلَ اَللَّـه النَّاطـق مُتَعـدِّد الأَبْعـاد، هُـو أَمْـرٌ يُمَكِّننَـا مِـن التَّحَـدُّث بِأَقْـوى العبـارات عـن العلاقـة بَيْن اَللَّـه والْكتَـاب اَلمُقدَّس، بَيْـن شَـخصِيَّة اَللَّـه كمَـا أَوْضحَهَـا لَنَـا وَطَبيعَـة اَلكلِمـة اَلتِـي أَعْطانَـا إِيَّاهَـا، دُون اَلوُقـوع فِـي خطـرِ «تَأْليـه الكتَـاب اَلمُقـدَّس». وَكذَلِـك اَلْحـال بِالنِّسْـبة لِلْمَوْضـوع الكتابـيِّ اَلغَنِيِّ اَلْخـاصِّ **بِالْعَهْـد**. إِذ تَتَّخِذ كلمـات اَللَّـه شَكْلَ اَلوُعـود بِـشَكلٍ مُنْتَظِـمٍ، وَمِـن ثـمَّ تـمَّ نَقْـل هَـذِه

اَلوُعـود وإضْفَـاء الطَّابـع اَلرسْـمِيِّ عليْهَـا عـن طريـق العهْـد. يُعبِّـر العهْـد عـن العلاقـة اَلتِـي يُوَلِّدهَـا الوعْد ويحدِّد الاسْـتجابة المناسـبة لِلْوعْـد: اَلثقَـة المُوقِنـة، وَالتِـي تَتَحـوَّل إِلـى طَاعَـةٍ مُخْلِصـةٍ. وهكـذَا يُؤسِّـس اَللَّـه عَهـدَه فِـي تكْراراتـه المخْتلفـة (التَّكْويـن ٩: ١٦؛ ١٧: ٢؛ اَلخُـروج ١٩: ٥؛ صَموئِيـل الثَّانـي ٢٣: ٥)، ويؤكِّد لِشـعْبه أَنَّه لَن يَنتَهك ذَلِـك العهْـد أبـدًا (المزاميـر ٨٩: ٣٤). وعنْدَمَـا كسـر إِسْـرائيل العهْـد، وعـدَ اَللَّـه بِعَهدٍ جديـدٍ (إِرْمِيَا ٣١: ٣١-٣٤)، يَتحقَّق فِي يَسُـوع اَلمسِيح (لُوقَـا ٢٢: ٢٠). وَفِـي نِهايـة المطَاف، «يُظْهِر اَللَّه نَفسَـه على أَنَّه الإله اَلـذِي، فِـي يَسُـوع، يَحفَـظ كَلِمتَه لِإِسْـرائيل».[11] بِهَـذه الطَّرِيقـة، يُمْكِن فَهْـم الكتَـاب اَلمُقـدَّس بِأكْمَلـه مِـن مَنظُـور عَهْـد اَللَّـه مـع شَـعبِه: «لاَ تَحتَـوِي الأسْـفار المقدَّسـة بِبسـاطةٍ على عَهْـدٍ أو عُهُـودٍ، وَلكِـن يُمْكِـن القـوْل إِنَّهـا فِـي كُلِّيَّتِهَـا تُـشكِّل وَثِيقَة العهْـد نفْسـهَا».[12] إِنَّ هذَا المقْيـاس اَلكبِيـر ذا «الهيْكليَّـة العهْديَّة لِلْكتَاب اَلمُقـدَّس»، والْمفْهوم مِـن مَنظُـور دِينامِيكيَّـة الوعْـد والتَّحْقيـق، يُوفِّـر سِياقًا لِلنُّصـوص كفُـرادَى، وتوْجيهًـا فِيمَـا يَتَعلَّق بِالاسْـتجابة المناسـبة لَهَـا؛ «فالْكلمات

11 Kevin J. Vanhoozer, *Remythologizing Theology: Divine Action, Passion, and Authorship* (Cambridge: Cambridge University Press, 2010), 215.

12 Michael S. Horton, *Covenant and Eschatology: The Divine Drama* (Louisville: Westminster John Knox, 2002), 207.

انظر أيضًا:

John M. Frame, "The Gospel and the Scriptures," in *John Frame's Selected Writings*, vol. 1 (Phillipsburg, NJ: P&R, 2014), 30.

تأثَّر هورتون وفريم وآخرون كثيرون باستنتاجات ميريديث كلاين: «إنَّ الوثائق التي تتَّحد لتُشكِّل الكتاب المقدَّس هي عهديَّة في طبيعتها، أي طبيعتها القانونيَّة كما يبدو. [...] لقد اتَّضح أنَّ طبيعةَ كلِّ الكتاب المقدَّس هي عهديَّة وقانونيَّة كلِّ الكتاب المقدَّس هي عهديَّة».

Kline, *The Structure of Biblical Authority*, rev. ed. (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1972), 75.

الصَّادرة مِنْه تَخلُق اِسْتجابتنَا الحقيقيَّة لَهَا بِالْإيمان التَّائب».[١٣]

يَعكِس الكتَاب اَلمُقدَّس، بِطريقة مَخلُوقة، شَخصِيَّة اَللَّه الثَّالوث اَلذِي أعْطانَا إِيَّاه. كمَا أَنَّه يَتوافَق مع مَقاصِده فِي خَلاَص الرِّجَال والنِّساء الضَّالِّين (لُوقَا ١٩: ١٠)، وإِخْضَاع كُلِّ الأَشْياء تَحْت قَدمَي اَلمسِيح (أَفَسُس ١: ٢٢). علَيْنَا أن نَقرَأ كُلَّ صِفةٍ مِن صِفَات الكتَاب اَلمُقدَّس فِي ضَوْء هَذِه الحقائق العظيمة. إنَّ نَشَاطَ اَللَّه اَلحُرَّ والدِّيناميكيَّ والسِّياديَّ فِي التَّعْريف بِنفْسه لاَ يَنتَهِي عِنْد حدِّ نَقْش اَلحُروف والْكلمات، وَلَكنَّه يَستَمِرُّ فِي هذَا اَلنَّصِّ وَمِن خِلاله.

وُضُوح الأَسْفَار المُقدَّسة

قد يَبدُو التَّأْكيد على وُضُوح الكتَاب اَلمُقدَّس غَيْرَ مَنطقِيٍّ لِلْوهْلة اَلأُولى، نظرًا إِلى الحجْم الهائل مِن التَّفاسير اَلتِي كُتِبَت لِلنَّصِّ الكتابيِّ على مرِّ اَلقُرون وتنوُّع الآرَاء حَوْل العناصر لِتعاليمه. أَلاَ تُثير ظَاهِرة التَّعْليم اَلْكَاذِب، بل وَحتَّى البِدَع، بَعْضَ الأَسْئلة بِالنِّسْبة لَنَا، لاَ سِيَّما بِالنَّظر إِلى الحقيقة التَّاريخيَّة القائلة بِأنَّ عَدِيدًا مِن الهراطقة الأوائل قد اِسْتَشْهدوا بِالْكتاب اَلمُقدَّس لِدَعم آرائِهم ؟ بل وَحتَّى إِبْليس اِحتكَم إِلى الكتَاب اَلمُقدَّس عِنْدمَا اِمتحَن يَسُوعَ فِي البرِّيَّة. ومع ذَلِك، كمَا رأَينَا، اِستَشهد يَسُوع بِشَكلٍ مُنْتَظِمٍ بِالْكتاب اَلمُقدَّس، مُفترِضًا أنَّ مَعْنَاه سَلِسٌ وأنَّ الاسْتجابة المناسبة لِمَا كُتِبَ كان يَجِب أن تَكُون وَاضِحة. فكيْف لَنَا إِذًا أن نَفهَم هَذِه اَلصفَة الخاصَّة لِلْكتَاب اَلمُقدَّس؟

13 Peter F. Jensen, "God and the Bible," in *The Enduring Authority of the Christian Scriptures*, ed. D. A. Carson (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2016), 483, 486.

إِنَّ وُضُـوحَ الكتَـاب اَلمُقـدَّس هُـو «صِفـة اَلنَّـصِّ الكتابـيِّ اَلتِـي، بِكوْنـه فِعْـلَ اَللَّـه التَّواصُليَّ/التَّشـارُكيَّ، تَضمَـن أنَّ مَعْنَـاه هُـو فِـي مُتَنـاوَل كُلِّ مَـن يَأتُون إِلَيه بِالْإيمان».[١٤] تُوجَد المرْسـاة الأساسـيَّة لِهَذه اَلصفَـة فِـي النَّشَـاطِ التَّواصليِّ/التَّشـاركيِّ لَدى اَللَّـه. إِنَّ اَللَّه هُـو كَائِنٌ مُتَواصِـلٌ بِـشَكلٍ فَعَّـالٍ. يَصُـوغ هينريخ بولينغـر ذَلِك بِبسـاطةٍ قائلاً: «إِنَّ مَشِـيئَة اَللَّـه هِـي أن يَفهَم البشـر كَلِمتَه».[١٥] فَبمَـا أنَّ كَلِمتَه تُحقِّق دائمًـا مَـا يقْصـدُه لَهَـا (إشـعياء ٥٥: ١١)، وإِذَا كان يَنوِي إِيصالهَـا إِلَيْنَا، إِذًا علَيْنَـا أن نَتَوقَّـع أن يَكُـون مَعْنَاهـا مُتَاحًـا وسَلِسًـا. فَهُـو يَعـرِف مَـا يفْعلـه بِالْكلمـات البشـريَّة. فقـد كان يسْـتخْدمُهَا لِفتْـرةٍ طَوِيلَـةٍ جِدًّا.

فِـي جميـع أَجـزَاء الكتَـاب اَلمُقـدَّس، نَجِـد تأْكيـدات علـى أنَّ اَللَّـه قـد جعـل المعْنـى مُتَاحًـا وسَلِسًـا. فَقْـد تَحـدَّث مُوسَـى بِهَـذه المصْطلحـات إِلـى بَنِـي إِسْـرائيل عـن اَلكلِمـة اَلتِـي أُعطِيـت لَهُم على الأَلْـواح الحجريَّـة وَفِـي سـفر الشَّـريعة:

إِنَّ هـذِهِ الْوَصِيَّـةَ الَّتِـي أُوصِيـكَ بِهَا الْيَوْمَ لَيْسَـتْ عَسِـرَةً عَلَيْكَ وَلاَ بَعِيـدَةً مِنْـكَ. لَيْسَـتْ هِـيَ فِـي السَّـمَاءِ حَتَّـى تَقُـولَ: مَـنْ يَصْعَـدُ لأَجْلِنَـا إِلَى السَّـمَاءِ وَيَأْخُذُهَا لَنَا وَيُسْـمِعُنَا إِيَّاهَا لِنَعْمَلَ

14 Mark D. Thompson, *A Clear and Present Word: The Clarity of Scripture* (Nottingham: Inter-Varsity Press, 2006), 169–70.

قد يتبنَّى التوسُّع في هذا التعريف الحاجةَ إلى قراءة مسؤولة: «إنَّ وضوح الكتاب المقدَّس هو تلك الخاصِّيَّة من الكتاب المقدَّس التي تنشأ من حقيقة أنَّه في النهاية عملُ الله التواصليُّ الفعَّال، وتضمن أنَّ معنى كلِّ نصٍّ كتابيٍّ هو في متناوَل كلِّ مَن يأتي إليه بالإيمان متى نظر إليه في سياق الكلِّ القانونيِّ».

." Thompson, "The Generous Gift of a Gracious Father: Towards a Theological Account of the Clarity of Scripture," in Carson, Enduring Authority, 617–18.

15 Heinrich Bullinger, *The Decades of Henry Bullinger, Minister of the Church of Zurich*, trans. H. I., ed. Thomas Harding (Cambridge: Parker Society, 1849), 71 (decade 1, sermon 3).

بِهَا؟ وَلاَ هِيَ فِي عَبْرِ الْبَحْرِ حَتَّى تَقُولَ: مَنْ يَعْبُرُ لأَجْلِنَا الْبَحْرَ وَيَأْخُذُهَا لَنَا وَيُسْمِعُنَا إِيَّاهَا لِنَعْمَلَ بِهَا؟ بَلِ الْكَلِمَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ جِدًّا، فِي فَمِكَ وَفِي قَلْبِكَ لِتَعْمَلَ بِهَا. (التَّثنية ٣٠: ١١-١٤، مُقتَبَس في رُومية ١٠: ٦-١٣)

تَكلَّم خِطَاب الوداع اَلذِي أَلقَاه مُوسَى عن بَرَكات الطَّاعة واللَّعنات المرْتبطة بِعَدم الأمانة تُجَاه عَهْد اَللَّه. وَهُو لَم يَكُن خِطابًا مُوَجَّهًا فقط إلى نُخبَةٍ مِن الكهَنة أو العلماء وَلكِن إلى الجماعة بِأسْرِهَا. فقد حَذَّر مُوسَى مِن أَنَّه لاَ يُمْكِن أن يَكُون هُنَاك أيُّ أَسَاسٍ لِلزَّعْم بِأنَّهم لَم يُقَال لَهُم مُطْلقًا مَا هُو مَطلُوبٌ مِنْهم، أو أَنَّه قد تمَّ إِخْبارهم وَلكِنَّه كان صَعْبَ الفَهْم جِدًّا أو عَسِرًا. رُبَّمَا لَم يَعرِف الإسْرائيليُّون كُلَّ شَيْءٍ عن اَللَّه ومقاصده، فبعْض الأشْياء حُفِظَت لِلْمسْتقبل وبعْض الأشْياء لَم يُعطَ لَنَا أن نعْرفَهَا (التَّثْنية ٢٩: ٢٩)، وَلكِن مَا أُعطِيَ قُصِدَ لَه أن يُعرَف وأن يُوجِّه الطَّريقة اَلتِي عَاشُوا بِهَا كشعْبِ اَللَّه المخْتارِ.

هَذِه القناعة بِأنَّ الكلمات المُعْطاة لِشَعب اَللَّه كَانَت مُوَجَّهَة إلى جميع شَعْب اَللَّه ولم تكُن مِلْكِيَّة خَاصَّة لِمجْموعة صَغِيرَة مُتَعلِّمَة بِشَكلٍ خاصٍّ، هِي قَناعَة تَستَمِرُّ فِي جميع أَجزَاء الكتَاب اَلمُقدَّس. إذ يُمْكِن لِداود أن يَكتُب عن كَيْف أنَّ شَهَادَات الرَّبِّ صَادِقَةٌ تُصَيِّرُ الْجَاهِلَ حَكِيمًا (المزامير ١٩: ٧).

ولكاتب المزْمور ١١٩ أن يُنَادِي قائلاً لَيْس فقط: «سِرَاجٌ لِرِجْلِي كَلاَمُكَ وَنُورٌ لِسَبِيلِي» (المزامير ١١٩: ١٠٥).

بل أيضًا: «فَتْحُ كَلاَمِكَ يُنِيرُ، يُعَقِّلُ الْجُهَّالَ» (المزامير ١١٩:

.(١٣٠

تَكلَّم يَسُوع أيْضًا عن كَيْف أنَّ اَلآب قد أَخفَى «هذِهِ [الأمور] عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ»، وَبَينمَا لَم يَكُن يَتَكلَّم على وَجْه التَّحْديد عن الكتَاب اَلمُقدَّس فِي تِلْك المناسبة، لَكِن كان هؤلاء «الأَطْفَال» هُم الَّذين عَلَّمَهم يَسُوع مُشيرًا بِاسْتمْرار إلى العهْد اَلقدِيم (مَتَّى ١١: ٢٥). هَكذَا كتب الرَّسول بُولُس لِلْمسيحيِّين فِي رُومَا أنَّ «كُلَّ مَا سَبَقَ فَكُتِبَ كُتِبَ لأَجْلِ تَعْلِيمِنَا» (رُومِيَة ١٥: ٤؛ كُورنثوس اَلأُولى ١٠: ١١). كمَا ذكَّر تِيموثاوس أنَّ اَلكُتب المُقدَّسة «قَادِرَةَ أَنْ تُحَكِّمَكَ لِلْخَلاَصِ، بِالإِيمَانِ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (تِيموثاوس الثَّانية ٣: ١٥)، وأنَّ «كلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ» (تِيموثاوس الثَّانية ٣: ١٦). لَن يَكُون أيٌّ مِن هذَا مُمْكِنًا إذَا كان مَعنَى الكتَاب اَلمُقدَّس مُتعذِّرًا. عِلاوةً على ذَلِك، كَيْف يُمْكِن لِكلِّ وَاحِدٍ مِن الشُّيوخ والنُّظَّار الَّذين عيَّنهم تِيطس أن يَكُون قادرًا على أن يَكُون «مُلاَزِمًا لِلْكَلِمَةِ الصَّادِقَةِ الَّتِي بِحَسَبِ التَّعْلِيمِ، لِكَيْ يَكُونَ قَادِرًا أَنْ يَعِظَ بِالتَّعْلِيمِ الصَّحِيحِ وَيُوَبِّخَ الْمُنَاقِضِينَ» (تِيطس ١: ٩)، إذَا كَانَت هُنَاك صُعُوبَة أَساسِيَّة فِي فَهْم مَا يُعَلِّمه الكتَاب اَلمُقدَّس بِالْفِعْل؟ وَفِي نِهاية المطَاف، كان مِن أشدِّ مَا حرصَ عليْه الرَّسول هُو أَنَّه عِنْدمَا أَعلَن اَلمسِيح، كان يَفعَل ذَلِك بِوضوحٍ (كُولوسِّي ٤: ٤).

فلاَ عجبَ إذًا أنَّ اللاَّهوتيِّين المسيحيِّين أَكَّدُوا مِرارًا وُضُوحَ الكتَاب اَلمُقدَّس. كان مِن اَلمهِمِّ القيَام بِذَلك خَاصَّةً فِي وَقْت الإِصْلاح، عِنْدمَا أَصرَّت كَنِيسَة رُومَا على أنَّ الكتَاب اَلمُقدَّس كان

عُرضَـةً لِلتَّفْسـير الخاطـئ وأنَّ المسـيحيِّين المؤْمنيـن سـيُضَلَّلون مـن دون تَفسِـير الكنيسـة اَلرسْـمِيِّ. هَكـذَا تَطارَح لُوثَـر أنَّ زَعْـم البابَا بِأَنَّه اَلمُفسِّـر اَلوحِيـد المُعْتمَـد لِلْكتَـاب اَلمُقدَّس هُـو الثَّاني مِـن بَيْن ثَلاثَة جُـدْران أُقيمَـتْ لِتحْصِيـن الكنيسـة ضِـدَّ النَّقْـد أو الإصْلاح. وَكَان ردُّه هُـو وصفهَـا بِأَنَّهَا «أُسـطُورة خَيالِيَّة مُخْزِية» والْإِصْـرار على أنَّ الكتَاب اَلمُقـدَّس «فِـي حـدِّ ذَاتِـه هُـو الأكْثـر ثُبوتًـا، والْأكْثـر سَلاسَـةً، والْأكْثر وُضوحًـا على الإطْلاق، مُفَسِّـرا نَفسَـه، ومُصادقًـا وَحاكِمًـا على كُلِّ الأشْـياء ومنيـرًا لَهَا».[١٦]

كان مِـن الأهمِّيَّـة بِمكان تَعْبيره «مُفَسِّـرًا نَفسَـه». كان «لُوثَر» يُصِرُّ على أنَّ المصْـدر الأساسـيَّ لِفَهـم أيِّ جُـزْءٍ مِـن الكتَاب اَلمُقـدَّس هُو كُلُّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس نَفسُـه. إنَّ الممارسـة التَّاريخيَّـة المتمثِّلـة فِـي مُقَارنَـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس بِالْكتـاب اَلمُقـدَّس تَسـمَح لِلْكلِمـة اَلمُوحـى بِهَـا أن تَكُـون هِـي السُّـلْطة النِّهائيَّـة بـدلاً مِـن تصْريحـات سُـلطات الكنيسـة أو الأَحكَام الصَّادرة حَتَّى مِن أَكثَر العلماء إِخْلاصًا واسْـتقامةً فِـي الإيمـان. لاَ يَحْتـاج الكتَـاب اَلمُقـدَّس إِلـى تَفسِـيرٍ خَارجِـيٍّ يفوقه سُـلطَة. وبعْـد نِصْـف قَـرْنٍ مِـن لُوثَـر، لَخَّـص اللاَّهوتـيُّ الإنْجليـزيُّ البروتسْـتانْتِيُّ، وِيلْيَـام ويتِكـر William Whitaker، جَدَليَّـة الإصْلاح على النَّحْـو التَّالي:

16 Martin Luther, "To the Christian Nobility of the German Nation concerning the Reform of the Christian Estate," in *Luther's Works*, ed. Jaroslav Pelikan and Helmut T. Lehmann, 66 vols. to date (St. Louis: Concordia; Minneapolis: Fortress, 1955–), 44:134; "Assertio omnium articulorum M. Lutheri per Bullam Leonis X. novissimam damnatorum," in *D. Martin Luthers Werke: Kritische Gesamtausgabe, Schriften*, ed. J. K. F. Knaake et al., 73 vols. (Weimar: Hermann Bohlaus, 1883–2009), 7:97.

تحتفظ ترجمة لوثر الألمانيَّة لهذه الرسالة بالمعنى ولكن ليس الصياغة الدقيقة للطبعة اللاَّتينيَّة، وهي تشكِّل أساس الطبعة الإنجليزيَّة في:

Luther's Works, vol. 32.

إِنَّنا نَفهَم أنَّ عقْلَهم ورأْيَهم هُو أَنَّه يَجِب مَنْع النَّاس مِن قِراءة الأسْفار المقدَّسة لِأَنَّهَا فِي غَايَة اَلغُموض بِحَيث لاَ يُمْكِن فَهمُها مِن قِبَل عَوَامِّ الرِّجَال والنِّساء العادِيِّين. لَكِنَّنَا نَعتَقِد عَكْس ذَلِك، بِأنَّ الكتَاب اَلمُقدَّس لَيْس بِهَذه الصُّعوبة بل يُمْكِن قِراءَته قِراءة مُجْزِية، بل وَعلَى النَّاس أن يقْرؤوه.[١٧]

فِي سِيَاق مُناقشات الإِصْلاح، كان مِن الضَّروريِّ تَأْكيد أنَّ الكتَاب اَلمُقدَّس وَاضِحٌ لِلْغاية عِنْد تَحدِيد وَسائِل خَلاصِنا والاسْتجابة المناسبة لِلْإِنْجيل. أقرَّ ويتِكر بِصعوبةِ التَّعاملِ مع بَعْض النُّصوص الكتابيَّة والْحاجة المسْتمرَّة إِلَى مُعلِّمي اَلكلِمة الدَّارسين، لَكنَّه أصرَّ على أنَّ «كُلَّ الأشْياء الضَّروريَّة لِلْخلاَص مُقَدَّمَة بِكلمَاتٍ وَاضِحةٍ فِي الكتَاب اَلمُقدَّس».[١٨] وَهُو قد لَوَّح بِهَذا لِواحدٍ مِن أَقوَى التَّصْريحات الإيمانيَّة بِشَأن اَلوُضوح الكتابيِّ، الموْجود فِي إِقرَار إِيمَان وِستمنستر:

لَيسَت كُلُّ اَلأُمور فِي الكتَاب اَلمُقدَّس بَسِيطَة فِي حدِّ ذاتهَا، ولَيْستْ على حدٍّ سَوَاء وَاضِحةً لِلْجمِيع؛ وَلكِن تِلْك اَلأُمور اَلتِي مِن الضَّروريِّ معْرفتهَا، والْإِيمان بِهَا، والانْتباه إِلَيْهَا لِأَجل الخلاَص، هِي مُقَدَّمَةٌ بِوضوحٍ وَصَريحَةٌ فِي مَوضِعٍ مَا أو آخر فِي الكتَاب اَلمُقدَّس، إذ إِنَّه لَيْس فقط المتعلِّمون، بل البسطاء أَيْضًا يُمْكنهم أن يَصلُوا إِلَى فَهمٍ كافٍ لَهَا من

17 William Whitaker, *Disputations on Holy Scripture*, trans. and ed. William Fitzgerald (Morgan, PA: Soli Deo Gloria, 2000), 360.

18 Whitaker, *Disputations on Holy Scripture*, 364.

خلال الاسْـتخْدام المناسـب لِلْوسـائط العاديَّـة. (١: ٧)

وبصياغـة هَـذِه المصْطلحـات، فَـإِنَّ هـذَا الإِقْـرار يُثيـر أَسـئِلة حَـوْل دَرَجـات اَلوُضـوح فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس والتَّفـاوت فِـي دَرَجات الاسْـتقْبال، وَالتِي سَـنعُود إِليْهَـا بَعْـد قليلٍ. ومـع ذَلِك، فَـإِنَّ التَّرْكيز علـى مَعرِفـة الـخلاَص بِالْمعْنى الواسـع («لِلأمـور اَلتِي مِـن الضَّروريِّ معْرفتهَـا، والْإيمـان بِهَـا، والانْتبـاه إِليْهَـا لِأَجـل الـخلاَص») تَلفِـت الانْتبـاه إِلـى العلاقة بَيْـن وُضُوح الكتَـاب اَلمُقدَّس والْغَـرض مِنْه. لَم تُعْـطَ الأَسْـفار المقدَّسـة لِمجـرَّد إِثـارة أو إِشـبَاع اَلفُضـول اَلفكْـرِيِّ. إِذ تَتَبـادَر إِلـى الذِّهْن كلمات بُولُـس لَتيموثاوس: أَنَّهَا «قَـادِرَةَ أَنْ تُحَكِّمَكَ لِلْـخَلاَصِ، بِالإِيمَـانِ الَّـذِي فِي الْمَسِـيحِ يَسُـوعَ» (تِيموثـاوس الثَّانية ٣: ١٥). إِنَّ الإِعْلان والْفـداء مُرْتبطـان بِبعْضهمَـا البعْض فِي مَقاصِد اَللَّه، وَلـذَا فإِنَّهمَـا لاَ ينْفـصلان أَيْضًـا فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس اَلـذِي أَعْطانَـا إِيَّـاه. فِـي الواقع، كمَا يُشـير تِيموثـي وَارْد: «إِنَّ الكتَـاب اَلمُقدَّس [...] لَيْـس مُجـرَّد وَسِـيلَة يكشِـف اَللَّـه بِواسـطتهَا مَـا تَعنِيه أَفْعالـه. بل هُو أَيْضًـا [نَفسـه] وَاحِـدٌ مِـن أَعمَـال الفـدَاء اَلتِي يَجـذِب بِهَا اَللَّـه النَّاس إِلـى الاتِّحـاد بِالْمسـيح والْعلاقة معـه».[١٩] وَبهَذِه الطَّريقـة، لاَ يَنفَصِل وُضُـوح الكتَـاب اَلمُقـدَّس عن بَقيَّة العقيدة المسـيحيَّة بِشَـأن الكتَاب اَلمُقـدَّس. بـل إِنَّـه مُتَعلِّق بِالْغَرض اَلـذِي أُعطِيَ الكتَـاب اَلمُقدَّس مِن أَجلِه.

فِـي سِـياقَات لاَحِقـة، تـمَّ إِيلاَء اَلمزِيـد مِـن الاهْتمـام لِلْواقـع الدِّينامِيكـيِّ لِوجـود اَللَّـه فِـي هذَا اَلنَّـصِّ وَمعَ النصِّ، مِمَّـا يمْنحه هذَا اَلوُضـوح. فَكتَـب بِنديكـت بِكتِـت Benedict Pictet فِـي نِهايـة القرْن

19 Ward, *Words of Life*, 54.

السَّـابع عشـر، وسـأَلَ عَمَّا يعْنيـه إِنكَار اَلوُضوح الكتابـيِّ لِعقيدة اَللَّه:

> إِمَّـا أَنَّ اَللَّـه لَـم يَسـتَطِع أن يُعْلِـن ذَاتَـه بِوضـوحٍ أَكثَر لِلْبشـر، وَإِمَّـا أَنَّـه لاَ يُريـد. لَـن يُقِـرَّ أحـد بِالاحْتمـال الأَوَّل، والاحْتمـال اَلأخِيـر هُـو الأَكْثـر عَبَثِيَّـة؛ فَمَـن عَسَـاه يُصـدِّق أَنَّ اَللَّـه أَبانَـا السَّـماويَّ لَـم يَكُـن راغبًـا فِـي الكشْـف عـن إِرادَتـه لِأَبْنائـه، فِي الوقْـتِ اَلـذِي كان مِـن الضَّـروريِّ فِيـه القيَـام بِذَلـك، حَتَّـى يَتَمكَّـن النَّـاس مِـن إِطاعَتـه بِسـهولةٍ أَكبَـر؟[20]

رَبَـطَ بِكتِـت صِفـةَ اَلوُضـوح فِي الكتَـاب اَلمُقـدَّس بِإِحْسَـان اَللَّه. فَلأَنَّ اَللَّـه صَالِـح، هَكـذَا كلمتـه هِي عَطيَّـة صَالِحة مِن أَبِينَا السَّـماويِّ لَنَـا كأَوْلاده. إِنَّـه مِـن قبيـل تَدْبِيـرَات عِنايَته اَلسـخِيَّة لِلْحيَاة فِي وسـط عَالَـم ملـيء بِالاضْطـراب والـظَّلاَم أن تَكُون كلمتـه لَنَا كـ «سِـرَاجٍ مُنِيرٍ فِـي مَوْضِـعٍ مُظْلِمٍ» (بُطرُس الثَّانيـة ١: ١٩). وهكذَا فالزَّعْم بِأَنَّ الكتَاب اَلمُقـدَّس بَعُـد أن أُعْطِـي لَنَـا ظَـلَّ مَعْنَاه بعيـدًا عن مُتناولنَـا هُو زَعْمٌ مِـن شَـأنِه أن يُلْقِـي بِـظلال اَلشَّـكِّ على إِحسَـان اَللَّـه الأبَـويِّ، وَهُـو الزَّعْـم «الأَكْثـر سَـخافَة» على حـدِّ تَعبِير بِكتِـت. إِذ إِنَّ أَبَانَا السَّـماويَّ يُحِـبُّ أن يَهـدِي عطايَـاه الصَّالحـة لِأَوْلاده وَألاَّ يَحجبهـا بعيـدًا عـن مُتناولهـم هَكـذَا بِقسْـوةٍ. كمَـا سـأل لُوثَـر إِيرازمـوس: «إِذَا كان الكتَاب اَلمُقـدَّس غامضًـا أو مُبْهمًـا، فمَـا الهدف مِـن إِعْطائنَـا إِيَّاه؟»[21]

اتُّبِعَـت مُقارَبـة مُخْتَلِفـة وَلَكنَّهـا مُكمِّلـة فِـي وَقْـتٍ بَاكِـرٍ مِـن هذَا القـرْن مِـن قِبَـل جُـون وِبسْـتِر. إِذ ربـطَ وُضُـوح الكتَـاب اَلمُقـدَّس بـ

20 Benedict Pictet, *Christian Theology*, trans. Frederick Reyroux (Weston Green: L. S. Seeley, 1834), 48 (emphasis original).

21 Martin Luther, "The Bondage of the Will," in *Luther's Works*, 33:93–94.

«حُضُـور اَللَّـه اَلبـارِق»، وعرَّفـه على أَنَّـه «العمـل اَلـذِي يُؤَدِّيـه اَللَّـه فِـي هـذَا الخـادم المخْلـوق وَمِـن خِلالـه؛ إِذْ إِنَّ كَلِمَـة اَللَّـه، بِقـوَّة الـرُّوح اَلقُـدس، تُنيـر شَـركَة القدِّيسـين وتمكِّنهـم أن يـروا ويحبُّـوا ويعيشـوا حـقَّ الإِنْجيـل».[٢٢] يُعتَبَـر مَفهُـوم وِبسْـتِر عـن هَـذِه اَلصفَة مَفهُومًـا دِينامِيكيًّـا، لِدرجـة أَنَّـه يُوشـك على عـدم اِعْتبارهَـا صِفـة بِالْمَـرَّة. إِذ يَسـتطْرِد قـائلاً: «إِنَّنـا بِقوْلِنَـا إِنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس وَاضِـحٌ نَعنِـي أَنَّ اَللَّـه وَاضِـحٌ بِنـوره الحاضر بِشَكلٍ مُشِـعٍّ فِي يَسُـوع اَلمسِـيح والـرُّوح اَلقُـدس».[٢٣] وفْقًـا لِوِبسْـتِر، فَـإِنَّ وُضُـوح اَللَّـه هُو فِـي الواقع مَـا نَتَحـدَّث عَنْـه بِكلامنَـا عـن وُضُـوح الكتَـاب اَلمُقـدَّس. وَكمَـا كتـب الرَّسـول يُوحنَّـا، فَـإِنَّ «اللهَ نُورٌ وَلَيْسَ فِيـهِ ظُلْمَةٌ الْبَتَّـةَ» (يُوحنَّا اَلأُولى ١: ٥). بِنورِ[ه] نَرَى نُورًا (المزامير ٣٦: ٩). يَتَشـارَك وِبسْـتِر قلق هؤلاء اللاَّهوتيِّيـن الَّذيـن يُحـذِّرون مِـن «عَـزوِ كَمَـالٍ إِلـى اَلنَّـصِّ لاَ يُمْكِـن أن يَتَّصِـف بِـه إِلاَّ اَللَّـه وَحـدَه». سَـيكُون مِن الخطأ (كمَا فعـل لاَهُتيُّو مَا بَعْـد الإِصْلاح فِـي تقْديـره) أن نَجعَـل مِـن اَلوُضوح «خاصِّيَّـة طَبيعِيَّة لِلْكتَـاب اَلمُقـدَّس على مُسـتَوَى نَصِّـه».[٢٤]

ومـع ذَلِـك، فَـإِنَّ القلـق بِشَـأن عَزْل اَلنَّـصِّ عن عمل اَللَّـه لاَ يَجِب أن يقودَنَـا إِلـى التَّراجع عن وَصْـف اَلوُضوح كخاصِّيَّة لِلنَّـصِّ فِي ذَاتِه. وَعلَـى وَجْـه التَّحْديـد فَلأَنَّ اَللَّـه يُلازِم الكتَـاب اَلمُقـدَّس بِاسْـتمْرارٍ، بِحَيـث لاَ يُقـرَأ فِـي غِيابه أو مِن «خَلْـف ظَهرِه»، فَـإِنَّ الكتَاب اَلمُقدَّس يُحقِّـق هَدفَـه ويسْـطع بِنـور الإِنْجيـل. إِنَّ اَلوُضـوح لَيْـس خاصِّيَّـة

22 John Webster, “On the Clarity of Holy Scripture,” in *Confessing God*, Essays in Christian Dogmatics 2 (London: T&T Clark, 2005), 38, 33.

23 Webster, “Clarity of Holy Scripture,” 42 (emphasis added).

24 Webster, “Clarity of Holy Scripture,” 43, 35 (emphasis original).

طَبيعِيَّـة لِلْكتَـاب اَلمُقـدَّس كنـصٍّ. لَكِـنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس هُـو عمـل اَللَّـه التَّواصليُّ/التَّشـاركيُّ، وَلذَلِـك فَهُو يَحمِل سِـمَات شـخْصيَّته. إِنَّها كَلمَـة اَللَّـه المكْتوبـة علـى مِثاله.

غالبًـا مَـا تَكمُـن الصُّعوبـة بِشَـأن اَلوُضـوح كَصفَـة مِـن صِفَـات الكتَـاب اَلمُقـدَّس عِنْـد تَقدِيـم بَعْض الاسْـتنْتاجات الخاطئـة. وهكذَا فَـإِنَّ إدرَاك مَـا لاَ يعْنيـه وُضُوح الكتَـاب اَلمُقدَّس يُسـاعدنَا على صَقْل فهْمنَـا لِمعْنـى اَلوُضـوح الحقيقيِّ.

اَلوُضوح لَيْس هُو نَفسُه البساطة

يُمْكِـن أن يَصِـف الرَّسـول بُطـرُس بَعْـض الأشْـياء فِـي رَسـائِل بُولُـس بِأنَّهَـا «عَسِـرَةُ الْفَهْـمِ» (بُطـرُس الثَّانيـة ٣: ١٦). ومـع ذَلِـك، كمَـا أَشَـار تُوريتِـن، فَـإِنَّ «عَسِـرَةُ الْفَهْـمِ» (*dysnoēta*) لَيسَـت هِـي نَفسـها «مُسْـتحيلة الفهْـم» (*anoēta*).[٢٥] وَيمضِـي بُطـرُس لِيقـول إِنَّ «غَيْـرُ الْعُلَمَـاءِ وَغَيْـرُ الثَّابِتِيـنَ» يُحرِّفـون كلمـات بُولُس، وَهُو اِسْـتنْتاج يَسـتحِيل اَلوُصـول إِلَيـه إِذَا كان المعْنـى الحقيقـيُّ لِكلمَـات بُولُس غَيْرَ مُتَـاحٍ. يُذَكِّرنَـا هـذَا اَلنَّـصُّ بِأنَّ مَـا يُمْكِن تسْـميَته «دَرَجـات الصُّعوبة» فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس هُـو أَمْـرٌ مَعـرُوف مُنْـذ زمـن العهْـد اَلجدِيـد نَفسه .

فِـي القـرْن السَّـادس، شَـبَّه غريغوريـوس اَلكبِيـر Gregory the Great الكتَـابَ اَلمُقـدَّسَ بِنَهـرٍ «ضَحْـلٍ وعميـقٍ علـى حـدٍّ سَـوَاء، قـد يَجِـد فِيـه الحَمَـلُ موْطئًـا لِقَـدم وقد يَسـبَح فِيـه الفيـل». إِنَّ الكتَاب

25 Francis Turretin, *Institutes of Elenctic Theology*, ed. James T. Dennison, trans. George Musgrave Giger, vol. 1 (Phillipsburg, NJ: P&R, 1992), 146 (2.17.15).

اَلمُقـدَّس يُخَاطِـب المسـيحيِّين ويغذِّيهـم فِـي جميـع مَراحِـل الحيَاة وَعلَـى جميـع مُسْـتويات الفهْـم: «إِنَّـه يَحمِـل فِي العلـن مَـا يُمْكِن أن يَتَغـذَّى بِـه الصِّغَار [و] يُخْفِي مَا قد يُذْهِل أَصحَـاب الفكْر اَلرفِيع».[٢٦] كمَـا كتـب أُوغسْـطينوس قَبْـل قرْنيْـنِ مِـن الزَّمَـان، وَرُبَّمَـا كان مُباشِـرًا أَكثَـر، مُسْـتخْدمًا لُغَـةً «أَسـهَل» (*apertioribus*) و«أَكثَـر غُمُوضًـا» (*obscurioribus*): «لِذَلـك فقـد خَطَّط الـرُّوح اَلقُدس بِسـخاءٍ وبشكْلٍ مُفيـدٍ لِلْكتَـاب اَلمُقـدَّس بِطريقـة تَجعلُـه يُشـبِع جُوعنَـا فِـي المقاطع الأسْـهل؛ وَيخـزِي كِبْرياءنَـا فِـي المقاطـع الأكْثـر غُمُوضًـا». وَمضَـى أُوغسْـطينوس يَشـرَح لِمـاذَا لاَ يَنبَغِـي لِهَـذا أن يُثبِط عَزِيمَـة القارئ أو يُقـوِّض اَلثقَـة بِإِمْكانيَّـة اَلوُصـول إِلى مَعنَـى الكتَاب اَلمُقـدَّس: «عمليًّا لاَ يُمْكِـن اِسْـتخْراج أيِّ شَـيْءٍ مِـن تِلْـك النُّصـوص الغامضـة دُون أن نَكتَشِـف أَنَّـه يُقَـال بِوضـوحٍ فِـي مَكَانٍ آخـر».[٢٧] هـذَا هُو المبْـدأ اَلذِي أشـرْنَا إِلَيـه سـابقًا فِـي أَقـوَال لُوثَـر: أَنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس هُـو مُفسِّـر نَفسـه، وأَنَّ مُقَارنَـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس بِالْكتـاب اَلمُقـدَّس هُـو مِفتَـاح لِفَهـمٍ أَفضَـل، كمَـا يَعمَـل كحمايـة مِـن القـراءة بِمفْهـومٍ شَـخصِيٍّ أَحَادِيٍّ.

كمَـا اِعتـرَف «لُوثَـر» بِـأنَّ بَعْـض أَجـزَاء الكتَـاب اَلمُقـدَّس يَصعُب فَهمُهـا أَكثَـر مِـن غيْرهَـا؛ وَفِـي الواقـع، كان هـذَا فِـي نَفْـس السِّـيَاق اَلـذِي أَدلَـى فِيه بِأَقْوى أقْواله بشـأن وُضُـوح الكتَاب اَلمُقـدَّس. حِينمَا ردَّ علـى «تَشـكِيك» إِيرازمـوس، فَكتَـب:

26 Gregory the Great, *Moralia in Job*, to Bishop Leander, para. 4.

27 Augustine, "On Christian Doctrine," trans. J. F. Shaw, in *Nicene and Post-Nicene Fathers*, 14 vols. in series 1, ed. Philip Schaff (repr., Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1979), 2:537 (2.5.8). The translation has been revised.

> إِنَّني أَعتَرف بِالطَّبْع أنَّه يوجَد اَلعديد مِن النُّصوص فِي الكتَاب اَلمُقدَّس غَامِضة ومُبْهَمة، لَيْس بِسَبب جَلالَة موْضوعهَا، وَلكِن بِسَبب جهْلنَا بِمفْرداتهَا وقواعدهَا. لَكِنَّ هَذِه النُّصوص لاَ تُعيق بِأيِّ حالٍ مِن الأحْوال مَعرِفة كُلِّ مَواضِيع الكتَاب اَلمُقدَّس.[٢٨]

إِلى جَانِب عدم إِلْمامنَا باللُّغات اَلتِي كُتِبَت بِهَا اَلكُتب المقدَّسة، رُبَّمَا كان على لُوثَر أن يُضيف اِفْتقارنَا إِلى الإِلْمام بِالْكتاب اَلمُقدَّس كَكُلٍّ، إِذ إِنَّ النُّصوص اللاَّحقة غالبًا مَا تبني على مَفاهِيم النُّصوص السَّابقة وَصورِها. ومع ذَلِك، فَإِنَّ المشْكلة فِي كِلْتَا الحالتيْنِ تَكمُن فِي القارئ وليْس فِي اَلنَّصِّ.

إِنَّ القوْل بِأنَّ الكتَاب اَلمُقدَّس وَاضِحٌ لاَ يَعنِي أَنَّه فِي كُلِّ نُقطَة سَيكُون سهْلاً أو بسيطًا. لَكِن مع ذَلِك، فَإِنَّ هذَا يَختَلِف تمامًا عن القوْل بِأنَّ الكتَاب اَلمُقدَّس قد أُعطِيَ لَنَا بِشَكلٍ يَجعَل الفهْم مُسْتحيلاً أو حَتَّى غَيْر مُحتَمَلٍ.

اَلوُضوح لَيْس هُو نَفسُه الاسْتنارة

اَلوُضوح بِحدِّ ذَاتِه لاَ يَضمَن تَصدِيق اَلكلِمة. فَهذَا يَتَطلَّب أن يَعمَل اَللَّه فِي قَلْب القارئ. إِنَّ الميْلَ الطَّبيعيَّ لِكلِّ قَلْبٍ بَشرِيٍّ هُو تَحدِيد رُؤْيته الكوْنيَّة Worldview الخاصَّة. فَكتَب بُولُس كَيْف أنَّ قَرَار قَمْع اَلحَقِّ وعبادة المخْلوق بدلاً مِن الخالق (اَلذِي اُتُّخِذ أوَّلاً فِي الجنَّة وَلكِن تَردَّد صَدَاه فِي القرارات اَلتِي اُتُّخِذتْ مُنْذ

28 Luther, “Bondage of the Will,” 25.

ذَلِك الحين) أَدَّى إِلى تَفكِيرٍ بَاطِلٍ وَقلُوبٍ مُظْلِمةٍ وحمْقَاء (رُومية ١: ٢١). كمَا تَحدَّث عن كَيْف أنَّ «إِلهُ هذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ» (كُورنثوس الثَّانية ٤: ٤). يقودنَا هذَا إِلى الاسْتنْتاج بِأنَّ «الإِنْسَانَ الطَّبِيعِيَّ لاَ يَقْبَلُ مَا لِرُوحِ اللهِ لأَنَّهُ عِنْدَهُ جَهَالَةٌ وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَعْرِفَهُ لأَنَّهُ إِنَّمَا يُحْكَمُ فِيهِ رُوحِيًّا» (كُورنثوس اَلأُولى ٢: ١٤). إِنَّ فَهْم الكتَاب اَلمُقدَّس لَيْس مُجرَّد رِياضة فِكْريَّة؛ بل هُو أَمْرٌ أَخْلاقيٌّ وَروحِيٌّ أيْضًا. تَحدَّث لُوثَر عن عَقَبات «العمى أو الكسل».[٢٩]

إِنَّ الرُّوح هُو مَن يُلاَزِم اَلكلِمة فِي كُلِّ لَحظَةٍ، إِذ هُو مَن مَكَّن مِن كِتاباتهَا فِي الأَسَاس، وَهُو مَن يحْفرهَا فِي ذِهْن وضمير وقَلْب اَلمُؤمن. الرُّوح هُو «رُوحَ الْحِكْمَةِ وَالإِعْلاَنِ فِي مَعْرِفَتِهِ» (أَفَسُس ١: ١٧). إِذ يَمحُو العمى وَيشرِق فِي قُلوبِنَا «لإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (كُورنثوس الثَّانية ٤: ٦). وَكمَا كان الرُّوح عاملاً فِي خِدْمَة الرُّسل فِي حَديثِهم وكتاباتهم، فَهُو يَعمَل أيْضًا فِي قَبُول كلماتهم: «لِنَعْرِفَ الأَشْيَاءَ الْمَوْهُوبَةَ لَنَا مِنَ اللهِ، الَّتِي نَتَكَلَّمُ بِهَا أَيْضًا، لاَ بِأَقْوَال تُعَلِّمُهَا حِكْمَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ، بَلْ بِمَا يُعَلِّمُهُ الرُّوحُ الْقُدُسُ، قَارِنِينَ الرُّوحِيَّاتِ بِالرُّوحِيَّاتِ»[٣٠] (كُورنثوس الأولى ٢: ١٢-١٣).

أَعطَى جُون كَالفِن قَدْرًا كبيرًا مِن الأهمِّيَّة لِهَذا التَّبَصُّر. وَشرَح مَا يعْنيه أن نَقُول إِنَّ الكتَاب اَلمُقدَّس مُوثَّق بِذاته، فَكتَب:

إِنَّ اَليقِين اَلذِي يَستحِقُّه الكتَاب اَلمُقدَّس مِنَّا، يَتَحقَّق

29 Luther, "Bondage of the Will," 25, 27.

٣٠ يمكن ترجمة هذا النصّ بمعنى «مُفسِّرين الحقائق الروحيَّة لأناسٍ روحيِّين»؛ (المُتَرجِم).

بِشهادة الـرُّوح. لِأَنَّه حَتَّى إِذَا أَجْبرَنَا على توْقيره بِفعْلِ جَلالِه، فَإِنَّه يُؤثِّر عليْنَا بِشَكلٍ جادٍّ فقط عِنْدمَا يَختِم على قُلوبِنَا بِفعْل الـرُّوح [...]

إِنَّ الإيمانَ الحقيقيَّ اَلوحِيد هُو ذاك الإيمان اَلذِي يخْتمه رُوح اَللَّه فِي قُلوبِنَا.[٣١]

كان كَالفِن على اِسْتعْدادٍ لِتحْدِيد بَعْض اَلأدِلَّة المؤكَّدة لِحقيقة الكتَاب اَلمُقدَّس وأهمِّيَّته وسلْطَته (على سبيل المثَال: جلاله وقِدَمه وَقوَّته فِي حَيَاة أُولئك الَّذين يقْرؤونه؛ المعْجزات المصاحبة لَه وَتحقِيق النُّبوَّات؛ حِفْظه عَبْر اَلقُرون؛ وَشَهادَة الكنيسة واعْتراف الشُّهداء). ومع ذَلِك، وَحتَّى بَعْد تَحدِيد هَذِه اَلأُمور، عاد كَالفِن إِلى هَذِه القناعة الأساسيَّة: «إِنَّ الكتَاب اَلمُقدَّس سَوْف يَكُون كافيًا فِي النِّهاية لِمعْرِفة اَللَّه الخلاصيَّة فقط عِنْدمَا يَقُوم اَليقِين على الإقْناع الدَّاخليِّ بِفعْل الـرُّوح اَلقُدس».[٣٢] إِنَّ شَهادَة الكتَاب اَلمُقدَّس لِذاته بالْموثوقيَّة هِي مِن عمل رُوح اَللَّه مِن البدَاية إِلى النِّهاية، وَهِي مُهمَّة جِدًّا إِذَا كان الكتَاب اَلمُقدَّس سَيظَلُّ هُو السُّلْطة النِّهائيَّة حَتَّى فِي مَسْأَلة اَلحُكم على طبيعَته. وهكذَا نَحْن مُقْتنعون بِأَنَّ «اَللَّه يَتَكلَّم شخْصيًّا فِي [الكتَاب اَلمُقدَّس]».[٣٣]

تَعمَل إِنارة الـرُّوح أَيْضًا على شَرْح سِيادة اَللَّه المسْتمرَّة فِي

31 John Calvin, *Institutes of the Christian Religion*, ed. John T. McNeill, trans. Ford Lewis Battles (Philadelphia: Westminster, 1960), 1.7.5.

32 Calvin, *Institutes*, 1.8, esp., 1.8.13.

33 Calvin, *Institutes*, 1.7.4.
راجع إقرار إيمان وستمنستر، والذي تحدَّث عن «عمل الروح القدس الداخليّ، شاهدًا في قلوبنا بواسطة الكلمة ومن خلالها» (١. ٥).

الإعْلان عـن نَفسِـه مِـن خِلاَل الكتَـاب اَلمُقـدَّس وفيـه. إذ تُحقِّـق كَلمَة اَللَّـه دائمًـا الغـرضَ اَلـذِي أرْسـلَهَا اَللَّـه مِـن أَجلِـه، لَكِـن الغـرض قـد يَختَلِـف مِـن مَوقِـفٍ إلـى آخر. فستكون كَلمَة الحيَـاة حَيْث يَشَـاء اَللَّه لَهَـا أن تَكُـون كَذلِـك، لَكِنَّهَـا سَـتُثبِت دَينُونـة اَللَّـه فِـي الآخريـن. إنَّ رَفْـض البعْـض لِكلمة اَللَّه -سَـوَاء قِيلتْ هَـذِه اَلكلِمـة أو كَانَت مَكتُوبة- هُـو قرارهـم اَلْخـاصُّ، وَهُم مسْـؤولون عَنْـه بِالْكامل. ومـع ذَلِك، فِي مِثْـل هَـذِه الحـالات، فَـإِنَّ اَلكلِمـة المُقدَّمـة لَهُـم هِـي فِـي حـدِّ ذاتهَا شَـهادَة ضِدَّهم.

هَكـذَا تَحـدَّث الرَّسـول بُولُـس عـن خِدْمتـه علـى أَنَّهَـا «رَائِحَـةُ اَلمَسِـيحِ» اَلتِـي يتلقَّاهَـا أُولئـك «الَّذِيـنَ يَهْلِكُـونَ» علـى أَنَّهَـا «رائِحَـةُ مَـوْتٍ لِمَـوْتٍ» و«رَائِحَـةُ حَيَـاةٍ لِحَيَـاةٍ» مِـن قِبَـل «الَّذِيـنَ يَخْلُصُـونَ» (كُورنثـوس الثَّانيـة ٢: ١٥-١٦). كمَـا اِلتفَـت يَسُـوع نَفسـه إلـى تَكلِيـف إشـعياء، وَالـذِي اِنطـوَى على الوعْظ إلى شَـعْبٍ يَسـمَع دائمًـا وَلكِن لاَ يَفهَـم ولاَ يـرى ولاَ يُـدْرِك أبدًا، لِيشْـرح كَيْف أنَّ أمْثالـه هِي طَرِيقَة فِي الـكلاَم تُسَـاعِد البعْـض على الفهْم وَلَكنَّهَـا تَقِف عائقًا لَـدى الآخرين فِـي طريـق فَهمِهِـم (إشـعياء ٦: ٩-١٠؛ مَرْقُـس ٤: ١١-١٢؛ زَكَريَّـا ٧: ١٢).

لاَ يَعنِـي ذَلِـك وُجُـودَ بَعْـض النَّقْـص فِـي اَلكلِمـة المنْطوقـة أو المكْتوبـة. بـل الرُّوح هُو اَلذِي يَأتِي بِالْـولادة الجديدة (يُوحنَّا ٣: ٥-٨؛ ٦: ٦٣)، ويُلَيِّـن اَلقُلـوب (المزْمـور ٥١: ١٧؛ حزْقيَـال ٣٦: ٢٦؛ كُورنثوس الثَّانيـة ١: ٢٢)، ويسـاعدنَا أن نَعتَـرِف أنَّ «يَسُـوعَ رَبٌّ» (كُورنثـوس اَلأُولـى ١٢: ٣) وأن نَدعُـو اَللَّـه «أبَـا اَلآبْ» (رُوميـة ٨: ١٥). وَهُـو الرُّوح نَفسُـه اَلـذِي يَعمَـل عِنْدمَـا تُسـمَع كَلمَـة اَلحَقِّ ويُؤمَـن بِهَا (أَفَسُـس ١: ١٣). لَخَّـص كَالفِـن الأمْـر بِهَـذه الطَّرِيقـة: «لِذَلـك فَـإِنَّ الـرُّوح نَفسَـه

اَلـذِي تَكلَّـم مِـن خِلاَل أَفـوَاه الأَنْبيـاء يَجِب أن يَختَـرِق قُلوبَنَـا لِإقْناعنَا بِأَنَّهـم أعْلنـوا بِأمانـةٍ مَا أمـرَ بِـه اَللَّه».[٣٤]

لاَ يَضمَن اَلوُضوح فَهْمَ كُلِّ شَيْءٍ دُفعَةً وَاحِدةً

إِنَّ وُضُـوح الكتَـاب اَلمُقـدَّس لاَ يَعنِـي أَنَّ كُلَّ مَـا يُقَـال فِـي أيِّ نـصٍّ كِتابـيٍّ سَـيكُون مَعرُوفًـا علـى الفـوْر وبـشكْلٍ كَامِـلٍ عِنْـد القـراءة اَلأُولـى. فهنـاك دائمًـا مَجَـال لِلنُّمـوِّ فِـي فهْمنَـا. هَكـذَا فَـإِنَّ الإِلْمـام الأكْبـر بِالنَّـصِّ وَلغَتِه وسـياقه، بِالْإِضافـة إِلى مُقارنته بِنصـوصٍ أُخرَى فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس، غالبًـا مَـا يُؤدِّي إِلـى فَهْمٍ أَكبَـر. وَهـذَا لاَ يَنَال مِـن وُضُـوح اَلنَّـصِّ بِـأيِّ شَكْلٍ مِـن الأشْكال.

لَقـد صَلَّـى الرُّسـل لِكـيْ يَنمُـو أُولئـك الَّذيـن يكتُبـون إِلَيْهـم فِـي المعْرفـة والْفَهْـم (كُولوسِّـي ١: ٩؛ بُطـرُس الثَّانيـة ٣: ١٨). فَعلَـى أَيَّـة حـالٍ، قـد حَظُـوا هُـم أَنفُسـهم بِنموٍّ فِـي فَهمِهِـم، خَاصَّةً فِـي ضَوْء القيامـة (يُوحنَّـا ١٢: ١٦؛ ١٣: ٧؛ ٢٠: ٩). وقـد توقَّعـوا نُمُـوًّا نَحْو النُّضْج يَتَضمَّـن نُمُـوًّا فِـي الفهْـم (كُورنثـوس اَلأُولى ١٤: ٢٠؛ أَفَسُـس ٤: ١٣؛ العبْرانيِّيـن ٥: ١١-٦: ٣؛ بُطـرُس الثَّانيـة ٣: ١٨).

ومـع ذَلِـك، فقـد نمَـا فَهْـم التَّلاميـذ لِأَنَّ عمـل اَللَّـه الافتْدائـيَّ والْإِعْلانـيَّ قـد اِكتمَـل. وقـد كَانَـت هُنَـاك بَعْـض الأشْـياء اَلتِـي لَـم يتمكَّنـوا مِـن فهْمهَـا إِلاَّ بَعْـد القيامـة وَحلُـول الـرُّوح اَلقُـدس فِـي يَـوْم الخمْسـين. وبالْمثْـل، مِـن الواضـح أَنَّ الخَصِـيَّ الحبَشـيَّ قـد فَهِـم أَنَّ اَلنبِـيَّ إِشـعياء قـد تَحـدَّث عـن شَـخْصٍ سـيتأَلَّم مِـن أَجْـل

34 Calvin, *Institutes*, 1.7.4.

خطايَا الآخريـن، وَلكِـن فقـط بَعْـد أن «فَتَـحَ فِيلُبُّـسُ فَـاهُ وابْتَـدَأَ مِـنْ هـذَا الْكِتَـابِ فَبَشَّـرَهُ بِيَسُـوعَ» (أَعمَـال الرُّسـل ٨: ٣٥). وَبمُجـرَّد وَضْع القطْعـة الأخيـرة فِـي مَكانِهـا، ظَهـرَت الرِّسـالة كَكُلٍّ، وَطلَـب الرَّجـل الحبَشـيُّ علـى الفـوْر أن يَعتَمِـد كَتابِـعٍ لِيسـوعَ. إِنَّنـا فِـي هَـذِه الأيَّام الأخيـرة نَقِـف فِـي مَوضِـعٍ مُخْتَلِـفٍ فِـي جَدوَل اَللَّـه الزَّمَنـيِّ عن هؤلاء التَّلاميـذ قَبْـل اَلمسِـيح وَحتَّـى الخَصِـيِّ الإثْيوبـيِّ، الَّذيـن كان لَديهِـم العهْـد اَلقدِيـم فقـط. فمـع وُجُـود كُلٍّ مِـن العهْـد اَلقدِيـم والْجديد فِـي أَيدِينـا، لَسـنَا بِحاجة إِلـى أيِّ إِعلانٍ آخر، لَكِنَّنَا قـادرون على النُّموِّ فِـي فهْمنَـا لِلْكلِمـة اَلتِـي أُعطِيَـت لَنَـا. وَتظَـلُّ صَلاَة كَاتِـب المزْمور هِي نَفسـها صَلاَة الإنْسـان المسـيحيِّ:

اكْشِفْ عَنْ عَيْنَيَّ فَأَرَى عَجَائِبَ مِنْ شَرِيعَتِكَ.

(المزامير ١١٩: ١٨)

اَلوُضوح لاَ يَجعَل مِن التَّعْليم أو المعلِّمين أو الدِّراسَة أمْرًا ثَانوِيًّا

إِذَا كان الكتَـاب اَلمُقـدَّس واضحًـا جِـدًّا، فلمـاذَا نَحْتـاج إِلـى مُعلِّمِيـن؟ لِمـاذَا يَقضِـي النَّـاس حياتَهـم فِـي دِراسَـتِه؟ يكمُن جُـزْءٌ مِن الإجابـة عَـن هَـذِه الأسْـئلة فِـي الإجابـة عـن السُّـؤَال السَّـابق: هُنَـاك دائمًـا مَجَـالٌ لِلنُّمـوِّ فِـي فهْمنَـا، وقـد أعْطانَا اَلمسِـيح القائم مِـن بَيْن الأمْـوات مُعلِّمِيـن لِيسـاعدونَا فِي هـذَا النُّموِّ (أَفَسُـس ٤: ١١-١٤). يَجِب أن تَقُـوم خِدْمَـة اَلمُعلِّـم علـى مَعرِفـة عَمِيقَـة بِالْكلمـة. وهكـذَا كتب بُولُـس إِلى تِيموثـاوس قائلاً: «اعْكُفْ عَلَـى الْقِرَاءَةِ وَالْوَعْـظِ وَالتَّعْلِيمِ»

(تِيموثاوس اَلأُولى ٤: ١٣). كمَا أَوصَاه قائلاً: «لاَحِظْ نَفْسَكَ وَالتَّعْلِيمَ» (تِيموثاوس اَلأُولى ٤: ١٦). لَكِنَّ وَاقِع الحيَاة، فِي كُلِّ مِن أَيَّام العهْد اَلجدِيد وَعصرِنا، يُواجهنَا بِحقيقة أَنَّه لَيْس لَدى جميع النَّاس الوقْت أو اَلقُدرة على دِراسة اللُّغَات الكتابيَّة، أو الانْغماس فِي الكتَاب اَلمُقدَّس حَتَّى يفْهموا بِعمْق الطَّريقةَ اَلتِي تُفسِّر بِهَا أَجزَاء مُختلفَة مِن الكتَاب اَلمُقدَّس أَجزَاءً أُخرَى، أو أن يُطوِّروا مِن مهارتهم فِي اِمتِحان التَّطوُّرات الحاليَّة فِي العالم وَفِي الكنائس ضِدَّ تَعالِيم الكتَاب اَلمُقدَّس. إِنَّه مِن الواجب أنَّ يَتحذَّر المعلِّمون مِن أن يُصْبحوا طَبقَة كهنوتيَّة جَدِيدَة، وأن يروا أَنفُسهم بِطريقةٍ مَا على أَنَّهُم وُسَطاء بَيْن كَلمَة اَللَّه وشعْب اَللَّه. إِذ يُخَاطِب اَللَّه شَعبَه بِشَكلٍ مُبَاشِرٍ وَفَعَّالٍ فِي الكتَاب اَلمُقدَّس. لَكِن مع ذَلِك، قُصِدَ بِالْمعلِّمين أن يكونوا عطايَا صَالِحة لِكنيسة اَللَّه لِمساعدة شَعْب اَللَّه على أَخْذ كَلمَة اَللَّه على مَحمَل اَلجِدِّ والاسْتجابة لَهَا بِشَكلٍ مُنَاسِبٍ.

جُزْءٌ آخر مِن الإجابة هُو أنَّ الحيَاة المسيحيَّة لَم يَقصِد بِهَا أبدًا أن تَكُون حَيَاةً اِنْعزاليَّةً. كان الأَمْرُ أَبعَد مَا يَكُون عن «وَحدِي مع الكتَاب اَلمُقدَّس». هذَا هُو السَّبب فِي أنَّ تعْريفات اَلوُضوح الكتابيِّ اَلتِي تُؤكِّد على «اَلحَقِّ فِي اَلحُكم اَلشخْصِيِّ» هِي فِي النِّهاية غَيْر مُفيدَة.[٣٥] إِذ إِنَّ مَيلي الطَّبيعيَّ لِإِسْقَاط ثقافَتي وتفْضيلاتي على اَلنَّصِّ أو لِلاعْتداد بِقراءتي الشَّخْصيَّة هُو أَمْرٌ يَحْتاج إِلى أنْ يتحدَّاه شُرَكائِي أَعضَاء جسد اَلمسِيح. عِنْدمَا اِكتشَف لُوثَر أنَّ «بِرَّ اَللَّهِ» فِي رُومية ١ يَعنِي عَطيَّة اَلبِرِّ اَلتِي قدَّمهَا اَللَّه، كَانَت غريزَته اَلأُولى هِي

35 E.g., Charles Hodge, *Systematic Theology*, 3 vols (1871; repr., Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1973), 1:183.

البحْـث عَمَّـا إِذَا كان أيُّ شَـخْصٍ قـد رأى هـذَا مِـن قَبـل، لَيْـس كدليلٍ على أَنَّـه كان على حـقٍّ، وَلكِـن كَتأكِيـدٍ على أَنَّـه لَـم يَختَرِع شـيْئًا لَم يـره أحـدٌ مِـن قَبْل فِـي اَلنَّصّ.[٣٦]

إِنَّنـا نَقـرَأ الكتَـاب اَلمُقـدَّس بِصحْبـة آخريـن -بَعضُهـم سَـبَقونَا، والْبَعْـض الآخـر يقْرؤونـه إِلـى جَانِبنـا. إِنَّنـا نقْـرأه وسـط كَنِيسَـة، لَيْس بِمعْنـى أنَّ لِلْكنيسـة بَعْـض السُّـلْطة على الكتَـاب اَلمُقـدَّس، بـل بِمعْنـى أنَّ شَـركَة شَـعْب اَللَّه هِي السِّـيَاق المناسـب اَلـذِي نُحقِّق فِيه أَكثَـر اِسْـتفادة مِـن قِـراءة كَلمَة اَللَّـه. لَقد كُتِبَـت مُعظَم رَسـائِل بُولُس إِلـى الكنائـس؛ وهكـذَا تَوقَّع أن تُقـرَأ الرَّسـائل عِنْدمَا تَجتَمِع الكنيسـة معًـا، ثُـمَّ تُشـاركهَا مـع الكنائس اَلأُخـرى (كُولوسِّـي ٤: ١٦). وَفِـي كثيرٍ مِـن الأَحْيـان كان يطبِّـق حَقائِـق الإِنْجيـل العظيمـة على **الجماعـة** لاَ **الفـرد**. يُمْكِـن لِلْمعلِّميـن أن يُسـاعدونَا بِـأن يذكِّرونَـا بِهَـذا، وَهُـم فِي هـذَا يتحـدَّوْن نزْعتنَـا لِتجنُّـب تحدِّيَـات الكتَـاب اَلمُقـدَّس وإِحْجامنَـا عـن أن نَتـرُك تعْليمـه يُـشكِّل لَدَيْنـا تَلمـذَةً تَتَميَّـز بِالتَّوْبـة المتَّضعـة والْإِيمـان. إِذ يُمْكنهـم لَفـت الانْتبـاه إِلـى تِلْـك النِّقَـاط الأَكْثـر إِلْحاحًـا وَالتِـي يَتَقاطَـع فِيهَـا نصٌّ مُعيَّن مـع الحيَاة الحاضرة. إِنَّ كِتابًا مُقَدَّسًـا واضحًـا، يُرافِقـه رُوح اَللَّـه، وَيعلِنـه وَيخدِمـه مُعلِّمـون أُمَنـاء؛ هَـذِه كُلُّهَـا علامَـات على مَحبَّـة اَللَّـه المسْـتمرَّة لِشـعْبه ورعايتـه لَهُم.

---

36 Martin Luther, “Preface to the Complete Edition of Luther’s Latin Writings,” in *Luther’s Works*, 34:337

أصرَّ لوثر قائلاً: «لست الوحيد، أو حتَّى أوَّل من قال إنَّ الإيمان وحده يبرِّر. لقد قالها أمبروزيوس قبلي، وكذا أوغسطينوس وآخرون كثيرون».

Luther, “On Translating: An Open Letter,” in *Luther’s Works*, 35:197.

اَلوُضوح لاَ يَضمَن الاتِّفاق الجامع حَوْل المعْنَى

وَلكِن كَيْف يُمْكِن أن يَكُون الكتَاب اَلمُقدَّس واضحًا فِي ظِلِّ وُجُود مِثْل هذَا الجدل والاخْتلاف بَيْن المسيحيِّين حَوْل مَعْنَاه وتطْبيقه فِي الحيَاة المسيحيَّة؟ فِي المقَام الأوَّل، لاَ يَنبَغِي أن يُفاجئنَا هذَا الخلاَف. فقد حَذَّر يَسُوع والرُّسل مِن أنَّ الأيَّام الأخيرة سَتكُون وقْتًا يَكُون اَلحَقُّ فِيه مَوضِعَ خِلاَفٍ (مَتَّى ٢٤: ١١-١٢؛ تِيموثاوس اَلأُولى ٦: ٢-٥؛ بُطرُس الثَّانية ٢: ١-٣). سَيكُون هُنَاك مُعلِّمون كَذَبَة وأنْبياء كَذَبَة، وستكون المسْؤوليَّة الخاصَّة لِشيوخ شَعْب اَللَّه هِي أن يَحرُسوا، بل ويجْتهدوا مِن أَجْل «الإِيمَانِ الْمُسَلَّمِ مَرَّةً لِلْقِدِّيسِينَ» (تِيموثاوس اَلأُولى ٦: ٢٠؛ يَهُوذَا ٣). لَقد حَذَّر بُطرُس، كمَا رأيْنَا، مِن كَيفِيَّة قِيَام بَعْض النَّاس «بِتَحْرِيفِ» أَشيَاء فِي رَسائِل بُولُس (بُطرُس الثَّانية ٣: ١٦). إِنَّها اِسْتراتيجيَّة الشِّرِّير التَّليدة أن يَستخْدِم كَلمَة اَللَّه بِطرقٍ تُعزِّز اَلشَّكَّ وتشجِّع على العصْيان (التَّكْوين ٣: ١-٥؛ متَّى ٤: ٦). بَعْض الخلاَف هُو نِتَاج هذَا الصِّرَاع بَيْن كَلمَة اَللَّه وكلمَات أُخرَى فِي الأيَّام الأخيرة.

ومع ذَلِك، فَإِنَّ قِراءتَنَا لاَ تَنطَوِي على اَلنَّصِّ وَحدَه، إذ يُمْكِن لِعوامل أُخرَى تَتَعلَّق بِالْخلْفيَّة أن تُغذِّي وُجهات نظرٍ مُختلفَة وانْقساماتٍ. فِي بَعْض الأحْيان، وبِبساطةٍ شَدِيدَة، يَنشَأ الخلاَف مِن سُوء الفهْم أو مِن عدم الإلْمام بِمَا يقوله اَلنَّصُّ بِالْفِعْل أو بِكيْفِيَّة اِنسِجام تعاليمه مع بَقيَّة الكتَاب اَلمُقدَّس. فَقْد تُؤدِّي قِراءة خَاطِئة سَابِقة (قِراءتنَا أو قِراءة الآخرين الَّذين أَثَّرُوا فِينَا) إِلى تَضلِيل قِراءاتنَا اللاَّحقة. وقد تَكُون قِراءتنَا لِلنَّصِّ مِجْهرِيَّة، دُون إِيلاَء الاعْتبار الواجب لِلسِّيَاق أو علاقَته بِالنُّصوص اَلأُخرى فِي

لاَئِحـة الأسْـفار القانونيَّة. قد تَكُـون التَّرْجمة اَلتِي نسْـتخْدمهَا خَاطِئة، كمَـا كان اَلْحـال فِـي وَقْـت الإصْلاح عِنْدمَـا أَخطَـأت التَّرْجمـة اللاَّتينيَّة المعْتمـدة فِـي تَرجمَـة اَلكلِمـة اليونانيَّـة المُسْـتخْدَمة لِوَصـف التَّوْبة، وتـمَّ بِنَـاء مُمَارسَـة كَامِلـة لِلتَّوْبـة عليْهَـا. قـد يَكشِـف الانْتبـاه اَلدقِيـق لِلنَّـصِّ أنَّ أحـد طَرَفَـي الـخلاَف مُخْطِـئ.

كمَـا يَنشَـأ بَعْـض الـخلاَف مِن أُطُـر مُختلفَـة يُسْـقطهَا النَّاس على قِـراءة الكتَـاب اَلمُقـدَّس. مِثَالٌ سَـهْلٌ هُو ذاك الشَّـخْص اَلـذِي يَقتَرِب مِـن نـصِّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس مُقْتنِعًـا بِـأنَّ اَللَّـه لاَ يُرِيـد أن يَتَدخَّـل (أو لِسَـبب مَـا لاَ يَسـتطِيع أَنْ يَتَدخَّـل) فِي نِظَـام الخَليقة. نَتِيجَـةً لِذَلك، قـد يَكُـون مِثْـل هـذَا الشَّـخْص ميَّـالاً إلَـى رَفْـضِ الرِّوايـات الكتابيَّـة لِلْأحْـداث المُعْجزيَّـة أو الخارقـة لِلطَّبيعـة بِاعْتبارهَا تفْسـيرات بُدائِيَّة لِلْأشْـياء اَلتِـي نَعـرِف الآن أَنَّهَـا ظَاهِـرة تَحـدث بِـشَكلٍ طَبيعِـيٍّ. مِثْـل هـذَا الشَّـخْص سـيطْلب تفْسـيرًا طَبيعِيًّا لِعبـور البحْر فِـي اَلخُروج ١٤ (ظَاهِـرة أَرصَـاد جَوِّيَّـة غَيْـر عَادِيَّـة، وَلَكنَّهَـا غَيْـر مَعرُوفـة)، وإطْعَـام الخمْسـة آلاف فِـي مَتَّـى ١٤ (الكَـرَم اَلمُضَحِّـي لِلصَّبـيِّ دَفَـعَ الآخريـن إلـى مُشَـاركَة طَعَامِهـم أيْضًـا)، أو حَتَّـى قِيامـة يَسُـوع فِـي يُوحنَّـا ٢٠ (كان لَـدى التَّلاميـذ إِحسَـاسٌ بِـأنَّ يَسُـوع لاَ يَـزَال مَعهُـم حَتَّـى بَعْـد الصَّلْـب والدَّفْـن). قد تَكُـون اَلأُطـر المرْجعيَّة المخْتلفة فَلسـفِيَّة (كمَا فِـي هَـذِه الأمْثلـة)، وَلكِـن يُمْكِـن تحْديدهَـا أيْضًـا مِـن خِلاَل الإجْمـاع الثَّقافـيِّ الحالـيِّ، واسْـتنْتاجات العلـم اَلحدِيـث، والنَّتائـج المؤكَّـدة لِلدِّراسـة الكتابيَّـة واللاَّهوتيَّـة، والتَّقْليـد الطَّائفـيِّ اَلـذِي نَلتَـزِم بِه، أو حَتَّـى تفْضيلنَـا اَلشـخْصِيِّ وأهْدافنَـا (إِذَا كان اَلنَّـصُّ يَقُول شـيْئًا مَا فِي حَقِيقتِـه، فقـد يمْنعنـي هـذَا مِـن فِعْـل مَـا أُريـد القيَـام بِـه، لِذَلـك

يَجِب أن يَعنِي شيْئًا آخر).

يَنشَأ الخلاَف أحْيانًا مِن مُحَاولَة جَعْل اَلنَّصّ يَقُول أَكثَر مِمَّا يَقُول فِي الواقع، لِسَبب أو لِآخر. هل يُلْزِمنَا الكتَاب اَلمُقدَّس بِشَكلٍ وَاحِدٍ، وَشَكلٍ وَاحِدٍ فقط، مِن نِظَام إدارة الكنيسة (النِّظَام الأسْقفيّ، أو المشْيخيّ، أو نِظَام حُكْم الجماعة المسْتقلَّة Congregational)؟ هل يَفرِض وضْعًا مُعَيَّنًا لِلْمعْموديَّة (الغَمْر أو اَلرَّشّ) أو نَمُوذَجًا وَاحِدًا لِلْخدْمة (الكارز المتجوِّل، رَاعِي الكنيسة العائليَّة، قَائِد فريق الكنيسة اَلكُبرى)؟ فِي بَعْض المجالات، يُشجِّع الكتَاب اَلمُقدَّس اَلحُرِّيَّة المسيحيَّة اَلتِي تُمَارَس فِي مَحبَّة (كالْختان، الطَّعَام اَلمُقدَّم لِلْأوْثان، وَحتَّى الأكْل النَّباتيّ - رُومية ١٤: ٢؛ كُورنثوس اَلأُولى ٧: ١٩؛ ٨: ٨-٩؛ غَلاطِيَّة ٥: ٦؛ ٦: ١٥). وَفِي مجالاَت أُخرَى، نرى الكتَاب اَلمُقدَّس صَامِتًا بِبساطةٍ. (مَاذَا حدث عِنْدمَا بدأ الجيل الأوَّل مِن المهْتدين لِلْإيمان فِي إنجَاب الأطْفال؟ كَيْف اِسْتجابوا لِارْتفاع مُعدَّل وَفَيات الرُّضَّع؟) غالبًا مَا نَرغَب فِي رَبْط الأشْياء بِإحْكَامٍ أَكثَر مِمَّا يَفعَل الكتَاب اَلمُقدَّس، سَوَاء مِن حَيْث اللاَّهوت أو مِن حَيْث الممارسة، وأحْيانًا نَطرَح أَسئِلةً لَم يَكُن مَقصُودًا لَهَا أن تَحظَى بِإجابةٍ مُطْلقًا.

المغْزى هُنَا هُو أنَّ الخلاَف يُمْكِن أن يَنشَأ لِعَددٍ كبيرٍ مِن الأسْباب. لَيْس لَنَا أن نَستنْتِج أَنَّه بِسَبب وُجُود الخلاَف، فَإِنَّ الكتَاب اَلمُقدَّس غَيْر وَاضِحٍ. بل بِالْأحْرى، يَجِب أن نُوجِّه اِنْتباهنَا إِلى الغرض مِن تَأكِيد وُضُوح الكتَاب اَلمُقدَّس، وَهُو تَشجِيع جميع المسيحيِّين على قِراءة الكتَاب اَلمُقدَّس بِأنْفسهم وَبِثقَةٍ. فَهُو عَطيَّة اَللَّه لَنَا، ولسْنَا بِحاجة إِلى الاقْتراب مِنْه خَائفِين مِن صُعُوبَة فَهمِه.

إِنَّ أبانَا السَّماويَّ يُحبُّنَا، ولديْه مَا يقوله لَنَا، وَهُو قَادِرٌ على فعل ذَلِك بِكفاءة فِي هَذِه الكلمات.

حَقَّانِيَّة الكتَاب اَلمُقدَّس

إِنَّ حَقَّانِيَّة الكتَاب اَلمُقدَّس والْمصْطلحات المرْتبطة بِهَا مِثْل **العصْمة والسَّداد Inerrancy and infallibility**، كَانَت نُقطَة مِحْورِيَّة لِلْجدل مُنْذ عَصْر التَّنْوير فِي القرْنيْنِ السَّابع عشر والثَّامن عشر، وَخَاصَّةً مُنْذ ظُهُور الدِّراسات الكتابيَّة النَّقْديَّة فِي أَواخِر القرْن التَّاسع عشر.[٣٧] إِنَّ الكتابات عن هَذِه اَلصفَة وحْدهَا لِلْكتَاب اَلمُقدَّس هِي هَائِلة. على الرَّغْم مِن سُهُولَة إِثبَات أَنَّه تمَّ التَّأْكيد عليْهَا فِي كُلٍّ مِن التَّقاليد الكاثوليكيَّة والْبروتسْتانْتيَّة والْأَرْثوذكْسيَّة مُنْذ البداية، فَإِنَّ الجدل حَوْل مَعنَى أن تَقُول «كلامك هُو حقٌّ»، مع إِشارة خَاصَّة إِلى اَلكلِمة المكْتوبة، قد اِحتدَم فِي القرْنيْنِ ونصْف القرْن الماضيْنِ.[٣٨] وقد أَدرَك الكثيرون أنَّ هُنَاك أُمورًا

٣٧ استُخدِم مُصْطلحَا «السداد Infallibility» (لا يخفق) و«العصمة Inerrancy» (لا يخطئ) بالتبادل عبر تاريخ العقيدة. فقط في منتصف القرن العشرين بدأ التفريق بين المُصطلحَينِ، مع إصرار مناصري السداد على أنَّ الكتاب المقدَّس لن يخفق في ما يريده الله له، ولكنَّهم يتراجعون عن الاقتناع بأنَّ الكتاب المقدَّس خالٍ تمامًا من الخطأ.

٣٨ قائمةٌ بأهمِّ التأكيدات تشمل:

Augustine, "Epistle 82" (to Jerome) 3 (*NPNF* 1/1:350):

«خالٍ تمامًا مِن الخطَأ»؛

Hugh of Saint Victor, *On Sacred Scripture and its Authors*, 1, trans. F. van Liere, in *Interpretation of Scripture: Theory*, ed. F. T. Harkins and F. van Liere (Turnhout, Brepols, 2012), 213:

«كلُّ ما عُلِّم فيه هو الحقُّ؛ وكلُّ ما كُتِب فيه هو الخير؛ وكلُّ ما وُعِد فيه هو الفرح»؛

John Wycliffe, *On the Truth of Holy Scripture* 2.18, trans. I. C. Levy (Kalamazoo: Western Michigan University, 2001), 251:

«إنَّ سلطة الكتاب المقدَّس تتَّسم بالعصمة، ليس فقط لأنَّها لا تخدع أحدًا في الواقع، ولكن لأنَّها لا تستطيع أبدًا خداع أيِّ شخصٍ. [...] ويبقى الكتاب المقدَّس حقَّانيًّا في مجمله»؛

جَلِيلَـة علـى المحـكِّ. إذ تَلعَـب حَقَّانِيَّـة الأَسـفَار اَلمُقدَّسـة أو عدمهَـا دوْرًا رَئِيسِـيًّا فِـي تَحدِيـد مَـا إِذَا كانـت جديـرة بِالثِّقـة، وموثوقيَّتهـا هِـي أَمْـر بَالِـغ الأهمِّيَّـة إِذَا أردْنَـا أن نَثِـق بِأنَّهَـا «الْقَـادِرَةَ أَنْ تُحَكِّمَـكَ لِلْخَلاَصِ، بِالإِيمَـانِ الَّـذِي فِـي الْمَسِـيحِ يَسُـوعَ» (تِيموثـاوس الثَّانيـة ٣: ١٥). بيْنمَـا حَـاوَل البعْـض حَصْـر الحقَّانِيَّـة فِـي مَواضِيـع مُعَيَّنَـة يتناولهَـا الكتَـاب اَلمُقـدَّس (علـى سـبيل المثَـال: تصْريحاتـه عـن اَللَّه وعـن رِسـالة الـخلاَص)، إِلاَّ أَنَّه ثبـتَ عدم إِمْكانيَّة اِتِّسـاق هـذَا الزَّعْم

Huldrych Zwingli, *On the Clarity and Certainty of the Word of God*, in *Zwingli and Bullinger*, ed. Geoffrey W. Bromiley (Philadelphia: Westminster, 1953), 93:
«إنَّ كلمة الله أكيدة ولا يمكن أن تخفق أبدًا. وهي واضحة، ولن تتركنا في الظلام أبدًا. وهي تُعلِّم حقَّها الخاصَّ»؛

Martin Luther, Confession concerning Christ's Supper, in Luther's Works, 37:279:
«إنَّ الروح القدس لا يكذب ولا يخطئ ولا يعتريه شكٌّ»؛

Edmund Grindal, "Homily 10, Second Book of Homilies," in *Certain Sermons or Homilies Appointed to Be Read in Churches in the Time of Queen Elizabeth of Famous Memory* (repr., London: SPCK, 1864), 399:
«لذلك لا يمكن أن يكون إلاَّ الحقَّ الذي ينبثق من إلهٍ كلِّ حقٍّ»؛

John Owen, *The Divine Original of Scripture*, in *The Works of John Owen*, ed. William H. Goold, 16 vols. (1850–1853; repr., Edinburgh: Banner of Truth, 1965), 16:328:
«إنَّ الكتاب المقدَّس، الكلمة المكتوبة، لها في ذاتها حقُّها المعصوم من الخطأ»؛

Johann A. Quenstedt, *Theologia Didactico-Polemica sive Systema Theologiae*, pt. 1, chap. 4, q. 5 (Wittenberg: J. L. Quenstedt, 1701), 77b (my trans.):
«إنَّ الأسفار المقدَّسة القانونيَّة في النصِّ الأصليِّ هي الحقُّ المعصوم والخالي من كلِّ خطأ»؛
المجمع الفاتيكانيُّ الأوَّل: «إنَّها تحتوي على إعلانٍ بلا خطأ»؛

A. A. Hodge and B. B. Warfield, *Inspiration* (Grand Rapids, MI: Baker, 1979), 17–18:
«هي سجلٌّ خالٍ من الأخطاء للأمور التي صمَّمها الله لإيصالها»؛

John Murray, "Inspiration and Inerrancy," in *Collected Writings of John Murray*, vol. 4, *Studies in Theology* (Edinburgh: Banner of Truth, 1982), 25:
«إنَّ إسناد الوحي اللفظيِّ والسداد للكتاب المقدَّس هو نفسه الحديث عن عصمته. لا يمكن أن يكون الشيء سديدًا إذا كان يحتوي على خطأ في الحكم أو التمثيل»؛

J. I. Packer, *Truth and Power: The Place of Scripture in the Christian Life* (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1996), 91:
«على الرغم من أنَّ كلمة **العصمة**، وهكذا كلمة **الثالوث**، ليست كلمة كتابيَّة، فإنَّها تعبِّر عن فكرٍ كتابيٍّ. إنَّ العصمة، والتي تعني الحقَّ الكامل والجدارة بالثقة من جهة ما يخبرنا به الكتاب المقدَّس، هي مُحتَّمَة، أي مُتَضَمَّنة بالضرورة ولا مفرَّ منها، جرَّاء كون ما كُتِب هو مُعطًى من الله».

وَصمُوده.[٣٩] إذ تَتَشابَك أَقوَال الكتَاب اَلمُقدَّس عن اَللَّه وأهْدافه بِشَكلٍ لاَ يَنفَصِم مع مَعرِض تسْجيله لِانْخراط اَللَّه فِي التَّاريخ البشَريِّ والْوقائع الملْموسة لِلْعالم اَلذِي خَلقَه. وَإذَا اِسْتنْتجْنَا أنَّ بَعْض أَجزَاء الكتَاب اَلمُقدَّس صَحِيحَة وَأُخرَى غَيْر صَحِيحَة، فمن سيقرِّر أَيُّهَا وَعلَى أيِّ أَسَاسٍ؟

إنَّنا بِحاجةٍ إلى الإقْرار بِوجود هذَا النِّقَاش، وطبيعته السَّاخنة فِي بَعْض الأحْيان، وَخطَر تَحوِيل المصْطلحات الرَّئيسيَّة إلى شِعارَات تُستخْدَم لِاسْتبْعاد الآخرين مِن دَائِرة شَركتِنا المسيحيَّة. لَقد حدث هذَا لِلْأسف مِن وَقْتٍ لِآخر، خَاصَّةً مع مُصطَلَح **العِصْمة**. بل إنَّ الاسْتعْداد لِاسْتخْدام المصْطلح لَيْس هُو بِمؤشِّرٍ بَالِغ الدِّقَّة على اِسْتقامة العقيدة أو حَتَّى على نَظرَة سَامِية تُجَاه الكتَاب اَلمُقدَّس. إنَّنا بِحاجةٍ إلى حِسَاب الاحْتمال المأْساويِّ بِأنَّ شخْص ما قد يُؤكِّد العصْمة بِأقْوى العبارات ومع ذَلِك لاَ يَخضَع فِي حَياتِه أو حَياتِها لِتعاليم الكتَاب اَلمُقدَّس. كَيْف يُمْكِن مُقَارنَة هذَا مع الشَّخْص اَلذِي يُوَاجِه صُعوبَات فِي اِسْتخْدام المصْطلح (رُبَّمَا بِسَبب الطَّريقة اَلتِي اِسْتخْدمه بِهَا الآخرون) وَلَكنَّه يَسمَع بِاسْتمْرارٍ كُلَّ الكلمات اَلتِي أعْطاهَا اَللَّه ويلْتَزم بِهَا؟ وَهنَا، وَفِي قَرائِن أُخرَى، ينْفعنَا تَذكِير غراهَام كُول إيَّانَا بِأنَّ عِلْم اللاَّهوتِ لاَ يَهتَمُّ فقط بِمَا نُؤَكِّده (اِسْتقامة العقيدة Orthodoxy)، على الرَّغْم مِن أنَّ هذَا مُهِمٌّ بِالتَّأْكيد، وَلكِن أيْضًا بِالطَّريقة اَلتِي نعيش بِهَا

٣٩ ومن الأمثلة الشهيرة لأولئك الذين يعتنقون مثل هذا الرأي:
Faustus Socinus, *An Argument for the Authority of Holy Scripture*, trans. E. Coombe (London: W. Meadows, 1731), 21, 140, and Henry Preserved Smith, "Biblical Scholarship and Inspiration," in *Inspiration and Inerrancy: A History and Defense* (Cincinnati: Robert Clarke, 1893), 88–141.

فِي ضَوْء مَا نُؤْمِن بِه (اِسْتقامة السُّلوك Orthopraxis)، وَكلاَ هذيْنِ العنْصريْنِ مُرْتَبِطٌ بِحالة قُلوبِنَا (اِسْتقامة القلْب Orthokardia).[٤٠]

بل حَتَّى نَظرَة خَاطِفة على رِوايَات حَيَاة يَسُوع وخدْمَته تُظْهِر اِهْتمامه بِالْحقِّ. هذَا وَاضِحٌ بِشَكلٍ خاصٍّ فِي إِنْجيل يُوحنَّا. فِي إِحْدى مُحادثاته مع «الْيَهُودِ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ»، أَوضَح هَذِه النُّقْطة عِدَّة مَرَّات. إذ قال لَهُم: «إِنْ ثَبَتُّمْ فِي كَلاَمِي فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ تَلاَمِيذِي، وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ» (٨: ٣١-٣٢). وبعْد ذَلِك بِقليل اِفتضَح مُؤَامرَة قَتلِه واصفًا إِيَّاهَا بِأَنَّهَا صِرَاعٌ ضِدَّ اَلحَقِّ: «وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ اللهِ» (٨: ٤٠). وَقُرب نِهاية المحادثة، قَابَل مَا كان يفْعله بِمَا يفْعله الشَّيْطان: «ذَاكَ كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ. مَتَى تَكَلَّمَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا لَهُ، لأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ. وَأَمَّا أَنَا فَلأَنِّي أَقُولُ الْحَقَّ لَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِي» (٨: ٤٤-٤٥). وَفِي اللَّيْلة اَلتِي سَبقَت مَوتَه، قال يَسُوع لِتلاميذه: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ» (١٤: ٦)، ووعدَهم بِأن يُرْسِل لَهُم «رُوحَ اَلحَقِّ» اَلذِي سيقودهم إلى «جَمِيعِ اَلْحَقِّ» (١٤: ١٧؛ ١٥: ٢٦؛ ١٦: ١٣)، وَصلَّى إِلى اَلآب طالبًا: «قَدِّسْهُمْ فِي حَقِّكَ» (١٧: ١٧، ١٩). فِي هذَا السِّيَاق اَلأَخِير، عِنْدمَا صَلَّى مِن أَجْل تلاميذه، اِعترَف: «كَلاَمُكَ هُوَ حَقٌّ». وأخيرًا، أَمَام بِيلاطس اَلبنْطِيِّ، أَدلَى بِمَا وَصفَه الرَّسول بُولُس لاَحقًا بِـ «الاعْتِرَافِ الْحَسَنِ» (تِيموثاوس اَلأُولى ٦: ١٣): «أَنْتَ تَقُولُ: إِنِّي مَلِكٌ. لِهذَا قَدْ وُلِدْتُ أَنَا، وَلِهذَا قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لأَشْهَدَ لِلْحَقِّ. كُلُّ مَنْ هُوَ مِنَ الْحَقِّ يَسْمَعُ صَوْتِي» (يُوحنَّا ١٨: ٣٧).

40 Graham A. Cole, *Faithful Theology: An Introduction* (Wheaton, IL: Crossway, 2020), 15–16.

كان يَسُـوع نَفسـه شـديد الاهْتمـام بِمفْهـوم اَلحَـقِّ وَكَان يُعَارِض بِشـدَّة الأكاذيـب والْخـداع والْباطـل. كان أيْضًـا مَفهُومـه عـن الكتَـاب اَلمُقـدَّس، اَلـذِي اِحتكَـم إِلَيـه بِانْتظـامٍ، أَنَّـه حـقٌّ. فَكمَـا رأَينَـا، أَشَـار إِلـى الأشْـخاص والْأماكـن والْأحْـداث فِـي الرِّوايـات الكتابيَّـة علـى أَنَّهَا تاريخيَّـة حقًّـا. وقـد تَعامَـل مـع وُعُـود اَللَّـه علـى أَنَّهَـا صَادِقـة، وأنَّ إِتمَـام مَـا كُتِـبَ عَنْـه ضَـرورِيٌّ. إِنَّ يَسُـوع، كَونُـه هُـو نَفسُـه اَلحَـقَّ، يَضمَـن حَقَّانِيَّـة مَـا كُتِبَ. لَقد وعد بِإِرْسَـال رُوحِ اَلحَـقِّ لِيضْمن حَقَّانِيَّة اَلكلِمـة اَلتِـي لَـم تَكُـن قـد أُعطِيـت لِلْكنيسـة بَعْـد. مِـن اَلمهِـمِّ أَنَّـه فَعَـلَ كُلَّ هـذَا بِصفته شـخْصًا لَم يَتَكلَّم بِسـلْطانه اَلْخـاصِّ، بل تَكلَّم بِالْكلمـة والسُّـلْطان الممْنوحَيـنِ لَـه مِن أبيـه (يُوحنَّـا ٧: ١٦؛ ٨: ٢٨؛ ١٢: ٤٩؛ ١٤: ١٠).

اِقتـرَح فاوسـتُس سوتشـينوس، الرَّافـض المتطـرِّف لِلثَّالـوث فِـي أَوائِـل القـرْن السَّـابع عشـر، أنَّ تَعامُـل يَسُـوع مـع أَحـدَاث العهْـد اَلقدِيـم ولاهوتـه علـى أَنَّهَا أُمورٌ حَقَّة كان جُزْءًا مِـن تكيُّفِه مع جُمْهُوره الأوَّل. فَلكِـي يَتَكلَّـم يَسُـوع بِـخلاف ذَلِـك، كان ذَلِـك سـيتطَلَّب مِنْهم مَعرِفـة لَـم يمْتلكوهَـا بَعْـد وَكَان مِـن شَـأنِه أن يُشـتِّت اِنْتباههـم عـن الـدَّرْس اَلـذِي كان يُحَـاوِل إِيصاله لَهُم. جَادَل فاوسـتُس سوتشـينوس فِـي مُنْتـدى رَاكُـو Rakow Colloquium فِـي عـام ١٦٠١ قـائلاً: «لَـم يَكُـن هـذَا هُـو الوقْـتُ المناسـب لِزعْزَعـة اليهود». سـمح يَسُـوع لِهَذه الآرَاء الخاطئـة أن تَبقَـى دُون أن يُعارضهَـا (كان سوتشـينوس يَتَحـدَّث فِـي تِلْـك المرْحلـة عـن القيامـة العامَّـة لِلْموْتـى) «حَتَّـى بَعْـد زَمَـانٍ طويـلٍ يَأتِـي زمـن النُّضْـج وَيصبِح النَّـاس قَادرِين أن يعوِّدوا أَنفُسـهم علـى طُـرُق اَلحدِيث هَـذِه»، وَهـذَا يَعنِي التَّفْسـير اَلبدِيل لِلْمسْـتقْبل

اَلـذِي اِقْترَحه سوتشـينوس نَفسُـه.[٤١]

إِنَّ اِقتِـراح سوتشـينوس لاَ يُمْكِـن الدِّفَـاع عَنْه، لِأَسْـبَاب أهمُّهَا هُو أَنَّ يَسُـوع كان بِالتَّأْكِيـد على اِسْـتعْدادٍ لِتحـدِّي الأفْكار والْممارسـات الخاطئـة حِينمَـا يُصادفهَا، بِغضِّ النَّظر عن مدى رُسُـوخ هَـذِه الأفْكار أو الممارسـات (مَتَّـى ١٢: ١-١٤؛ ٢٣: ١٦-٢٢؛ مَرْقُـس ٧: ٥-٨؛ يُوحنَّـا ٤: ١٩-٢٤؛ ٧: ٢٢). فِـي الواقـع، أَسَـاء سوتشـينوس اِسْـتخْدام عَقِيـدَة التَّكَيُّـف اَلتِـي واجهْناهَـا بِالْفِعْـل، وَالتِـي تَبَنَّاهَا كالفن وآخـرون، وَالتِي أَدرَكـت أَنَّ اَللَّـه يَتَواصَـل مـع مخْلوقاتـه بِطـرقٍ يُمْكنهـم فَهمُهـا دُون المسَـاس بِنزاهته الشَّـخْصيَّة والْتزامـه بِالْحقِّ بِأَيِّ حالٍ مِـن الأحْوال.[٤٢]

كمَـا هُـو اَلْحـال دائمًـا، فَـإِنَّ صِفـة الكتَاب اَلمُقـدَّس هَـذِه تَرتَكِز، كمَـا يَنبَغِـي لَهَـا، على شَـخْص وَشـخصِيَّة اَللَّـه. فالْكتـاب اَلمُقـدَّس حَقَّانِـيٌّ تمامًـا وجديـر بِالثِّقـة لِأَنَّـه كَلاَم اَللَّـه، وَاَللَّـه نَفسـه حَقَّانِـيٌّ وجديـرٌ بِالثِّقـة. فَهُـو مِن نَاحِيةٍ يَعرِف كُلَّ شَـيْءٍ «لأَنَّ الـرَّبَّ إِلهٌ عَلِيمٌ» (صَموئِيـل الأوَّل ٢: ٣). وَهُـو البدايـة والنِّهايـة (الرُّؤْيَـا ٢١: ٦)، مِمَّـا يمْنحـه عَلاقَـة فَرِيـدَة بِكلِّ مَخلُـوقٍ وَكُلِّ حـدثٍ (إشـعياء ٤٦: ٩-١١). فَهُـو يَعـرِف أَسـرَار القلْب البشَـريِّ (المزاميـر ٤٤: ٢١؛ ١٣٩: ١-٦؛ أَعمَال

41 F. Socinus et al., "Epitome of a Colloquium Held in Rakow in the Year 1601," in George Huntston Williams, *The Polish Brethren: Documentation of the History and Thought of Unitarianism in the Polish-Lithuanian Commonwealth and in the Diaspora, 1601–1685* (Missoula, MT: Scholars Press, 1980), 121–22.

42 Glenn Sunshine, "Accommodation in Calvin and Socinus: A Study in Contrasts" (MA thesis, Trinity Evangelical Divinity School, 1985).

للحصول على وصف لكيفيَّة تسلُّل أفكار سوتشينوس إلى البحثيَّات الأكاديميَّة اللاَّهوتيَّة السائدة، انظر:

John D. Woodbridge, "Pietism and Scriptural Authority," in Carson, *Enduring Authority*, 166.

الرُّسل ١٥: ٨). ومعْرفته شَامِلة وَعَميقَة. مَا مِن شَيْءٍ قد حدث يجْهله اَللَّه، ولاَ يُمْكِن أن يُفَاجئَه أيُّ تَطوُّرٍ جديدٍ. ولاَ حَاجَة لَه أبدًا إلى مُرَاجعَة مَا قَالَه فِي ضَوْء المعْلومات الجديدة. إذ لاَ يُمْكِن أن يَخفَى عليْه شَيْءٌ (العبْرانيِّين ٤: ١٣)، وَهُو لاَ يُخدَع أبدًا (أيُّوب ١٣: ٩). وبالتَّالي، فَهُو لاَ يَجهَل أبدًا، لِأَنَّه كَامِلٌ فِي المعْرفة (أيُّوب ٣٧: ١٦).

وَمِن نَاحِيةٍ أُخرَى، فَإِنَّ اَللَّه لَيْس مُخادِعًا وَهُو لاَ يَكذِب أبدًا. كمَا ذكَّر بَلْعَام سَيِّدَه بالاق:

لَيْسَ اللهُ إِنْسَانًا فَيَكْذِبَ، وَلاَ ابْنَ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمَ. هَلْ يَقُولُ وَلاَ يَفْعَلُ؟ أَوْ يَتَكَلَّمُ وَلاَ يَفِي؟ (العدد ٢٣: ١٩).

وَقَال صَموئِيل الشَّيْءَ نَفْسَه تقْريبًا لِشَاوُل (صَموئِيل الأوَّل ١٥: ٢٩). وَكَان ردُّ اَلمَلِك دَاوُد على وَعْد اَللَّه بتأْسِيس نَسْلٍ مَلَكِيٍّ مِنْه وَمِن بَيتِه هُو أنْ رَبَطَ صِدْقَ وحقَّانيَّة كَلمَة اَللَّه بِشخْصيَّته كَإِلَه: «وَالآنَ يَا سَيِّدِي الرَّبَّ أَنْتَ هُوَ اللهُ وَكَلاَمُكَ هُوَ حَقٌّ» (صَموئِيل الثَّاني ٧: ٢٨). وَهُو يضع الارْتبَاط نَفسَه فِي أحد المزامير:

اَللهُ طَرِيقُهُ كَامِلٌ. قَوْلُ الرَّبِّ نَقِيٌّ. تُرْسٌ هُوَ لِجَمِيعِ الْمُحْتَمِينَ بِهِ. (المزامير ١٨: ٣٠؛ راجع الأمثال ٣٠: ٥)

وَقَال اَلرَّبُّ لإرميَا: «لأَنِّي أَنَا سَاهِرٌ عَلَى كَلِمَتِي لأُجْرِيَهَا» (إِرْمِيَا ١: ١٢). وَأَشار كَاتِب الرِّسالة إلى العبْرانيِّين إلى «عَدَم تَغَيُّرِ قَضَائِهِ» و«قَسَمه» حَيْث «لاَ يُمْكِنُ أَنَّ اللهَ يَكْذِبُ فِيهِمَا» (العبْرانيِّين ٦: ١٧-١٨). وَرُبَّمَا يُكون الأكْثر إيجازًا هُو مَا كَتبَه الرَّسول بُولُس إلى تِيطس عن «رَجَاءِ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّتِي وَعَدَ بِهَا اللهُ الْمُنَزَّهُ عَنِ الْكَذِبِ، قَبْلَ

الأَزْمِنَـةِ الأَزَليَّـةِ» (تِيطس ١: ٢).

إِنَّ اَلحَـقَّ هُـو جَانِـب مِـن شَـخصِيَّة اَللَّـه، ولاَ يُمْكِن أن يُفـرِّط فِيه أبـدًا فِـي تعاملاتـه مـع مخْلوقاتـه البشـريَّة. كمَا قـال بُولُس:

بَـلْ لِيَكُـنِ اللهُ صَادِقًـا وَكُلُّ إِنْسَـانٍ كَاذِبًا. كَمَا هُـوَ مَكْتُوبٌ: «لِكَيْ تَتَبَـرَّرَ فِـي كَلاَمِكَ، وَتَغْلِبَ مَتَى حُوكِمْـتَ». (رومية ٣: ٤)

حَتَّـى فِـي إِحْـدى المـرَّات اَلتِي سـمح فِيهَـا بِأن يَخـدَع نَبِـيٌّ كَاذِبٌ مَـلِكًا شِـرِّيرًا بِواقـع قَضَـاءٍ مِـن اَللَّـه، أُبلِـغ اَلحَـقُّ لِلْمَلـك المَعْنـيِّ قَبْل وُقُـوع الكارثـة اَلتِي قصدهَـا اَللَّـه (اَلمُلـوك الأوَّل ٢٢: ١٩-٢٣). ذهـب اَلمَلِـك أَخَـاب إِلـى مَوتِـه وَهُـو على عِلْـمٍ تـامٍّ بِالْحـقِّ ومـع ذَلِـك قَـرَّر مسـاره اَلْخـاصَّ. وَكُشِـفَ عـن إِصْـراره هـذَا فِـي رَدِّه على «اَلنبِـيِّ الكاذِبِ».

بِهَـذه الطَّريقـة يَكُـون مِـن الواضـح أنَّ «أَسَـاس عَقِيـدَة العصْمـة الكتابيَّـة يَسـتَقِرُّ فِـي طَبِيعَـة اَللَّـه وَفِـي تَعلِيـم الكتَـاب اَلمُقـدَّس عن نَفسِـه».[٤٣] يَجِـب أن يَكُـون الكتَاب اَلمُقـدَّس صادقًا وجديـرًا بِالثِّقة إِذَا كان هُـو كَلِمَـة اَللَّـه اَلـذِي نعْرفـه بِأَنَّـه «إِلَـهُ اَلْحَـقِّ» (إشـعياء ٦٥: ١٦). وَهـذَا بِالضَّبْـط مَـا يشْـهده الكتَاب اَلمُقـدَّس عن نَفسِـه (المزامير ١١٩: ١٦٠؛ يُوحنَّـا ١٧: ١٧). ومـع ذَلِـك، لاَ تَـزَال هُنَـاك صُعوبَـات.

تَنشَـأ اَلكثِيـر مِـن الصُّعوبـة مع العصْمـة الكتابيَّة مِـن خطأيْنِ فِي المنْهجيَّـة: أوَّلاً، مِـن حَيْـث مَا هُو مُتَوقَّع مِن الكتَاب اَلمُقدَّس نَفسـه؛ وَثانِيًـا، مِـن حَيْـث مَـا يُسـتَنتَج عـن معْلومـاتٍ أُخـرَى خَـارِج الكتَـاب

43 Kevin J. Vanhoozer, "The Inerrancy of Scripture," in *Latimer Comment 65* (Oxford: Latimer House, 1997), 1.

اَلمُقـدَّس، وَالتِي تَبـدُو على الأقـلِّ مُتناقضة مـع الكتَـاب اَلمُقدَّس.

توقُّعَات بِالدِّقَّة تُغَالِط الزَّمن أو كَاذِبة

تَتَوافَـق صِحَّـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس مـع كُلِّ صِفاتـه اَلأُخـرى ومـع غـرض الكتَـاب اَلمُقـدَّس. مِـن اَلمهِـمِّ أن نَتَذكَّـر أنَّ العهْـد اَلجدِيـد قـد كُتِـبَ فِـي القـرْن الأوَّل بِقواعـد اَلأدِلَّـة الخاصَّة بِـه ووفْقًـا لِأعْرافه اللُّغويَّـة، لاَ قواعدنَـا. فقدْرتنَـا على توخِّـي الدِّقَّـة (خَاصَّةً مـع ظُهُور الحواسـب) تُولِّـد توقُّعًـا لاَ يُعتَبَـر مَعقُـولاً عِنْـد تطْبيقه على نُصُوص الكتَـاب اَلمُقـدَّس. إذ لَم يُقـدَّم الكتَاب اَلمُقدَّس ككتـابٍ بيولوجيٍّ أو دليـل لِلْمحاسـبة أو كَتقرِيـرٍ طِبِّيٍّ أو دليل اِسْـتخْدامٍ لِلْحاسـب اَلآلِيِّ. كمَـا أَنَّـه لاَ يَتَعامَـل مـع كُلِّ جَانِـبٍ مِـن جَوانِـب النِّظَـام المخْلـوق بِتفْصِيـلٍ مُتَسـاوٍ، بـل يُركِّـز اِهْتمامه بِالْأَحْـرى على اَللَّـه ومعاملاته مع مخْلوقاتـه البشـريَّة، وَخَاصَّـةً تِلْـك اَلتِي اِخْتارهَـا أن تَكُـون «خَاصَّـةً مِـنْ بَيْـنِ جَمِيـعِ الشُّـعُوبِ» (اَلخُـروج ١٩: ٥). يَجِب أن تَكُـون توقُّعاتنَا بِالدِّقَّـة والتَّفْصيـل مُنضبطَـة بِمقْتَضى الغـرض اَلـذِي أُعطِـيَ الكتَاب اَلمُقـدَّس مِـن أَجلِـه. مِـن اَلمفِيـد أن يَتِـمَّ تذْكيرنَـا بِـأنَّ «الوظيفـة الشَّـاملة لِلْكتَـاب اَلمُقـدس هِـي ‹إِيصَـال اَلمسِيح والْعَهْـد›».[٤٤]

مِـن اَلمهِـمِّ بِنَفـس القـدر أن نَكُـون حَسَّاسِـين لِنَـوع الأدب اَلذِي نَتَعامَـل معـه فِـي كُلِّ مُنَاسـبَة وأن نَتَذكَّـر أنَّ أعْرافنَـا الأدبيَّـة (حَتَّـى النَّحْويَّـة) لَيسَـت قَوانِيـن ثَابِتـة تَنطَبِـق على جميـع أَشكَال الأدب فِي

44 Kevin J. Vanhoozer, "Holy Scripture," in *Christian Dogmatics: Reformed Theology for the Church Catholic*, ed. Michael Allen and Scott R. Swain (Grand Rapids, MI: Baker Academic, 2016), 53; Swain, *Trinity, Revelation, and Reading: A Theological Introduction to the Bible and Its Interpretation* (London: T&T Clark, 2011), 78.

جميـع الأَوْقـات. عِلاوةً على ذَلِك، فَـإِنَّ معْرفتنَا الخاصَّـة بِلغة وَأَدَب العهْـد اَلجدِيـد، وَحتَّـى أَكثَـر مِـن ذَلِـك بِالْعَهْـد اَلقدِيـم، لَيسَـت مِن نَفْـس مُسـتَوَى أُولئـك الَّذيـن كَانَـت لَهُـم تِلْـك النُّصـوص تُعتَبَـر مِـن النَّـوْع المعاصـر بِاللُّغـة العامِّيَّـة. لِذَلـك، عِنْدمَـا لاَ نَجِـد أَنَّ تَسـجِيل الأَحْـداث يَحـدُث بِالطَّرِيقـة نفْسـهَا اَلتِي نُسَـجِّلهَا بِهَـا الآن، أو عِنْدمَا لاَ تَكُـون القواعـد والنَّـوْع الأَدَبـيُّ لِلنَّـصِّ مَـا كُنَّـا نتوقَّعـه، أو عِنْـد اِسْـتخْدام أَدوَات مِثْـل التَّقْريـب واللُّغـة الظَّاهْراتيَّـة، يَجِـب علَيْنَـا الحـذر مِـن اِسْـتنْتاج أَنَّ ذَلِك يَعنِـي أَنَّ اَلمُؤَلِّف قد أَخطَـأ أو أَنَّ اَلنَّصَّ مَعيـبٌ. هَكـذَا فَـإِنَّ إِحصَـاء الرِّجَـال الَّذيـن خَرجُـوا مِـن مِصْـر «سِـتِّ مِئَـةِ أَلْـفِ مَـاشٍ مِـنَ الرِّجَـالِ» (اَلخُـروج ١٢: ٣٧) أو الَّذيـن حاربـوا فِي عـاي «نَحْـوُ ثَلاثَـةِ آلاَفِ رَجُـل» (يَشُـوع ٧: ٤) لَيْس فِي حـدِّ ذَاتِه خطأ، حَتَّـى لَـو كان المجْمـوع اَلدقِيـق هُـو بِضْـع مِئَـات أَكثَـر أوْ أقـلّ. مِـن الواضـح أَنَّ الدِّقَّـة الإِحْصائيَّـة لَـم تَكُن مَقصُودة فِي هذَا السِّـيَاق. إِنَّ تَحدِيـد مَوقِـع حـدث أو تَحدِيـد الاتِّجـاه بِالْإِشـارة إِلـى «الشُّـروق» أو «اَلغُـروب» (يَشُـوع ٨: ٢٩؛ ١٢: ١؛ اَلمُلـوك الأَوَّل ٢٢: ٣٦؛ أَخبَار الأَيَّام الثَّانـي ١٨: ٣٤) لاَ يُلْـزِم القـارئ بِوجْهـة نظرٍ عن الكـوْن تُؤْمِن بِمرْكزيَّة الأَرْض، بِقَـدر مَـا لاَ تُلْزمنَـا الإِشـارة إِلـى «أَرْبَعَـةِ أَطْـرَافِ الأَرْضِ» (إِشـعياء ١١: ١٢؛ الرُّؤيَـا ٧: ١؛ ٢٠: ٨) أن نَعتَقِـد بِـأَنَّ الأَرْض مُسَـطَّحَة. هَـذِه أَوصَـاف مِـن مَنظُـور أُولئك الَّذيـن يخْتبـرون تِلْك الأَشْـياء، أَكثَر مِـن كوْنهَـا تفْسـيرات دَقِيقَـة عِلْميًّا.

أحـد التَّوقُّعـات الخاطئـة المحْتملة -وسـيكون خاطئًا فِي سِـياقِنَا أَيْضًـا- هُـو أَنَّ شَـهادَة شُـهُود العيَـان يَجِـب أن تَرتَبِـط تمامًـا بِشـهادة شُـهُود العيَـان الآخريـن حَتَّـى تَكُـون صَحِيحَة. وَحتَّـى فِي يوْمنَـا هذَا،

فَـإِنَّ الارْتبـاط اَلوثيـق جِـدًّا بَيْـن شـهادَات الشُّـهود مِـن شَـأنِه أن يُثيـر اَلشَّـكَّ فِـي وُجُـود تَواطُـؤ بـدلاً مِـن دَعْـم الشَّـهادة. فَغالِبًـا مَـا يَتَأثَّـر الأشْـخاص المخْتلفـون الَّذيـن يشْـهدون نَفْـس الحـدث بِتفاصيـل مُختلفَـة، وتلْـك الاخْتلافـات، مَـا دَامَـت لاَ تَتَعـارَض بِشَكلٍ مُبَاشِـرٍ مع بعْضهَـا البعْـض، فَإِنَّهَـا تُضْفِـي مِصْداقيَّـة علـى الشَّـهادة المُقدَّمـة. إِنَّ كُلَّ شَـخْصٍ يَتَعاطَـى مـع مَـا يَـرَاه أو يسْـمعه وفْقًـا لِخلْفِيَّـة مُمَيَّـزَة مِـن التَّجـارب الخاصَّـة بِـه، وَهـذَا مَـا قـد يُفسِّـر اِنجِـذاب الأشْـخاص المخْتلفيـن إِلـى تَفاصِيـل مُختلفَـة. يُذَكِّرنَـا رِيتشـارد بـاكام Richard Bauckham: «فِـي طَبِيعَـة اَلْحـال، فَحتَّـى الذِّكْريـات الدَّقيقـة هِـي اِنْتقائيَّـة وتفْسـيريَّة».[٤٥] إِنَّنـا نَعـرِف كَيْـف تُؤثِّـر زَاوِية الكاميـرَا والْعمْق اَلبـؤْرِيُّ علـى شَكْل المشْـهد فِـي تَقرِيـرٍ إِخْبـاريٍّ أو فِيلـم. كان الأمْـر كَذلِـك مع رِوايَات شُـهُود العيَـان فِي القرْن الأوَّل. لِذَلـك، فِي رِوايَات الإِنْجيـل عـن القيامـة، قـد تَكُـون كلمات الـملاك اَلذِي تكلَّم هِـي اَلتِي جَذبَـت اِنتِبـاه أحـد شُـهُود العيَـان (مَرْقُـس ١٦: ٥)، بيْنمَـا اِنتبَـه آخـر لِحَقِيقَـة وُجُـود ملاكَيْـنِ (لُوقَـا ٢٤: ٤-٧).

وبالتَّالـي، يُمْكننَـا تَجنُّب المحـاولات المَحْمومـة لِلْموَاءمة الهادفة لِلتَّخْفيـف مِـن حِـدَّة الاخْتلافـات بَيْـن التَّفاصيل الـواردة فِـي الرِّوايات المتوازيـة لِأَحْـدَاثٍ فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس. إِذ يُمْكِـن أن تُـؤدِّي هَـذِه المحـاولات إِلـى سـخافَات فِـي بَعْـض الأحْيـان، وقـد حـدث هـذَا بِالْفِعْـل؛ كمَـا هُـو اَلْحـال عِنْدمَـا اِقترَح أندريـاس أوزيانـدر Andreas Osiander أنَّ هُنَـاك ثَمانِـي حـالات أَنكَـر فِيهَـا بُطـرُس يَسُـوع، عِوَضًـا

45 Richard Bauckham, *Jesus and the Eyewitnesses: The Gospels as Eyewitness Testimony* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2006), 326.

عـن الثَّلاثـة اَلتِـي تَنبَّـأ بِهَـا يَسُـوع.[٤٦] بيْنمَـا اِقتـرَح هَارُولـد ليندسـل Harold Lindsell سِـتَّ حـالاتٍ.[٤٧] أَظهَـر آخـرون أنَّ الاخْتلافـات بَيْـن التَّفاصيـل فِـي الأناجيـل يُمْكِـن التَّوْفيـق بيْنهَـا دُون زِيـادة العـدد.[٤٨] مَـا هُـو وَاضِـحٌ بِذاتـه هُـو التَّوَتُّـر الأكْثـر أَهَمِّيَّـة بَيْـن بُولُـس ويعْقوب بخصُـوص التَّبْريـر بِالْإيمـان (قَـارَن رُوميـة ٣: ٢٨ ويعْقـوب ٢: ٢٤) اَلـذِي يُمْكِـن حلُّـه بِالاهْتمـام اَلدقِيـق بِجوْهـر اَلحُجَّـة فِـي كُلِّ حَالَـةٍ. كان بُولُـس يُؤَكِّـد أنَّ الإيمـان بِمعْـزِلٍ عـن الأعْمـال هُـو عُنصُرٌ حَاسِـمٌ فِـي تبْريرنَـا (لِأنَّ هـذَا التَّبْريـر يَرتَكِز على عمل اَلمسِـيح أساسًـا)، بيْنمَا كان يَعقُـوب يُصِـرُّ علـى طَبِيعَـة الإيمـان الحقيقـيِّ (لَيْـس التَّصْديـقَ اَلسـلْبِيَّ، بل اَليقِين الواثق اَلذِي يُشْـعِل المحَبَّة والْأعْمال الحسَـنة).[٤٩] قـد تظـلُّ هُنَـاك بَعْـض الاخْتلافـات اَلتِـي يَصعُـب حَلُّهَـا. ومـع ذَلِك،

46 A. Osiander, *Harmoniae Evangelicae Libri IIII* (Basel: Froben, 1537), 128.

47 Harold Lindsell, *The Battle for the Bible* (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1976), 174–76.

48 D. A. Carson, "Matthew," in *The Expositor's Bible Commentary: Matthew and Mark*, rev. ed., ed. Tremper Longman III and David E. Garland (Grand Rapids, MI: Zondervan, 2010), 623–24.

٤٩ وحتَّى مارتن لوثر، بطل التبرير بالإيمان **وحده** أصرَّ على أنَّ «إيماننا بالمسيح لا يحرِّرنا من الأعمال، بل من الآراء الخاطئة المتعلِّقة بالأعمال، أي من الافتراض الغبيِّ بأنَّ التبرير يتمُّ بالأعمال».

Luther, "The Freedom of a Christian," in *Luther's Works*, 31:372–73

وقال كالفن: «لذا فإنَّ الإيمان وحده هو الذي يبرِّر، ومع ذلك فإنَّ الإيمان الذي يبرِّر ليس وحده».

John Calvin, "Acts of the Council of Trent with Antidote," in *Tracts*, trans. Henry Beveridge, 3 vols. (Edinburgh: Calvin Translation Society, 1851), 3:152 (6th session, can. 11).

ومع ذلك، كانت طريقة كالفن المفضَّلة للمصالحة بين بولس ويعقوب مختلفة إلى حدٍّ ما. وقال إنَّ السؤال المطروح على يعقوب لم يكن «كيف يمكن للناس أن يبلغوا البِرَّ لأنفسهم في حضور الله، ولكن كيف يمكنهم أن يثبتوا للآخرين أنَّهم مبرَّرون».

Calvin, *The Epistles of Paul the Apostle to the Romans and to the Thessalonians*, ed. David W. Torrance and Thomas F. Torrance, trans. Ross Mackenzie (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1973), 79.

فَـإِنَّ التَّعـارض الظَّاهـريَّ يُمْكِـن حلُّـه مِـن خِلاَل الاهْتمـام اَلدقِيـق بِالنُّصـوص فِـي سِـياقِهَا، بِالْإضافـة إِلـى الحساسـيَّة لِطبيعة شـهادَات شُـهُود العيَـان الحقيقيَّـة فِـي حَالَـة الأناجيـل. المغْـزى هُنَـا هُـو أَنَّنَـا يَجِـب أن نَكُـون حذرين مِن الاسْـتنْتاج المتعجِّل أنَّ رَاوِيـةً مَا أو أُخرَى تُعَـدُّ خَاطِئةً.

اِسْتنْتاجات مُتَعجِّلَة بِوجود حقٍّ مُتَناقِضٍ

تَنشَـأ صُعوبَـات أُخـرَى عِنْدمَا تَبدُو حَقائِق التَّاريـخ أو العلم اَلتِي لاَ جِـدَال فِيهَـا مُتناقضـة فِـي مَـا بيْنهَـا أو حَتَّـى مُتناقضـة مـع تَعالِيم الكتَـاب اَلمُقـدَّس. نُقطَـة البدايـة اَلمهِمَّة هُنَا هِي أن نَسـأَل مَـا إِذَا كُنَّا نَتَعامَـل مـع مَـا يقوله اَلنَّـصُّ الكتابـيُّ بِالْفِعْـل، أو مَا يَعتَقِـد الآخرون أَنَّـه يقوله وَفْقَ تفْسـيرهم. هـل يُعلِّم الكتَاب اَلمُقـدَّس حقًّا عن كَوْنٍ مَرْكَـزه الأرْض، كمَـا اِعتقَـد البعْـض دَاخِـل كَنِيسَـة رُومَـا فِـي القرْنيْـنِ السَّـادس عَشـر والسَّـابع عَشـر، وهكـذَا عارضـوا بِشـدَّة كوبرنيكـوس وغاليليـو؟ أم كَانَـت اَللغَـة الكتابيَّـة اَلتِي لَجـأَت إِليْهَـا الكنيسـة هِـي لُغَـة ظاهْراتيَّـة ولـم يَقصِـد لَهَـا أن تَكُـون تمْثيلاً حرْفيًّا لِلْواقـع؟ هل يُمْكِـن حقًّا الافْتئات على مَثَـل الرَّجـل اَلغَنِـيِّ وِلْعـازر بِجعْلـه تقْريرًا ماديًّـا عـن السَّـمَاء والْجحيـم؟ إِنَّ الحساسـيَّة لِنَـوع اَلنَّـصِّ الأدَبـيِّ واللُّغـة -فَـضلاً عـن الغـرض مِـن الكتَـاب اَلمُقـدَّس كَكُلٍّ، والْغَـرض الواضـح مِـن اَلمَقطـع اَلمعْنِـيِّ مَتَـى فهمْنَـاه- هِـي أُمُـور تُسَـاعِد فِـي حـلِّ مِثْـل هَـذِه الصُّعوبات.

يَجـدُر الاعْتـراف بِدرجـة اَلثقَـة الكبيـرة جِـدًّا اَلتِـي تَولَّـدَت نَتِيجَـة الاكْتشـاف والْبَحْـث والْبحثيَّـات الأكاديميَّـة فِـي مجـالاَت التَّاريـخ

والْعلـوم الطَّبيعيَّـة. فَقْـد سَـهَّلَت التِّكْنولوجْيَـا نُمُـوًّا هـائلاً فِـي مَجمُوعـة مِـن المجـالات مِـن حَيْـث المعْرفـة على مَـدَار الخمْسـين عامًـا الماضيـة. لاَ يَنبَغِـي التَّسَـرُّع فِي رَفْـض الإجْماع الحالـيِّ فِي هَذِه المجـالات. ومـع ذَلِـك، سَـيكُون مِـن الخطـأ تَجاهُـل اَلقُيـود الباقيـة لِمَعرفتنَـا وبعْـض المشْـروطيَّة اَلتِـي سـتبْقى على الرَّغْـم مِـن النُّمـوِّ اَلمبْهِـر. فمعْرفتنَـا فِـي أيٍّ مِن هَذِه المجالات لَيسَـت شَـامِلة؛ إذ تميل النَّمـاذج المفاهيميَّـة إِلـى التَّحَـوُّل بِمـرور الوقْـتِ؛ فَيتِـمُّ مُرَاجعَـة النَّظريَّـات واسْـتبْدالهَا كُلِّيًّا أحْيانًـا؛ وَيتِمُّ أحْيانًا إِلغَـاء النَّتائج المؤكَّدة جَـرَّاء الاكْتشـافات الجديـدة أو إِعـادة فَحْـص اَلأدِلَّـة؛ وَمِن ثـمَّ هُنَاك دائمًـا إِمْكانيَّـة لِلتَّحَيُّز اَلشـخْصِيِّ اَلذِي قـد يدْفعنَا إِلى مَـا وَرَاء اَلأدِلَّة. «الآنَ أَعْـرِفُ بَعْـضَ الْمَعْرِفَـةِ» فِـي كُلِّ المجـالات، وليْـس فقـط فِـي اللاَّهـوتِ وتطْبيقـه (كُورنثـوس اَلأُولـى ١٣: ١٢). يَنعَكِـس هـذَا الإدْراك فِـي بَعْـض التَّعْريفـات الأكْثر عُمْقًـا لِلْعصْمة فِي اَلآونـة الأخيرة، مِثْل تَعرِيـف بـول فاينبـرغ Paul Feinberg: «إِنَّ العصْمة تَعنِـي أَنَّه عِنْدمَا تُعـرَف كُلُّ الحقائق، فَإِنَّ الأسْـفار المقدَّسـة فِـي مخْطوطاتهَا الأصْليَّة متـى تـمَّ تفْسـيرهَا بِـشَكلٍ صحيـحٍ سـتُظْهَر أَنَّهَـا صَحِيحَـة تمامًـا فِـي كُلِّ مَـا تُؤَكِّـده، سَـوَاء فِـي مَـا يَتَعلَّـق بِالْعقيـدة أو الأخْلاق أو اَلعُلـوم الاجْتماعيَّـة أو الطَّبيعيَّـة أو عُلُـوم الحيَـاة».[٥٠]

«عِنْدمَـا تُعـرَف كُلُّ الحقائـق» -هـذَا لاَ يَعنِي أَنَّـه لاَ يُمْكننَا تَقدِيم أيِّ اِدِّعـاءٍ مُؤَكَّـدٍ بِوجـود مَعرِفـةٍ الآن. إذ تَعتَمِـد الحيَـاة العاديَّـة على هَـذِه اَلثقَـة فِـي كُلِّ نُقطَة تقْريبًا. ومع ذَلِك، فَإِنَّ مَا يُسَـمِّيه الفلاسـفة «التَّواضـعُ المعْرفـيُّ»، وَهُـو الاعْتـراف بِأَنَّنَـا لاَ نَعرِف كُلَّ شَـيْءٍ، وأَنَّنَا،

50 Paul D. Feinberg, "The Meaning of Inerrancy," in *Inerrancy*, ed. Norman L. Geisler (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1980), 294.

بِعَكس اَللَّه، قد نَكُون مُخْطئِين بِالْفِعْل، هُو فَضِيلَة فِكْريَّة تَستَحِقُّ الاهْتمام، خَاصَّةً عِنْدمَا يَبدُو أنَّ مَا نَعتَقِد أَنَّنَا نعْرفه يَتَعارَض مع كَلمَة اَللَّه اَلذِي يَعلَم كُلَّ شَيْء. قد تظلُّ بَعْض الصُّعوبات دُون حلٍّ، وَلكِن هُنَاك أَسبَاب وَجِيهَة لِلانْتظار.

قد يَكفِي مِثالاَن مُوجزَان لِإثْبَات أَهَمِّيَّة الحكْمة المتمثِّلة فِي الحذر عِنْدمَا يَبدُو أنَّ الحقيقة العلْميَّة أو التَّاريخيَّة تَتَعارَض مع تَعالِيم الكتَاب اَلمُقدَّس. فِي القرْن التَّاسع عشر نَشأَت الشُّكوك حَوْل الموثوقيَّة التَّاريخيَّة لِسَفر دانْيَال، ولاَ سِيَّما اَلمَلِك البابليُّ بِيلْشاصَّر.[٥١] فَقْد سَجَّلَت مَصادِر قَدِيمَة أُخرَى أنَّ نابونيدوس هُو آخر مُلُوك الإمْبراطوريَّة البابليَّة الجديدة. ومع ذَلِك، فِي النِّصْف اَلأخِير مِن القرْن التَّاسع عشر، اكْتُشِفَتْ أُسْطوانات نابونيدوس (نْبونِيد Nabonidus Cylinders) أوَّلاً، ثُمَّ كِتَاب أَخبَار نابونيدوس Nabonidus Chronicle، اَلذِي لَم يَذكُر اِبْن نابونيدوس، بِيلْشاصَّر، فحسْب، بل ذَكَرَ أيْضًا أَنَّه كثيرًا مَا كان يُترَك حاكمًا على بَابِل بيْنمَا كان والده بعيدًا عن المدينة، وَهُو مَا حدث لَيلَة سُقُوط بَابِل.[٥٢] هل يُمْكِن أن يَكُون هذَا هُو السَّبب فِي أنَّ أَفضَل مَا يُمْكِن أن يُقَدِّمَه بِيلْشاصَّر لِدانْيال هُو أن يَكُون «ثَالِثًا فِي الْمَمْلَكَةِ» (دانْيَال ٥: ١٦، ٢٩)؟ كان الوضْع أَكثَر صُعُوبَة فِي حَالَة دارْيوس المادِيِّ، وَهُو شَخصِيَّة أُخرَى مِن سفر دانْيَال. ومع ذَلِك، فَإِنَّ الاهْتمام

51 C. von Lengerke, *Das Buch Daniel: Verdeutscht u. ausgelegt* (Konigsberg: Borntrager, 1834), 204; F. Hitzig, *Das Buch Daniel* (Leipzig: Weidmann, 1850), 75.

52 James B. Pritchard, ed., *Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament with Supplement* (Princeton: Princeton University Press, 1969), 306, 313; Alan R. Millard, "Daniel in Babylon: An Accurate Record?," in *Do Historical Matters Matter to Faith? A Critical Appraisal of Modern and Postmodern Approaches to Scripture*, ed. James K. Hoffmeier and Dennis R. Magary (Wheaton, IL: Crossway, 2012), 269–72.

اَلدقِيـق بِترْتيبـات الـسُّلالات فِـي بِلاَد مـادِي وَفـارِس فِي ذَلِـك الوقْتِ قـد أَعطَى قـدْرًا كبيـرًا مِـن المصْداقيَّـة لِلاقْتـراح القائل بِـأنَّ دارْيوس وكـورش الفارسـيَّ كَانَـا نَفْـس الشَّـخْص، وأنَّ دارْيـوس رُبَّمَـا كان اِسْـم التَّنْصيـب اَلْخـاصَّ بِـه المُسْـتخْدَم فقـط فِـي اَلسـنَة اَلأُولى مِـن حُكْمِـه.[٥٣]

غالبًـا مَـا يَتِـمُّ اَلحدِيـث كثيـرًا عن عـدم وُجُـود أَدلَّة أَثرِيَّـة تَدعَم الرِّوايـات الكتابيَّـة عـن نِظَـامٍ مَلكِـيٍّ مُوحَّـدٍ قَـوِيٍّ تَحْت حُكْـم اَلمَلِك دَاوُد وخليفتـه سُـلَيْمَان. وقد أَدَّى ذَلِك عَـادَةً إِلى اِقتِراح أنَّ قِصَّة دَاوُد لَيسَـت قِصَّـةً تاريخيَّـةً بل أُسْـطوريَّة، علـى الرَّغْم مِن تَأكِيـد الكثيرين أنَّ «غيَـابَ الدَّليـلِ لَيْس دليلاً علـى الغيَاب».[٥٤] ومع ذَلِـك، يَتِمُّ إِجرَاء

53 Donald J. Wiseman, "Some Historical Problems in the Book of Daniel," in *Notes on Some Problems in the Book of Daniel*, ed. Donald J. Wiseman et al. (London: Tyndale, 1956), 9–16; John C. Whitcomb, *Darius the Mede* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1959); Joyce Baldwin, *Daniel* (Leicester: Inter-Varsity Press, 1978), 127; Ernest C. Lucas, *Daniel* (Nottingham: Apollos, 2002), 134–37. Millard, "Daniel in Babylon," 275–77.

هناك إعادة صياغة حديثة لاستنتاج مختلف، مستمدَّة من فحصٍ تفصيليٍّ لكتابات المؤرِّخ اليونانيِّ زينوفون (٤٣٠-٣٥٥ ق. م)، وهو أنَّ داريوس كان في الواقع اسمَ العرش لسيخاريس الثاني Cyaxares II، الملك الماديِّ الذي تقاسم السلطة مع كورش إلى عامين تقريبًا بعد سقوط بابل.

Steven D. Anderson, *Darius the Mede: A Reappraisal* (Scotts Valley, CA: CreateSpace, 2014).

54 Gregory J. Wightman, "The Myth of Solomon," *Bulletin of the American Schools of Oriental Research* 277/278 (1990): 5–22.

استقرأ إدوين ياموتشي Edwin Yamauchi من الدراسات الهوميريَّة إلى الدراسات الكتابيَّة وخلص إلى الاعتقاد بأنَّه «يجب أن يكون واضحًا أنَّ الانتقادات السلبيَّة للتقاليد غالبًا ما تعتمد على حجج الصمت، وبالتالي فهي لا تمثِّل عدمَ دقَّةِ التقاليد بقدر ما تمثِّل عدمَ كفايةِ ما لدينا من بياناتٍ أثريَّة».

Yamauchi, "Homer and Archaeology: Minimalists and Maximalists in Classical Context," in *The Future of Biblical Archaeology: Reassessing Methodologies and Assumptions*, ed. James K. Hoffmeier and Alan Millard (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2004), 88; David Merling, "The Relationship between Archaeology and the Bible: Expectations and Reality," in Hoffmeier and Millard, *The Future of Biblical Archaeology*, 33–34.

اِكْتشافات أَثرِيَّة جَدِيدَة طَوَال الوقْتِ. فِي عام ١٩٩٣، اِكتشَف فريقٌ مِن عُلَماء الآثَار قِطْعَةً مِن الصُّخور البازلْتيَّة تُدعَى نُقُوش تل دان The Tel Dan Inscription، وَيرجِع تاريخُهَا إِلى قَرْنٍ أو نَحْو ذَلِك بَعْد الوقْتِ المُفْتَرَض فِيه أنَّ اَلمَلِك دَاوُد قد حَكَمَ أُورشليم، ونُقِشَ عليْهَا اَلكلِمة الآراميَّة اَلتِي تَعنِي «بَيْت [أو سُلالَة] دَاوُد».[٥٥] وَفِي عام ٢٠٠٥، كُشِفَ عن أَنقَاض مَبنًى عامٍّ كبير فِي أُورشليم الشَّرْقيَّة مع قِطَعٍ فخَّارِيَّةٍ فِي طَبَقات أَعلَى وأسْفل مُبَاشرَةً، مِمَّا يُشير إِلى أَنَّه تمَّ تشْييده فِي القرْن العاشر قَبْل الميلاد، فِي الوقْتِ اَلذِي جعل دَاوُد المدينة عَاصِمةً لِمملكته.[٥٦] يُمْكِن ذِكْرُ عَدِيدٍ مِن هَذِه الأمْثلة. هَكذَا أيْضًا يَجِب أن نَكُون حَرِيصِين على عدم المُبالغة فِي تَقدِير مَا تُؤَكِّده تِلْك الاكْتشافات. إنَّ قِيمة نُقُوش تل دان تزيد قليلاً عن مُجرَّد الشَّهادة لِلصِّحَّة التَّاريخيَّة لِنَسل دَاوُد الملَكيِّ. كمَا يُشير المبْنى فِي أُورشليم الشَّرْقيَّة فِي حدِّ ذَاتِه فقط إِلى أنَّ «ثَقافَة قُرَى المرْتفعات كَانَت تَتحوَّل بِسرْعة إِلى مُجتَمَعٍ ‹حَضرِيٍّ أُوَّلِيٍّ›، يتَمتَّع بِطابع أَكثَر مَركزِيَّة بِكثيرٍ».[٥٧] إنَّهَا قِطع صَغِيرَة مِن أحجِية أَكبَر بِكثير. تَبقَى هناك أَسْئلة مهمَّة دُون إِجابة، ومشكلات مَا زَالَت دُون حلٍّ. ومع ذَلِك، وَبَينمَا يَجِب أن نَكُون مُتحفِّظين بِشَأن اِدِّعاءات «الإثْبَات» وأيْضًا رُبَّمَا يَجدُر بِنَا أن

55 Avraham Biran and Joseph Naveh, "An Aramaic Stele Fragment from Tel Dan," *Israel Exploration Journal* 43, no. 2/3 (1993): 81–98; Biran and Naveh, "The Tel Dan Inscription: A New Fragment," *Israel Exploration Journal* 45, no. 1 (1995): 1–18.

56 Eilat Mazar, "Did I Find King David's Palace?," *Biblical Archaeology Review* 32, no. 1 (2006): 16–27.

57 William G. Dever, *What Did the Biblical Writers Know and When Did They Know It? What Archaeology Can Tell Us about the Reality of Ancient Israel* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2001), 267.

نَتَحـدَّث عـن العلاقـة بَيْـن الكتَـاب اَلمُقدَّس وعلْـم الآثَار مِـن مَنظُور «التَّقـارب» و«المَعْقوليَّـة»، فَـإِنَّ هَـذِه الاكْتشـافات وَغيرهـا تُعْطينَـا سـببًا كافيًـا لِلثِّقة بِأنَّ الأسْـئلة لَيسَـت بِغَيـر قَابِلة لِلْإجابة والْمشـكلات لَيسَـت بِغَيـر قَابِلـة لِلْحـلِّ. تِلـك هِـي اِدِّعـاءات مُبتسـرَة لَكِنَّهَـا وَاثِقـة أنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس علـى خطـأ لِأَنَّـه لاَ يُوجَـد دليـل خَـارِج الكتَـاب اَلمُقـدَّس علـى الإطْلاق لِأَشْـخَاص مُعيَّنِيـن أو أَحـدَاث مُعَيَّنَـة يَجِـب مُراجعتهَـا مِـرارًا وتكْرارًا!

لَطَالمَـا كَانَـت صِحَّـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس وتوافقـه مـع الواقـع وتماسـكه الدَّاخلـيُّ تَحْـت اَلهُجـوم مُنْـذ حَادِثـة جَنَّـة عَـدن. «لَـنْ تَمُوتـا!»، هَكـذَا قَالَـت الحيَّـة لِلْمـرْأة فِـي مُوَاجهَـة تَحذِيـر اَللَّـه لَهَـا (التَّكْويـن ٣: ٤). وَزُرِع اَلشَّـكُّ فِـي صِحَّـة كَلمَـة اَللَّـه عمْـدًا مِـن أَجْـل التَّشْـكيك فِـي شَـخصِيَّة اَللَّـه وَقصدِه. ومع ذَلِك، لَيسَـت كُلُّ الأسْـئلة مُؤْذِيـة أو مُخَادعَـة. لِـذَا لاَ يَحْتـاج المسـيحيُّون أن يخافـوا أو يتجنَّبوا الفحْـص اَلدقِيـق لِلْأدِلَّـة، سَـوَاء دَاخِـل الكتَـاب اَلمُقـدَّس أو خَارِجـه. كمَـا قـال بِنْيامِيـن وارفيلـد: «بِكلِّ الأحْـوال، فلْتُخْتَبَـر عَقِيـدَةُ الكتَـاب اَلمُقـدَّس مِـن قِبَـل الحقائـق، ولْيكـن الاخْتبـار أَكبَـر، لاَ أَصغَـر، بـل فلْيكـن اِخْتبـارًا صارمًـا وَنافِـذًا، إِذ هُنَـاك قضايَـا عُظمَـى تَعتَمِـد علـى ذَلِـك الكتَـاب».[58] إِنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس قَـادِرٌ علـى الصُّمـود أَمَـام أيِّ هُجُـومٍ يَتَعـرَّض لَـه، ولـن يُظْهِـر أنَّ الإلـه اَلحَـيَّ مُضلِّـلٌ أو مُشـوَّشٌ. مَـا زال بِوسْـعِنَا تَأْيِيـد اِسْـتنْتاج وارفيلـد بِثقـة: «وهكـذَا فَـإِنَّ كُلَّ جُـزْءٍ مِـن الكتَـاب اَلمُقـدَّس يُعتَبَـر صحيحًا بِـشَكلٍ مَعصُومٍ عـن الخطأ فِي

58 B. B. Warfield, "The Real Problem of Inspiration," *The Presbyterian and Reformed Review* 4, no. 14 (1893): 214.

جميع مَا يُصرِّح بِهِ، أيًّا كان نَوعه».[٥٩]

59 Benjamin Breckinridge Warfield, "Inspiration and Criticism," in *The Inspiration and Authority of the Bible*, ed. Samuel G. Craig (repr., Phillipsburg, NJ: Presbyterian and Reformed, 1948), 420.

٥

طَابع الكتَاب اَلمُقدَّس [٢] الْكِفَايَة والْفعَّاليَّة

إِنَّ وُضُـوحَ وحقَّانيَّـةَ الكتَـاب اَلمُقـدَّس هُمَـا جانبَـان مِـن طبيعَته وقـد كَانَـا مَحطًّـا لِقَـدرٍ كـبيرٍ مِـن الاهْتمـام فِي السَّـنوات الأخيرة. وَكمَا رأيْنَـا، فهُما يتعلَّقان مُبَاشرَةً بِشـخْصِيَّة اَللَّه اَلذِي هُـو اَلمُؤلِّف الرَّئيسيُّ لِلْكتَـاب اَلمُقـدَّس. فَمِـن خِلاَل عَمـل رُوحـه وَمِـن خِلاَل عَامليَّـة أُولئك المُخْتاريـن والْمُجهَّزيـن خِصِّيصًـا لِهَذه اَلمُهِمَّة، يَتَواصَـل اَللَّه بِفعَّاليَّة وَصـدْقٍ فِي هَـذِه الكلمـات وبواسـطتهَا. فَهُو يَشـهَد لِابْنه وَيكشِـف عن خُطَّتـه الأبديَّـة، اَلتِي هِـي كَـبِيرَة بِمَـا يَكفِـي لِتشْـمل الخليقـة بِأكْملهَـا وَيسُـوع كَائِـنٌ فِي مَركزِهـا. وباعْتبـاره كَلمَـةَ اَللَّـه لَنَـا، فَإنَّه يُمْكِـن اَلوُثوق بِالْكتـاب اَلمُقـدَّس، وَهُـو أَكثَر مِـن قَـادِر على الصُّمـود فِي وَجْه تحدِّي أُولئـك الَّذيـن قـد يُشـكِّكون فِي وُضوحـه أو صِحَّتـه. ومع ذَلِـك، هُنَاك اَلكـثِير مِمَّـا يُمْكِـن قَولُـه عن طَبِيعَـة الكتَـاب اَلمُقدَّس.

الجانبـان اللَّـذَان نفْحصهمَا فِـي هذَا الفصْل، الْكِفَايـة والْفعَّاليَّة، يرْتبطـان أيْضًـا بِـشَكلٍ مُبَاشِـرٍ بِشـخْصِيَّة اَللَّـه، وَلكِـن يَبـدَأ بِهمَـا إِيلاَء الاهْتمـام إِلـى اِسْـتخْدام وَفائِـدة الكتَـاب اَلمُقدَّس (وَهُـو الأمْر اَلذِي سـأتطَرَّق إِلَيـه بِإِيجَـازٍ فِـي الفصْـل اَلأخِيـر). هـل الكتَـاب اَلمُقـدَّس يكْفينَـا؟ وهـل يُـشكِّل أيَّ فَارِقٍ؟ مَـرَّةً أُخرَى نَبدَأ بِيسـوع، بِمَـا قَالَه عن الكتَـاب اَلمُقـدَّس، وكيْـف وَجَّـه ذَلِك نَهْجَ رُسُـله، وَهُو فِـي الواقع أَمْرٌ يَنعَكِـس فِـي العهْـد اَلقدِيم نَفسـه. وبالْمناسـبة، لاَ يَنبَغِـي أن نَتفاجَأ بِـأنَّ هَـذِه «الصِّفَـات» اَلتِـي لِلْكتَـاب اَلمُقـدَّس قـد تَعرَّضَـت لِلتَّحَدِّي أيْضًـا، وَلكِـن رُبَّمَـا لَيْس بِنَفـس القدْر مِـن الصَّخَب اَلذِي اِسْـتعْرضْناه فِـي الفصْل السَّـابق.

كِفاية الأسْفار المُقدَّسة

الكفايـة هِـي إِسـنَادٌ غَيْـرُ كَامِلٍ. فَهُو يُثير سُـؤَالاً على الفـوْر: يَكفِي لِمـاذَا؟ إِنَّ لُجُـوء يَسُـوع إِلـى الكتَـاب اَلمُقـدَّس فِـي خِضـمِّ التَّجْربـة أو فـي أَثنَـاء خَوضِـه لِجَـدلٍ مُعيَّـنٍ هُـو أَمْـرٌ يُوضِّـح أَنَّـه اِفتـرَض أنَّ الكتَـاب كان كافيًـا فِـي كُلِّ مُنَاسـبَة لِلْإِجابـةِ عـن الاقْتـراح اَلمُقـدَّم أو السُّـؤَال المطْـروح (على سـبيل المثَـال؛ مَتَّـى ٤: ٤، ٧، ١٠). النُّقْطـة اَلتِـي أوْضحَهَـا مَثَـلُ الرَّجـل اَلغَنِـيِّ وَلعَـازر هِـي أنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس اَلمُتـاح فِـي ذَلِـك الوقْـتِ كان كافيًـا لِلْقُرَّاء لِفَهـم حَاجتِهم إِلـى التَّوْبة والْعَيْـش بِأمانـة فِـي العالم اَلذِي خَلقَه اَللَّه (لُوقَا ١٦: ١٩-٣١). وسـؤال يَسُـوع «أَمَـا قَرَأْتُـمْ [...]؟» يَحمِـل فِـي طَيَّاتِـه الافْتـراض «كان يَنبَغِـي أن يكُـون ذَلِـك كافيًـا. لَقـد أعْطاكـم اَللَّـه بِالْفِعْـل كُلَّ مَـا تحْتاجـون إِلَيـه لِلـرَّدِّ بِـشَكلٍ مُنَاسِـبٍ على هـذَا اَلموْقِـف» (اُنظُر مَتَّـى ١٢: ٣، ٥؛

١٩: ٤؛ ٢٢: ٣١). لَقد بدَا يَسُوع مُلْتزِمًا بِكفاية الكتَاب اَلمُقدَّس، وَمِن اَلمُؤكَّد أَنَّه تَحدَّى التَّقْليد اَلذِي أصرَّ عليْه القادة الدِّينيُّون مِن اليهود (مَتَّى ١٥: ١-٢٠). ومع ذَلِك، فِي الوقْتِ نَفسِه، تَكلَّم يَسُوع بِكلمَاتٍ أعْطاهَا لَه أبوه، وَتَوقَّع أن يَأخُذها سَامعُوه على مَحمَل اَلجِدِّ (مَتَّى ٧: ٢٤-٢٧؛ يُوحنَّا ١٢: ٤٧؛ ١٤: ٢٤)، وَكلَّف رُسلَه بِأن يُعلِّموا النَّاس «أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ» (مَتَّى ٢٨: ٢٠). بِقَدر مَا كَانَت هَذِه الكلمات تَتحدَّث عن الشَّيْء اَلجدِيد اَلذِي فَعلَه اَللَّه مِن خِلاَل يَسُوع، هل كَانَت تُضيف إلى الكتَاب اَلمُقدَّس اَلذِي كان سائدًا فِي زمنِ يَسُوع؟

لَقد كَتَبَ الرُّسل عن كِفاية الكتَاب اَلمُقدَّس أيْضًا. فَقْد ذَكَّر بُولُس تِيموثاوس بِأنَّ اَلكُتب المقدَّسة «قَادِرَةَ أَنْ تُحَكِّمَكَ لِلْخَلاَصِ، بِالإِيمَانِ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (تِيموثاوس الثَّانية ٣: ١٥). لَقد كَانَت تِلْك اَلكُتب كَافِية لِإتْمَام هَذِه اَلمهِمَّة. وَفِي السُّطور التَّالية مِن رِسالَته، أصرَّ الرَّسول على أنَّ كُلَّ الكتَاب اَلمُقدَّس لَم يَكُن مُوحًى بِه مِن اَللَّه فحسْب، بل أيْضًا «نَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ، لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانُ اللهِ كَامِلاً، مُتَأَهِّبًا لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ» (تِيموثاوس الثَّانية ٣: ١٦-١٧). والْكُتب المقدَّسة تَكفِي لِهَذه اَلأُمور. وَذهَبَ بُطرُس أَبعَد مِن ذَلِك عِنْدمَا أصرَّ على أَنَّه «بِمَعْرِفَةِ الَّذِي دَعَانَا بِالْمَجْدِ وَالْفَضِيلَةِ، اللَّذَيْنِ بِهِمَا قَدْ وَهَبَ لَنَا الْمَوَاعِيدَ الْعُظْمَى وَالثَّمِينَةَ»، فَإِنَّ اَللَّه قد وهبَ «لَنَا كُلَّ مَا هُوَ لِلْحَيَاةِ وَالتَّقْوَى» (بُطرُس الثَّانية ١: ٣-٤). إِنَّ الطَّريقة اَلتِي كَتَبَ بِهَا بُطرُس هَذِه اَلجُملة رَكَّزَت على «كُلِّ» هَذِه المعْرفة النَّاتجة عن وُعوده هِي كَافِية؛ لَقد أعْطانَا اَللَّه مَا نحْتاجه لِلْحيَاة والتَّقْوى. ومع

ذَلِك، فَإِنَّ الطَّرِيقَة اَلتِي تَوقَّع بِهَا بُولُس أن تَقرَأ الكنائس وتهْتمَّ بِالْأَشْياء اَلتِي كتبهَا، وَتصنِيف بُطرُس لِرسائل بُولُس مع «بَاقِي الْكُتُبِ أَيْضًا» (بُطرُس الثَّانية ٣: ١٦)، يُثير التَّساؤل حَوْل مَا إِذَا كان الكتَاب اَلمُقدَّس كافيًا بِالْفِعْل قَبْل أن تُكتَب تِلْك الرَّسائل.

يَنشَأ سُؤَالٌ مُمَاثِلٌ مِن فَحْص العهْد اَلقدِيم نَفسه. لَقد تَحدَّث مُوسَى إِلى بَنِي إِسْرائيل قُرْب نِهاية خِدْمته، مُحَذِّرا إِيَّاهم مِن مَخاطِر الحيَاة اَلتِي تنْتظرهم:

> مَتَى قَرَضَ الرَّبُّ إِلهُكَ مِنْ أَمَامِكَ الأُمَمَ الَّذِينَ أَنْتَ ذَاهِبٌ إِلَيْهِمْ لِتَرِثَهُمْ، وَوَرِثْتَهُمْ وَسَكَنْتَ أَرْضَهُمْ، فَاحْتَرِزْ مِنْ أَنْ تُصَادَ وَرَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَادُوا مِنْ أَمَامِكَ، وَمِنْ أَنْ تَسْأَلَ عَنْ آلِهَتِهِمْ قَائِلاً: كَيْفَ عَبَدَ هؤُلاَءِ الأُمَمُ آلِهَتَهُمْ، فَأَنَا أَيْضًا أَفْعَلُ هكَذَا؟ لاَ تَعْمَلْ هكَذَا لِلرَّبِّ إِلهِكَ، لأَنَّهُمْ قَدْ عَمِلُوا لآلِهَتِهِمْ كُلَّ رِجْسٍ لَدَى الرَّبِّ مِمَّا يَكْرَهُهُ، إِذْ أَحْرَقُوا حَتَّى بَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمْ بِالنَّارِ لآلِهَتِهِمْ. كُلُّ الْكَلاَمِ الَّذِي أُوصِيكُمْ بِهِ احْرِصُوا لِتَعْمَلُوهُ. لاَ تَزِدْ عَلَيْهِ وَلاَ تُنَقِّصْ مِنْهُ. (التَّثنية ١٢: ٢٩-٣٢)

إِنَّ الوصايَا اَلتِي أعْطاهم اَللَّهُ إِيَّاهَا، والشَّريعة اَلتِي كتبهَا لَهُم مُوسَى، كَانَت تَهدِف إِلى إِرْشادهم فِي اِسْتجابتهم لِلَّه ولخلَاصِه. لَم يكونوا بِحاجة إِلى البحْثِ فِي مَكَانٍ آخر، وَفِي الواقع كان مِن الخطر البحْث فِي مَكَانٍ آخر. فمَا أعْطاهم إِيَّاه اَلرَّبُّ كان كافيًا. وقد أَشَار مُوسَى إِلى نُقطَةٍ مُمَاثلَةٍ لاَحقًا فِي سِفْر التَّثْنية: «السَّرَائِرُ لِلرَّبِّ إِلهِنَا، وَالْمُعْلَنَاتُ لَنَا وَلبَنِينَا إِلَى الأَبَدِ، لِنَعْمَلَ بِجَمِيعِ كَلِمَاتِ هذِهِ الشَّرِيعَةِ» (التَّثْنية ٢٩: ٢٩). إِنَّ الأسْفار المقدَّسة لاَ تُخْبرنَا

بِكلِّ شَـيْءٍ. وَرُبَّمَـا لاَ تُخْبرنَـا بِكلِّ مَـا نـودُّ معْرفَته. لَكِنَّهَـا كَافِية لِتحْقِيق الغـرض اَلـذِي مِـن أَجلِـه أُعطِيَـت لِإسْـرائيل: «لِنَعْمَـلَ بِجَمِيـعِ كَلِمَاتِ هـذِهِ الشَّـرِيعَةِ» ومـع ذَلِـك فَـإِنَّ العهْـد اَلقدِيـم لَـم يُختَتَـم بِسِـفْرِ التَّثْنِيـة. وبعْـد سِـفْر التَّثْنِيـة جـاء التَّاريـخ النَّبَـويُّ والْمزاميـر والْأَمْثال والْحكْمـة وَغَيرهَا مِـن الكتابات، والنُّصوص النَّبويَّـة العظيمة لِلْمَمْلكة المُنْقسـمة ومَـا بعْدهَـا. إِذَا كان لَدى إِسْـرائيل مَا يكفِـي لِلْعيْش بِشَكلٍ لاَئِـقٍ كشـعْب اَللَّـه فِـي سِـفْر التَّثْنِيـة، فلمـاذَا كان البـاقـي ضَرورِيًّـا؟ ولمـاذَا سـبَّبَ اَللَّـه كِتابتَهَـا وحِفْظَهَا؟

عِنْـد هَـذِه النُّقْطة، يكُون تَعرِيف وِين غـرودِم Wayne Grudem لِكفايـة الكتَاب اَلمُقـدَّس مُفيدًا لِلْغاية:

> إِنَّ كِفايـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس تَعنِـي أَنَّ الكتَاب اَلمُقـدَّس يَحتَوِي على كُلِّ كلمـات اَللَّـه اَلتِـي أَرَاد أن تَكُـون لَـدى شَـعبِه فِـي كُلِّ مَرْحَلـةٍ مِـن مَراحِـل تَارِيخ الفـدَاء، وَأَنَّه يَحتَـوِي الآن على كُلِّ مَا نَحْتـاج أن يُخْبرَنَـا بِـه اَللَّـه مِـن أَجْـل الـخلاَص، والثِّقـة الكاملة بِـه، وطاعَتـه بِـشَكلٍ كَامِلٍ.[1]

الكلمـات «فِـي كُلِّ مَرْحَلـةٍ مِـن مَراحِـل تَارِيـخ الفـدَاء» تُمَكِّننَـا مِن رُؤيَـة أَنَّ كِفايـة الكتَـاب اَلمُقدَّس لاَ تَتَعارَض على الإِطْلاق مع الإِعْلان التَّدْريجـيِّ اَلـذِي وقـع فِـي جميـع أَجـزَاء العهْـد اَلقدِيـم وَحتَّـى كَلِمَة اَللَّـه الأخيـرة اَلتِـي قِيلـتْ فِي يَسُـوع اَلمسِيح (العبْرانيِّيـن ١: ١-٤). لَقد أَعطَـى اَللَّـه جِيـل البرِّيَّـة مَـا اِحْتاجـوه لِيعْملـوا «بِجَمِيـعِ كَلِمَـاتِ هذِهِ الشَّـرِيعَةِ». لَقد أَعطَى المَمْلكة فِي زمن دَاوُد وسـلِيْمان كُلَّ مَا تحْتاجه

1 Wayne Grudem, *Systematic Theology: An Introduction to Biblical Doctrine* (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1994), 127.

لِتعيـش فِـي عَهْـدٍ مـع اَلرَّبِّ اَلـذِي حَقَّـق كُلَّ وُعـوده (مُلُـوك الأوَّل ٨: ٥٦). وَلقَـد أَعطَـى يَهُـودَ القـرْن الأوَّل كُلَّ مَـا يحْتاجونه لِلْعيْـش بِأمانة والاعْتـراف بِيسـوع بِاعْتبـاره اَلمسِيح (يُوحنَّـا ١: ٤١، ٤٥). وَلقَـد أَعطَـى هـؤلاء فِـي الأيَّـام الأخيـرة، أيْ بَعْـد مَـوْت يَسُـوع الكفَّـاريِّ، وقيامتـه المنْتصـرة، وَصعُـوده، وَحتَّـى عَودَتِـه المجيـدة، كُلَّ مَـا نحْتاجـه نَحْن وَهُـم لِكـي نَعـرِف مَـن هُـو اَللَّـه، ومَـا فَعلَـه لَنَـا فِـي يَسُـوع وَبرُوحه، وكيْـف يَجِـب أن نعيـش وَنخـدِم فِـي ضَـوْء هَـذِه الأشْـياء. إنَّ اَلجُـزء الأساسـيَّ مِـن تَدبِيـر اَللَّـه فِـي كُلِّ مَرْحَلةٍ هُـو الكتَاب اَلمُقـدَّس اَلمُتاح آنـذاك. إنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس اَلمُتـاح فِـي كُلِّ لَحظَـةٍ يَكفِـي لِتلْـك اللَّحْظـة فِـي إِطَـار الحرَكة الكتابيَّة الشَّـاملة مِـن الوعْدِ إِلـى التَّحقِيق.

وَمـرَّةً أُخـرَى، مِـن اَلمهِـمِّ أن نَتَقصَّـى هَـذِه الخاصِّيَّـة لِلْكتَـاب اَلمُقـدَّس رُجوعًـا إِلـى شَـخْص وَطَبِيعَـة اَللَّـه اَلـذِي هَـذِه هِـي كلمتـه. ومـع ذَلِـك، فِي هَذِه الحالة على وَجْه اَلخُصـوص، يَجِب أن يَتِمَّ ذَلِك بِحَـذَرٍ. إذ إنَّ سِيادة اَللَّـه الثَّالوث واكْتفاءَه الذَّاتيَّ اَلشَّـخْصِيَّ هُو أَمْرٌ مُخْتَلِـفٌ تمامًـا عـن نِظَام الكتَـاب اَلمُقـدَّس. فالْكتاب اَلمُقـدَّس لَيْس مَوجُـودًا بِذاتـه. فَهُـو مَخلُـوق مِـن إِرادة اَللَّـه، وَتعبِيـرٌ عـن شـخْصيَّته وليْـس اِمْتـدادًا لِكيانـه. إذ يَخلُـق اَللَّـه مخْلوقاتـه ويتواصـل مَعهَا مِن خِلاَل أَعمَـال النِّعْمـة. إنَّ مُشـاركته فِـي العامليَّة الأصيلـة لِلْمخْلوقات البشـريَّة بِهَدف إِعلاَن شـخْصيَّته وَهدَفِه لِلْمخْلوقات البشـريَّة اَلأُخرى هُـو أيْضًـا عمـلٌ مِـن أَعمَـال النِّعْمـة. تَرتَبِـط كِفايـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس بِنَفـس صِفَـات اَللَّـه اَلتِـي تُلْقِـي الضَّوْء على وُضُوح الكتَـاب اَلمُقدَّس بـل وتُحتِّمـه فِـي الواقـع: قُـدرَة اَللَّـه وإحْسـانه. إنَّ اَللَّـه قَـادِر على تَقدِيـم نـصٍّ كافٍ لِتحْقِيـق هَدفِـه، وَمِـن مُنطَلَـق مَحبَّتِـه واهْتمامـه

بِخَيـر مخْلوقاتـه، اِخْتَـار أن يَفعَـل ذَلِك. يكشِـف بنديكت بِكْتِـت، مَرَّةً أُخـرَى، ثمـن المخاطـرة عِنْدمَـا يَتِـمُّ إِنكَار كِفايـة (أو كَمَـال) الكتَـاب اَلمُقـدَّس، سَـوَاء لِدَعم ضَـرُورَة تَقلِيد التَّعْليم المعْتمد لِكنيسـة رُومَا أو لِدَعـم المزاعـم بِالْوَحْي المباشـر مِن الأنابابتسـت وَمَـن خَلفُوهم. لِمـاذَا عَسَـاه يُعْطِـي اَلآبُ السَّـماويُّ لِأبْنائـه عَطيَّـة غَيْـر كَافِيـة؟ لِمـاذَا قـد يَرغَـب فقـط فِـي كِتابـة جُـزْءٍ مِمَّـا هُـو ضَـرورِيٌّ ويتْـرك الباقـي لـ «تَقلِيـد النَّـاس غَيْـر اَلمُؤكَّـد»؟[٢] لَيْـس اَللَّـه غَيْـرَ مُبَـالٍ بِاحْتياجـات مخْلوقاتـه؛ بـل هُـو يُعْطِـي بِسـخاء بِمَـا يَتَماشَـى مـع شـخْصيَّته ذات النِّعْمـة الوفيرة.

إنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس يَكفِـي لِلْمهِمَّة (أو المهَامِّ) اَلتِـي صَمَّمَه اَللَّه مِـن أَجلِهـا. ويصاحـب الرُّوح اَلقُـدس الكتَاب اَلمُقدَّس فِـي كُلِّ نُقطَةٍ، مِـن كِتابَتـه إِلـى اِسْـتقْباله، وَلكِـن هـذَا لَيْس بِسَـبب نَقْصٍ فِـي الكتَاب اَلمُقـدَّس. بـل إنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس كافٍ لِلتَّعْليـم والْوَعْـد والتَّحْذير، والْأَمْـر والدَّعْـوة، ولإثـارة الإيمـان وتغْذيتـه فِـي أُولئك الَّذين أتـوْا إِلى الحيَـاة الجديـدة فِـي الـرُّوح. لِذَلـك، كمَـا كتـب يُوحنَّـا قُـرْب نِهايـة إِنْجيلـه: «وَآيَـاتٍ أُخَـرَ كَثِيرَةً صَنَعَ يَسُـوعُ قُدَّامَ تَلاَمِيذِهِ لَـمْ تُكْتَبْ فِي هـذَا الْكِتَـابِ. وَأَمَّـا هـذِهِ فَقَـدْ كُتِبَـتْ لِتُؤْمِنُـوا أَنَّ يَسُـوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْـنُ اللهِ، وَلِكَـيْ تَكُـونَ لَكُـمْ إِذَا آمَنْتُـمْ حَيَاةٌ بِاسْـمِهِ» (٢٠: ٣٠-٣١).

يوجَـد جانبَـان لِكفايـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس كمَـا تـمَّ تأْكيدهَـا عَبْـر تَارِيـخ العقيـدة المسـيحيَّة: جَانِـبٌ جوهـريٌّ وَجانِـبٌ رسـميٌّ. لَقـد قَـدَّم تِيموثـي وَارْد تفْسـيرًا واضحًـا وبسـيطًا. **الجانـب الجوهـريُّ**

2 Benedict Pictet, *Christian Theology*, trans. Frederick Reyroux (Weston Green: L. S. Seeley, 1834), 42–43.

لِكفايـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس هُـو مَـا يُقصَـد غالبًـا عِنْـد اِسْـتخْدام هـذَا المصْطلح: «يَحتَـوِي الكتَـاب اَلمُقـدَّس علـى كُلِّ مَـا يَحْتـاج الإنْسـان إِلـى معْرفَتـه لِيخلُـص ويعيـش بِطريقـة تُرْضِـي اَللَّـه». أَمَّـا **الجانـب اَلرسْـمِيُّ** «فيتعَلَّـق بِالسُّـلْطة اَلتِـي يَتِـمُّ مِـن خِلالِهَـا تَفسِـير الكتَـاب اَلمُقـدَّس، ويؤكِّـد أنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس هُـو مُفسِّـر نَفسـه».[٣]

يَتَحـدَّث الجانـبُ الجوهـريُّ عن كَمَال الكتَاب اَلمُقـدَّس أو تَمامِه. إِنَّـه لاَ يَحْتـاج إِلـى مُلحَـقٍ مُكمِّـلٍ مِـن أَجْـل تَحقِيـق هَدفِـه، سَـوَاء تمَّ تَقدِيـم هـذَا اَلمُلحَـق مِـن قِبَـل السُّـلْطة التَّعْليميَّـة لِلْكنيسـة، أو اِكْتشـافات العقْـل البشَـريِّ وإِمْلاءاتـه، أو إِعْلانـات الـرُّوح الجديـدة. إِنَّ مَـا أُعطِـيَ لَنَـا يَكفِـي لِتعْريفنَـا بِقَصـد اَللَّـه الخلاصيِّ فِي اَلمسِيح، ولضمَـان الإيمـان، وإِرْشَـاد الحيَـاة المسيحيَّة. هَـذِه هِي اَلكلِمـة اَلتِي أَعْطاهَـا اَللَّـه لِلْكنيسـة بِروحـه. أَمَّـا الجانبُ اَلرسْـمِيُّ فيتداخـل مع مَا قُلتُـه عـن وُضُـوح الكتَـاب اَلمُقـدَّس. وَعلَـى الرَّغْـم مِـن أنَّ الدِّراسـة وممارسـة خِدْمَـة التَّعْليـم الأمينـة هُمَـا أَمـرَان يَحُـثُّ عَليهِمـا الكتَـاب اَلمُقـدَّس نَفسـه، ورغْـم أنَّ الـرُّوح اَلقُـدس يُصَاحِـب اَلكلِمـة لِإِحْدَاث الإِقْنـاع فِـي قَلْـب الإنْسـان، فَـإِنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس مَا زال هُو مُفسِّـر نَفسـه. إِنَّ الاهْتمـام اَلدقِيـق بِمَـا هُـو مَكتُـوب وسـياقه -وَخَاصَّـةً ضِمْـن الأسْـفار الكتابيَّـة القانونيَّـة- ومقارنـة أحـد النُّصـوص الكتابيَّـة بِنصـوصٍ أُخـرَى، كُلُّ هَـذِه هِـي أُمُـور تَحمِـي مِـن سُـوء الفهْـم. لَقـد حَـذَّر الرَّسـول بُولُـس أَهْـل كُورنثـوس قـائلاً: «أَنْ لاَ تَفْتَكِـرُوا فَـوْقَ مَـا هُـوَ مَكْتُـوبٌ» (كُورنثـوس اَلأُولـى ٤: ٦). إِنَّنا لَسـنَا مُلْزَمين بِالتَّفْسـيرات

3 Timothy Ward, *Word and Supplement: Speech Acts, Biblical Texts, and the Sufficiency of Scripture* (Oxford: Oxford University Press, 2002), 21.

أُجريَ تمييزٌ مماثلٌ في أوائل القرن السابع عشر في سلسلة المناقشات التي تمَّ جمعها تحت عنوان: A Synopsis of Purer Theology.

الرَّسْـميَّة لِلْكتَـاب اَلمُقـدَّس اَلتِي تُقَدِّمهَا الكنيسـة أو حَتَّـى الأكاديميا.

الكتَاب اَلمُقدَّس وَحدَه *Sola Scriptura*

فِـي زمـن الإصْلاح ومَـا بَعـدَه، تـمَّ تَلخِيـص هَـذِه الحقيقـة فِـي الشِّـعَار *Sola Scriptura* («بِالْكتـاب اَلمُقـدَّس وَحـدَه»). وَمِن الواضح أنَّ هـذَا لاَ يَعنِـي أنَّ الوعْـظ والتَّعْليـم لَـم يَعُودَا ضروريَّيـنِ الآن، ولاَ أَنَّـه يَنبَغِـي لنَـا التَّخَلُّـص مِـن كُلِّ كِتابَـات المفكِّريـن المسـيحيِّين عَبْـر اَلعُصـور. بـل كمَـا رأَينَـا مِـرارًا وتكْـرارًا، فَإِنَّـه حَتَّى أَقـوَى دُعَـاة الفهْم الإصْلاحـيِّ لِلْكتَـاب اَلمُقدَّس كَانُـوا مِن اَلوُعَّاظ الَّذين يقْتبسـون كلمات الآخريـن بِانْتظـامٍ. يَجِـب أَلاَّ نَكُـون مُتعجْرفيـن لِدرجـة أَنَّنَا نَقتَـرِح أَنَّه لَيْـس لَديْنَـا مَـا نتعلَّمـه مِـن أُولئـك الَّذيـن قَـرؤُوا الكتَـاب اَلمُقـدَّس قَبلنَـا أو الَّذيـن يقْـرؤون الكتَـاب اَلمُقـدَّس مَعنَـا. لَكِـنَّ كُلَّ الكتابـات اللاَّهوتيَّـة اَلأُخـرى يَجِـب اِخْتبارهَا فِي ضَـوْء الكتَاب اَلمُقـدَّس، وليْس العكْـس. مَـرَّةً أُخرَى، يَبقَى سُـؤَالنَا الأَوَّل والْمتكرِّر: مَـاذَا يَقُول الكتَاب اَلمُقـدَّس؟ ومـع ذَلِـك، وَفِـي تَنَاقُـضٍ مُتَعمَّـدٍ مـع الإصْلاحيِّيـن، أَعلَن اَلمَجمـع الكاثوليكـيُّ فِـي تِرنت أنَّ حقَّ الـخلاَص والانْضبـاط الأَخْلاقيّ «موْجـودان فِـي اَلكُتـب المَكْتوبـة والتَّقاليـد غَيْـر المَكْتوبـة»، وَنَتيجَـةً لِذَلك فَإِنَّ الكنيسـة «تَسـتقْبِل وتبجِّل بِتَعشُّـقٍ مُتَسـاوٍ مَلؤُه اَلخُشـوع والْوقـار، جميـع أَسـفَار العهْديْـنِ اَلقدِيـم والْجديـد [...] وَكذَلِـك التَّقاليـد المتواترة».[4]

وَفِـي ردٍّ فِعْـلٍ علـى هـذَا التَّبْجيـل لِلتَّقْليـد (اَلـذِي يَتَـردَّد صَـدَاه حَتَّـى فِـي بَعْـض فُرُوع اللاَّهـوتِ البروتسْـتانْتيِّ، كمَا يَنبَغِـي أن يُقَال)،

4 Council of Trent, session 4, "Concerning the Canonical Scriptures," April 8, 1546.

علىْنَا أن نَكُون حَريصِين على عدم إِساءة تَفسِير عَقِيدَة الكفاية بِطريقة تُنكِر كُلَّ المساعدات الخارجيَّة فِي قِراءة الكتَاب اَلمُقدَّس. فَكمَا أشرْنَا سابقًا، عِنْدمَا نَقرَأ الكتَاب اَلمُقدَّس، فَإِنَّنَا نَستخْدِم مَلَكَةً مُكتَسَبَة خَارِجيًّا بِاللُّغة البشريَّة، وَفِي بَعْض الحالات لَيْس فقط لُغتنَا الخاصَّة وَلكِن أيْضًا العبْريَّة والْآراميَّة والْيونانيَّة. إِنَّنا نُشغِل عُقولنَا بِالْفَهْم، وَذلِك بِاسْتخْدام اَلقُدرة المنْطقيَّة اَلتِي تمَّ تطْويرهَا جَرَّاء تفاعلاتٍ أُخرَى لِفَهم مَا يُقَال. وَنخْن نَقرَأ فِي إِطَارِ سِيَاقٍ: شَخصِيٍّ وثقافيٍّ بل وَحتَّى طَائِفِيٍّ. إِنَّنَا نَعتَرِف بِـ «السُّلطات» اَلأُخرى عِنْدمَا يَتَعلَّق الأمْر بِالْمعْرفة؛ فالْكتاب اَلمُقدَّس لَيْس هُو السُّلْطة الوحيدة، على الرَّغْم مِن أَنَّه هُو السُّلْطة النِّهائيَّة.[٥] إِنَّ اَلْحال هُنَا لَيْس هُو المعْنى اَلمُجرَّد لِلْكتَاب اَلمُقدَّس وَحدَه بِالْمعْنى الأكْثر صَرامَةً لِلْكلِمة (مَا وَصفَه البعْض بِأَنَّه «الكتَاب اَلمُقدَّس مُجَرَّدًا *nuda Scriptura*»)، إِذ إِنَّني **أَنَا** مَن يقْرأه. ومع ذَلِك، فِي كُلِّ حَالَةٍ، يُمْكِن أن نَكُون هَذِه عَوامِل مُشَوَّهَة عِوَضًا عن كوْنهَا عَوامِل مُفيدَة، أو حَتَّى كِلاَ الأمْرَيْنِ فِي آنٍ وَاحِدٍ. تِلْك العوامل هِي بِحاجة إِلى أن تُمتَحَن بِمَا يَتَماشَى مع تَشجِيع الرَّسول بُولُس بِشَأن النُّبوَّة: «امْتَحِنُوا كُلَّ شَيْءٍ. تَمَسَّكُوا بِالْحَسَنِ» (تَسالونيكي الأولى ٥: ٢١).

مَكَان اللاَّهوتِ النِّظاميِّ

هل تَعنِي Sola Scriptura أنَّ عِلْمَ اللاَّهوتِ، أو بِشَكلٍ أَكثَر

٥ يتحدَّث اللاهوتيُّون غالبًا عن السلطات أو الأعراف أو القواعد التي تخضع لسلطات أو أعراف أو قواعد أخرى (*norma normata*)، على النقيض من المعيار الوحيد الذي يحدِّد كلَّ شيءٍ آخر ولكن لا يمكن معايرته من قِبَل أيِّ معيارٍ آخر (*norma normans non normata*).

دِقَّـة عِلْـم اللاَّهـوتِ النِّظامـيِّ، غَيْـرُ ضَـرورِيٍّ أو حَتَّـى غَيْـرُ مُنَاسِـبٍ؟ فهـل هـذَا العلـم فِـي حـدِّ ذَاتِـه مِثَـالٌ علـى «تَفْتَكِـرُوا فَـوْقَ مَـا هُـوَ مَكْتُـوبٌ»؟ إِذَا أردْنَـا أن نَقُـول الصِّـدْقَ، فَإِنَّـه فِـي بَعْـض الأَحْيـان يَتَجـاوَز الأمْـر إِلـى مَـا هُـو أَبعَـد مِـن اللُّـزوم. إِذ تَتَـشكَّل بَعْـض أَبنِية اللاَّهـوتِ النِّظامـيِّ مِـن خِلاَل الاهْتمامـات والْأَفْكار اَلتِـي تَأْخُذنـا إِلـى مَـا هُـو أَبعَـد مِـن المكْتـوب. وَيمكِـن أن يُصْبِـح هـذَا العلـم مرْجعًـا لِذاتـه فِـي حـدِّ ذَاتِه بِشَكلٍ يَفُـوق اللاَّزمَ، إِذ تَطغَى كلمـات اللاَّهوتيِّين علـى نـصِّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس. وَمِن حَيْث المبْـدأ، فَإِنَّ الأمْـر لاَ يَختَلِف عِنْدمَـا يَكُـون اللاَّهوتيُّـون مُخْلِصِيـن وَذوِي إِيمَـانٍ قويـمٍ أو عِنْدمَـا تَكُـون النُّقْطـة المرْجعيَّـة الثَّابتـة لِفكْرِنَا وكتابتنَا هِـي قَوانِين الإِيْمان أو العقيـدة السَّـليمة وليْـس اَلكلِمـة اَلتِـي أعْطاهَـا اَللَّـه.

ومـع ذَلِـك، فَـإِنَّ عِلْـم اللاَّهـوتِ النِّظامـيِّ، مَتَـى فُهِـم بِـشَكلٍ صحيـح، فَهُـو يَنشَـأ مِن القناعات بخصـوص كِفاية الكتَـاب اَلمُقدَّس، اَلـذِي يُفهَـم علـى أَنَّه كَلمَة اَللَّـه الكاملة والْواضحة والْمتَّسـقة. يَتَعمَّق هـذَا اللاَّهـوتُ النِّظامـيُّ فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس لِيكْشـف الرَّوابـط بَيْن الجوانـب المخْتلفـة لِلْحـقِّ اَلـذِي يُعَلِّمـه، بـدلاً مِـن بِنَـاء تصوُّراتـه الخاصَّـة علـى أُسُـس كِتابِيَّـة مَغمُـورة. وَكمَـا سَـمِعنَا مِـن أحـد أَبـرَز عُلَمـاء عِلْـم اللاَّهـوتِ النِّظامـيِّ فِـي أَوائِل القـرْن الحادي والْعشْـرين:

> إِنَّ اللاَّهـوتَ هُـو عمـلٌ تفْسـيريٌّ لِأَنَّ مَوضُوعـه هُـو يَسُـوع اَلمسِـيح بيْنمَـا يُوصِّـل إِلَيْنَـا ذَاتـه مِـن خِلاَل الكتَـاب اَلمُقدَّس. وَلـذَا فَـإِنَّ الاهْتمام بِالْكتـاب اَلمُقدَّس لَيْس ضَرورِيًّا فحسْـب، بـل هُـو أَيْضًـا -بِالْمعْنى الحقيقيِّ- شـرْطٌ كافٍ لِعلْـم اللاَّهوتِ، لِأَنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس نَفسَـه لَيْـس ضَرورِيًّـا فحسْـب، وَلَكنَّـه

كافٍ أيْضًـا.[٦]

ومـع ذَلِـك، نَحْتـاج أيْضًـا إلـى إدرَاك أنَّ مِثْـل هـذَا اللاَّهـوتِ هُو مُمَارسَـة تعاونيَّـة، إذ يَتَشـارَك اَلحدِيـث مـع الآخريـن الَّذين يَسْـعوْن، أو سـعوْا، إلـى إكـرَام اَلمسِـيح وَخِدمَـة شَـعْب اَللَّه مِـن خِلاَل تَعلِيم مَـا يُعلِّـم بِـه الكتَـاب اَلمُقـدَّس بِأمانـة. ومـع ذَلِـك، لاَ بُـدَّ أن يَنشَـأ الارْتبـاك عِنْدمَـا يُصْبِـح شُـرَكاء المحادثـة أَنفسـهم هُـم مَـن يَتَولَّـى المحادثـة.

فِـي القـرْن السَّـابع عشـر، سـعى إقـرَار وِستمنسـتر إلـى شَـرْح أَهَمِّيَّـة رَبْـط اللاَّهـوتِ والْكتَاب اَلمُقـدَّس معًا فِي بَيانِـه لِكفاية الكتَاب اَلمُقـدَّس:

> إنَّ مَشُـورَة اَللَّـه الكاملـة، فِـي مَا يَتَعلَّـق بِكلِّ الأشْـياء الضَّروريَّة لِمجْـده، وَخَلاص الإنْسـان، وإيمانـه، وحياتـه، إمَّـا أَنَّهَـا مَنصُـوصٌ عليْهَـا صَراحَـةً فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس، وإمَّـا يُمْكِـن اِسْـتخْلاصهَا مِـن الكتَـاب اَلمُقـدَّس عـن طريق تَعاقُـبٍ مَنطقِيٍّ جَيِّـدٍ وَضـرُوريٍّ: اَلـذِي يَنبَغِـي أَلاَّ يُضَـاف إِلَيـه أيُّ شَـيْءٍ فِـي أيِّ وَقْـتٍ، سَـوَاء كان إِعْلانـات جَدِيـدَة مِـن الـرُّوح، أو بِتقاليـد البشـر. (١. ٦)

وَفِـي هـذَا، وَقَـفَ الإقْرار تمامًا مـع اَلمُصْلِح البروتسـتانتيِّ الأوَّل، مَارتِـن لُوثَـر، عِنْدمَـا أَعلَـن فِـي مَجلِـس فرميـزة أَنَّـه لَـن يَتَراجَـع، «مَـا لَـم أَقتَنـع بِواسِـطة شَـهادَة الأسْـفار المقدَّسـة أو **اَلمنْطِـق اَلجَلِـيِّ**».

6 John Webster, "Reading the Bible: The Example of Barth and Bonhoeffer," in *Word and Church: Essays in Church Dogmatics* (Edinburgh: T&T Clark, 2001), 110.

مِـن الواضـح أنَّ لُوثَـر لَـم يَكُـن يُحَـاجُّ مِـن أَجْل تَوافُـق سُـلطَة العقْل مـع الكتَـاب اَلمُقـدَّس، بـل مِـن أَجْـل «التَّعاقـب المنْطقـيِّ الجيِّـد والضَّـروريِّ» اَلـذِي يُمْكِـن اِسْـتخْلاصُه مِـن الكتَـاب اَلمُقـدَّس وَيجِـب اِمْتحانُـه مِـن خِلاَل الكتَـاب اَلمُقـدَّس. واخْتَتـم كلامَـه قـائلاً: «إِنَّنـي أَعتَبـر نَفسِـي قـد فُـزْتُ بِسَـبب النُّصـوص المقدَّسـة اَلتِـي اِقْتبسـتُهَا، وضميـري أسـير لِكلمـة اَللَّـه».[٧] ومـع ذَلِـك، والْأَكْثـر أَهَمِّيَّة مِـن ذَلِك، هُـو أنَّ يَسُـوع أَظهَـر مَـا كان يتضمَّنـه الاسْـتخْلاَص النَّاتـج «بِالتَّعاقُب الجيِّـد والضَّـروريِّ» عِنْدمَـا سَـأَلَ الصَّدُّوقِيِّين عَمَّـا إِذَا كَانُوا قـد قَرؤُوا الطَّريقـة اَلتِـي تَكلَّـم بِهَـا اَللَّـه عـن نَفسِـه «فِـي أَمْـرِ الْعُلَّيْقَـةِ» (انظـر الخـروج ٣: ٦) -«أَنَـا إِلـهُ أَبِيـكَ، إِلـهُ إِبْرَاهِيـمَ وَإِلـهُ إِسْـحَاقَ وَإِلـهُ يَعْقُـوبَ»- ثـمَّ اختتـمَ قـائلاً: «لَيْـسَ هُـوَ إِلـهَ أَمْـوَاتٍ بَـلْ إِلـهُ أَحْيَاءٍ» (مَرقُـس ١٢: ٢٦-٢٧).

ومـع ذَلِـك، هُنَـاك حَاجَـة إِلـى اَلمزِيـد إِذَا أردْنَـا أن نَفهَـم الشَّكْلَ اَلـذِي قـد يتَّخـذه اللاَّهـوتُ النِّظامـيُّ اَلأمِيـن عِنْدمَـا يَتَعامَـل مع نصِّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس. إنَّ الشَّـخْص اَلـذِي فَكَّـر وَكتَـب كثيـرًا عن مُمَارسَـة اللاَّهـوتِ وعلاقتـه بِالْكتـاب اَلمُقـدَّس هُو جُون وِبسْـتِر. يَسـتَحِقُّ أحد تفْسـيراته اللاَّحقـة (اَلذِي يَسـتخْدِم بِـشَكلٍ مُميَّزٍ مُصطَلَـحَ «العقائد» لِلْإِشـارة إِلـى «عِلْـم اللاَّهوتِ النِّظامـيِّ») التَّوَقُّـفَ لِلحْظةٍ:

> يُنتِـج اَلمنْطِـق العقائـديُّ تمْثـيلاً مفاهيميًّـا لِمَـا تَعَلَّمَـه العقْـل مِـن اِتِّباعِـه التَّفْسـيريِّ لِلنَّـصِّ الكتابـيِّ. فِـي العقائـد، يَتِـمُّ

7 Martin Luther, "Luther at the Diet of Worms," in *Luther's Works*, ed. Jaroslav Pelikan and Helmut T. Lehmann, 66 vols. to date (St. Louis: Concordia; Minneapolis: Fortress, 1955–), 32:112 (emphasis added). See Mark D. Thompson, *A Sure Ground on Which to Stand: The Relation of Authority and Interpretive Method in Luther's Approach to Scripture* (Carlisle: Paternoster, 2004), 249–82.

عَـرْض «مَسْـأَلة» الخطَـاب النَّبَـويِّ والرَّسـوليِّ بِلغـة مُختلفَـة، مَشـرُوحًا. ويـؤدِّي التَّمْثيـل المخْطـوط إِلـى تَمثِيـلٍ مفاهيمـيٍّ، يَتَجـرَّد مِـن سَـطْح اَلنَّـصِّ عـن طريق خَلْـق مَفاهِيـم مُعَمَّمَة أو مُوجَـزَة وترْتيبهَـا مَوضعِيًّـا. وَهذَا يُسـهِّل أَكثَر اَلوُصولَ اَلسـرِيع وغيْـر اَلمُجهـد وغيْـر المتكرِّر إِلـى مَوضُوع اَلنَّـصِّ. وَلكِن بِفعْل ذَلِـك، لاَ يَسـتغْنِي عِلْـم اللاَّهـوتِ عـن الكتَـاب اَلمُقـدَّس، أو يَركلـه بعيـدًا بِاعْتباره سـقَّالة مُؤَقَّتَة؛ بل إِنَّه يَسـتخْدِم بِبسـاطةٍ شـكْلاً مفاهيميًّـا ومَوْضوعيًّـا لِلْقيَـام بِمهـامَّ مُعَيَّنَـة مِـن جِهـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس. وتشْـمل هَـذِه: رُؤيَـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس فِي نِطاقـه الكامـل بِاعْتبـاره كشْـفًا عـن التَّدْبيـر الإِلَهـيِّ الواحـد؛ وَرُؤيَـة علاقاتـه الدَّاخليَّـة ووحْدَتـه القانونيَّـة؛ أَيْ رُؤيَـة كَيْـف يَتَناسَـب بَعضُـه مـع بَعْـضٍ.[٨]

ولاَ يَخلُـو هـذَا التَّفْسـير تمامًـا مِـن المُشـكِلاَت، لاَ سِـيَّما فِـي مَفهُومَـي «التَّجْريـد مِـن سَـطْح اَلنَّـصِّ» و«خَلْـق... المفاهيـم». ومع ذَلِـك لَـم يَكُـن المقْصـود مِنْـه قَـطُّ الانْفصـال عـن اَلنَّـصِّ، كمَـا أَنَّه لاَ يُوحـي بِـأَنَّ تَفسِـير اَلنَّصِّ سَـطحِيٌّ أو تمْهيـديٌّ بِأيِّ حالٍ مِـن الأَحْوال. وَمضَـى وِبسْـتِر فِـي الإِصْـرار:

> مَـا قـد لاَ يفْعلـه اَلمنْطِـق العقائديُّ هُـو التَّظاهر بِفَهـمٍ أَقوَى لِموْضـوع اَلمنْطِـق اللاَّهوتـيِّ مِمَّـا يُمْكِـن تحْقيقه بِاتِّبَـاع اَلنَّصِّ. فالْأَنْبيـاء والرُّسـل مُعيَّنـون مِـن قِبَـل اَللَّـه، وليْـس اللاَّهوتيُّـون كَذلِـك؛ والْـكلام النَّبَـويُّ والرَّسـوليُّ لاَ يُمْكِـن اِخْتزالـه؛ وكفايـة

8 John B. Webster, "Biblical Reasoning," in *The Domain of the Word: Scripture and Theological Reason* (London: T&T Clark, 2012), 130–31.

الكتَـاب اَلمُقـدَّس تَشـمَل كِفايَتـه **البلاغيَّة.**[٩]

المثَـال الأكْثـر وُضوحًـا لِهَـذا هُـو الثَّالـوث. كان تُونـي لِيـن Tony Lane مُحقًّـا فِي الإشـارة إلى أنَّ الكتَاب اَلمُقـدَّس «لاَ يَحتَوِي [ظَاهرِيًّا على الأقـلِّ] على عَقِيـدَة مُتَطـوِّرَة عـن الثَّالـوث»، حَتَّـى لَـو كَانَـت عَناصِـر تِلْـك العقيـدة مَوجُـودة فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس، وأنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس «لاَ يُمْكِـن تفْسـيره بِأمانـة إلاَّ مِن خِلاَل طَرِيقَـة ثالوثيَّة».[١٠] إنَّ عَقِيـدَة الثَّالـوث هِي عَقِيـدَة تَرْكيبيَّـة، لِأنَّهَا تَجمَع بَيْن أَقـوَال وعناصر مُختلفَـة مِـن الشَّـهادة الكتابيَّـة مِـن أَجْـل إِظهَـار رِوايتهَـا المتماسكة عـن اَللَّـه اَلحَـيِّ. وقـد شَـمِل ذَلِـك صِياغـة أو تَخصِيـص مُصْطلحـات مُعَيَّنَـة لِتلْخِيـص مَـا يُعلِّمـه الكتَـاب اَلمُقـدَّس. لَقـد صـاغ ترتليانـوس مُصطَلَحَ «الثَّالـوث» (*Trinitas*)، ومَجمَـع نيقيـة تَنـاوَلَ وَأَعـادَ صِياغة المُصْطلـح اَلـذِي يُسـاوِيه فِـي الأهمِّيَّـة (*homoousios*). قـد لاَ تَكُـون المصْطلحـات نفْسـهَا كِتابِيَّـةً، لَكِـنَّ المفاهيـم اَلتِـي عَبَّـرَت عَنهَـا هِـي كَذلِـك بِـشَكلٍ عميـقٍ: وحْدانيَّـة اللاَّهـوتِ غَيْـر القابلـة لِلاخْتـزال وَكذَا ثالوثيَّتـه غَيْـر القابلة لِلاخْتـزال؛ واتِّحَاد اَلآب والابْن والـرُّوح، اَلذِي هُو أَكثَـر بِكثيـرٍ مِـن مُجرَّد اِتِّحـاد إِرادة أو تَشـابُه، بل هُم «الكائـن عَيْنه». مُنْـذ الأيَّـام اَلأُولـى، فُهِمَـت عَقِيـدَة الثَّالـوث على أَنَّهَـا عَقِيـدَة كِتابِيَّة بِـشَكلٍ مُؤَكَّدٍ.

إِنَّ لُغَـةً ثالوثيَّـةً كَهـذِه مَطلُوبـة فِـي اللَّحْظـة اَلتِـي نُؤَكِّـد فِيهَـا أنَّ «الْكَلِمَـة كَانَ عِنْـدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَـةُ اللهَ» (يُوحنَّـا ١: ١)؛ وأنَّ الاسْـم

9 Webster, "Biblical Reasoning," 131 (emphasis original).

10 Anthony N. S. Lane, "Sola Scriptura? Making Sense of a Post-Reformation Slogan," in *A Pathway into the Holy Scripture*, ed. P. E. Satterthwaite & D. F. Wright (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1994), 319.

(اَلمُفرد) اَلـذِي تَعَمَّدنَـا بِـه هُـو «الآب وَالابْنِ وَالـرُّوحِ الْقُـدُسِ» (مَتَّى ٢٨: ١٩)؛ وأنَّ يَسُـوع يَسـتطِيع أن يَقُـول: «أَنَـا فِـي الآبِ وَالآبَ فِـيَّ» (يُوحنَّـا ١٤: ١٠-١١)، وَيمكِـن لِبولـس أن يَكتُـب عـن كُلٍّ مِـن «رُوح اَللَّـهِ» و«رُوح اَلمسِيحِ» (رُومية ٨: ٩). بِالطَّبْـعِ، يُمْكننَـا تَقدِيـم فِهْـرِس لِلْمقاطـع الكتابيَّـة مِثْـل تِلْـك المذْكـورة أَعلاَه، وَلكِـن حَتَّـى اِختِيـار الآيَـات اَلتِـي سَـيتِمُّ تضْمينهَـا سَـوْف يَنطَوِي على حُكْمٍ لاَهُوتـيٍّ.[١١] إِنَّ عِلْـم اللاَّهـوتِ النِّظامـيِّ اَلأمِيـن لاَ يَتَجـاوَز الكتَـاب اَلمُقـدَّس وَلَكنَّـه يَسـتخْدِم اَلمنْطِـق اَلـذِي تَجـدَّد بِالـرُّوح فِـي اِسْتكْشـافِ التَّماسـك الدَّاخلـيِّ لِلْكتَـاب اَلمُقـدَّس، ومراقبـةِ تَنَاسُـب اَلجُـزء فِـي اَلكُلِّ، والاسْـتمَاعِ إِلـى قُـرَّاء الكتَـاب اَلمُقدَّس الآخريـن عَبْر الأجْيـال، وَتوفِير «وُصُـولٍ سـرِيعٍ وغيْـر مُجهِدٍ وغيْـر مُتكرِّرٍ إِلـى مَوضُـوع اَلنَّصِّ»، على حـدٍّ تَعبِيـر وِبسْـتِر.

إِنَّ كِفايـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس، مِثْـل اَلوُضـوح والْحقَّانيَّـة، يَجِـب التَّأْكيـد عليْهَـا فِـي ضَـوْء غرض الكتَـاب اَلمُقدَّس. لَم يكُـن القصْدُ مِن الكتَـاب اَلمُقـدَّس أبـدًا أن يَكُـون دليلَ قِيـادةٍ، أو كِتَاب طَبْـخٍ، أو نصًّا لِحسـاب التَّفاضـل والتَّكامـل. وَهُـو لَيْس كافيًـا مِن جِهة تِلْك الأشْـياء. ومـع ذَلِـك، بِالنِّسْـبة لِأولَئـك الَّذيـن يعيشـون فِـي الأيَّـام الأخيـرة، فَـإِنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس كافٍ لِفَهـم طَبِيعَـة اَللَّـه وشـخْصيَّته وَهدَفِـه، والْـخلاص اَلـذِي قَدَّمَـه لَنَـا فِـي اَلمسِيح، وكيْـف يَدعُونـا إِلـى العيْش فِـي نُـور خَلاَصٍ عظيـمٍ كَهذَا.

---

١١ لمزيدٍ من هذه الأنواع من الأحكام اللاَّهوتيَّة في صياغة عقيدة الثالوث، انظر سكوت سوِين، **الثالوث: مقدِّمة** (القاهرة، مصر: EPI، ٢٠٢٢).

فَعَّالِيَّة الكتَاب اَلمُقدَّس

إِنَّ فَعَّالِيَّـة الكتَـاب اَلمُقدَّس، وقدْرَته على تَحقِيق هَدفِه، وَاضِحةٌ فِـي حَيَـاة يَسُـوع وخدْمَتـه. والْأكْثـر إِثـارة هُـو أَنَّ كَلِمتَـه كَانَـت قَويَّـة بِمَـا يَكفِـي لِتهْدِئـة العاصفـة (مَرْقُـس ٤: ٣٩) وإقامـة الأمـوات (يُوحنَّا ١١: ٤٣). ومـع ذَلِـك، تَوقَّـع يَسُـوع أن يكُـون لِكلماتـه تَأْثِيـرٌ على حَيَـاة الَّذيـن تَبعُـوه أيضًـا. وَكمَـا رأيْنَـا، يُمْكِـن أن يكُـون هـذَا التَّأْثير مُخْتلِفًا فِـي كُلِّ حَالَـةٍ، ويعْتَمـد على قَصْـد اَللَّـه وَشـخصِيَّة أُولئـك الَّذيـن خَرجَـت إِليْهـم تِلْـك اَلكلِمـة. إِذ لَـم يؤمـن كُلُّ مَـن سَـمِعهَا. وبقيـتْ بَعْـض اَلقُلـوب قَاسِـية ورفضـتْ أن تَأتِـي إِلَيـه بِالتَّوْبة والْإيمـان. بيْنمَا اِعتـرَف آخـرون قَائِلين: «يَـا رَبُّ، إِلَى مَنْ نَذْهَـبُ؟ كَلاَمُ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ عِنْـدَكَ» (يُوحنَّـا ٦: ٦٨). ومـع ذَلِـك، لَـم يكُـن الأمْـرُ أنَّ اَلكلِمـة كَانَـت قَويَّـة تَـارَةً وَدُون قُوَّةٍ تَـارَةً أُخرَى. إِنَّ اَلكلِمة اَلقويَّـة اَلتِي أعْطاهَا اَلآبُ لِيسـوعَ أن يَتَكلَّـم بِهَـا يُمْكِـن أن تَكُون أَدَاةً لِلْـخلاَص أو لَلدِّينونة. وَهُو قـد أَوضَـح: «لاَ يَقْـدِرُ أَحَـدٌ أَنْ يُقْبِـلَ إِلَـيَّ إِنْ لَـمْ يَجْتَذِبْـهُ الآبُ الَّذِي أَرْسَـلَنِي» (يُوحنَّـا ٦: ٤٤).

لَقـد اِنطـوَى اِحـتِكام يَسُـوع إِلـى العهْـد اَلقدِيـم على اَلثقَـة بِقُـدرَة كَلمَـة اَللَّـه على تَوجِيـه وَتغيِير الحيَـاة. فَقَـال لِلصَّدُّوقيِّين: «لاَ تَعْرِفُـونَ الْكُتُـبَ وَلاَ قُـوَّةَ اللهِ»، وَربَـط بَيْـن هذيْـنِ الأمْريْـنِ بِطريقـة مُوحيَـة لِلْغايـة. وَحَقيقَـة أنَّ هَذِه الكلمـات كَانَت مَكتُوبـة (على الرَّغْم مِـن أَنَّـه فِي السِّـيَاق اَلأصْلِيِّ، كثيرًا مَـا قِيلتْ اَلكلِمة قَبْـل أن تُكتَب) لاَ تَعنِـي أَنَّهَـا كَانَـت أقـلَّ قُـوَّةً. فَفِي نِهايـة المطَاف، الكلمـات المنْطوقة والْمكْتوبـة لَيْسـتَا شـيْئيْنِ مُخْتلفَيْـنِ تمامًـا، بـل هُمـا شـكْلانِ لِلشَّـيْء

نَفسِـه؛ أيْ كَلمَـة اَللَّـه.[١٢] لَـم تكُـن الوصايَـا اَلعَشـر أَكثَـر أو أقـلَّ قُـوَّةً وتأْثيـرًا عِنْـد النُّطْـق بِهَـا مِـن الجَبَـل مِمَّـا كَانَـت عليْـه عِنْـد قِراءتهَا مِن الأَلْـواح الحجريَّـة، أو كِتَاب الشَّـريعة، أو المخْطوطات الموْجودة فِي المجامـع اليهوديَّـة لِلْقـرْن الأَوَّل. لَقـد تَوقَّـع يَسُـوع أن تَتَحقَّق كلمات العهْـد اَلقدِيـم المكْتوبة فِـي حَياتِه وخدْمَته (لُوقَـا ٢٢: ٣٧؛ ٢٤: ٤٤). وقـد حَقَّقَـت هدفهَـا مِن الشَّـهادة لَـه، حَتَّى لَـو كان الفرِّيسـيُّون، فِي عماهـم، غَيْـر مُسْـتعدِّين لِقبـول تِلْك الشَّـهادة، وهكذَا أظْهـروا أَنَّهُم تَحْـت دَينُونـة اَللَّه (يُوحنَّـا ٥: ٣٩-٤٠).

إِنَّ التَّأْثيـر اَلقَـوِيَّ لِكلمـة اَللَّـه هُو مَوضُـوعٌ ثَابِتٌ فِـي جميع أَجزَاء الكتَـاب اَلمُقـدَّس. إِنَّ أَمْـرَ اَللَّه الخالق «لِيَكُـنْ [...] فَكَانَ» (التَّكْوين ١: ٣، ٦-٧، ٩، ١١، ١٤-١٥، ٢٤) يُحـدِّد هـذَا النَّمـط. إِذ إِنَّ كَلمَـة اَللَّـه تَحقِّق مَـا يُريـد اَللَّـه أن تُحَقِّقَـه. لَقد «صَـارَ كَلاَمُ الـرَّبِّ إِلَى أَبْـرَامَ» (*dabar yhwh*) (التَّكْويـن ١٥: ١)، وَتكشِـف الرِّوايـات البطريركيَّـة، وَفِـي الواقع بَقيَّـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس، عـن التَّأْثير اَلقَوِيِّ لِهَـذه اَلكلِمة: تَكْـرار الوعْد بِبنـاء أُمَّـة عَظِيمَة، ومنْحهم اِسْـمًا عظيمًا، وجلْبهم إِلـى أَرْضٍ مُبَارَكَةٍ، وأن يَتَبـارَك كُلُّ العالـم مِـن خِلالِهـم فِـي الوقْـتِ اَلمُعيَّـن (التَّكْويـن ١٢: ١-٣). لَقـد حُـذِّرَت إِسْـرائيل مِـن أَنَّـه إِذَا تَكلَّـمَ اَلنبِـيُّ بِكلمـة «وَلَـمْ يَحْـدُثْ وَلَـمْ يَصِـر» فَهِـي لَيسَـت كَلمَـةً تَكلَّـم بِهَـا اَلـرَّبُّ (التَّثْنيـة ١٨: ٢٢؛ إِرْمِيَـا ٢٨: ٩؛ المراثي ٣: ٣٧). وَكمَـا ذكَّـرَ اَلـرَّبُّ حزْقيَـال: «أَنَـا

١٢ كانت هذه نقطةً أكَّدَها البروتستانت في أعقاب النقد الكاثوليكيِّ في العقود التي تَلَت الإصلاح.
J J. Cameron, *A Tract of the Soueraigne Iudge of Controuersies in Matters of Religion*, trans. J. Verneuil (Oxford: Turner, 1628), 22–24; Bruce P. Baugus, "Living and Active: The Efficacy of Scripture as God's Word," *Reformed Faith and Practice* 1, no. 3 (2016): 25–26; Richard Muller, *Post-Reformation Reformed Dogmatics: The Rise and Development of Reformed Orthodoxy, ca. 1520 to ca. 1725*, vol. 2, *Holy Scripture*, 2nd ed. (Grand Rapids, MI: Baker, 2003), 200.

الـرَّبَّ تَكَلَّمْـتُ. يَأْتِي فَأَفْعَلُـهُ» (حزْقيَـال ٢٤: ١٤). وعنْدَمَـا تَكلَّـم اَلنبِيُّ بِالْكلمـات اَلتِي أَعطَـاه إِيَّاهَا اَللَّه، عَـادَت الحيَاة إِلى العظَام اليابسـة (حزْقيَـال ٣٧: ١-١٠). هَكـذَا المزْمـوران ١٩ و١١٩ يُمجِّـدَان كَلمَـة اَلـرَّبِّ اَلتِي تُحْيِـي النَّفْسَ، وتحكِّم البسـطاء، وتُفَرِّح القلْـبَ، وتنير اَلعُيون، كَلمَـة اَلحَـقِّ اَلتِي تَفِـي بِوعْدِهَـا بِالْحيـاة. ومع ذَلِـك، هُنَا أَيْضًـا يُمْكِن لِكلمـة اَلـرَّبِّ أن تَكُـون كَلمَـةَ دَينُونـةٍ، كمَـا فِـي الإِرْسـاليَّة الموكلـة إِلـى إِرْميَـا. إِذ قِيـل لِلنَّبِيِّ:

«هَا قَدْ جَعَلْتُ كَلاَمِي فِي فَمِكَ» (١: ٩).

اُنْظُـرْ! قَـدْ وَكَّلْتُـكَ هـذَا الْيَـوْمَ عَلَى الشُّـعُوبِ وَعَلَـى الْمَمَالِكِ، لِتَقْلَـعَ وَتَهْـدِمَ وَتُهْلِـكَ وَتَنْقُـضَ وَتَبْنِيَ وَتَغْـرِسَ. (١: ١٠)

سَـوَاء كان ذَلِـك لِلْخلاَص أو لَلدَّينونة، فَـإِنَّ قَصْد اَللَّه فِي التَّكَلُّم، مُبَاشـرَةً أو مِن خِلاَل أَنْبيائه، سَـوْف يَتَحقَّق، كمَا أَوضَح لإِشـعياء:

لأَنَّـهُ كَمَـا يَنْـزِلُ الْمَطَـرُ وَالثَّلْـجُ مِـنَ السَّـمَاءِ وَلاَ يَرْجِعَـانِ إِلَـى هُنَـاكَ، بَـلْ يُرْوِيَـانِ الأَرْضَ وَيَجْعَلاَنِهَا تَلِدُ وَتُنْبِـتُ وَتُعْطِي زَرْعًا لِلـزَّارِعِ وَخُبْـزًا لِلآكِلِ، هكَـذَا تَكُـونُ كَلِمَتِي الَّتِي تَخْـرُجُ مِنْ فَمِي. لاَ تَرْجِـعُ إِلَـيَّ فَارِغَـةً، بَـلْ تَعْمَـلُ مَـا سُـرِرْتُ بِـهِ وَتَنْجَـحُ فِـي مَـا أَرْسَـلْتُهَا لَـهُ. (٥٥: ١٠-١١)

إِنَّ شَـهادَة العهْـد اَلجدِيـد عـن فَعَّاليَّـة اَلكلِمـة تَتَّفِـق مع شَـهادَة يَسُـوع والْعَهْـد اَلقدِيـم. يُسـجِّل سِـفْر أَعمَـال الرُّسـل فِـي ثَلاَث مُناسـبات «وَأَمَّـا كَلِمَـةُ اللهِ فَكَانَـتْ تَنْمُـو وَتَزِيـدُ» فِـي تِلْـك السَّـنوات اَلأُولـى (أَعمَـال الرُّسـل ١٢: ٢٤؛ رَاجِـع ٦: ٧؛ ١٩: ٢٠). الكلمـات اَلتِـي أَخذَهـا الرُّسـل وآخـرون إِلـى العالـم كَانَـت هِـي «كَلاَمِ هـذِهِ الْحَيَاةِ»

(أَعمَال الرُّسل ٥: ٢٠)، وقد اِخْترقوا الحاجز اَلقدِيم بَيْن اليهود والْأمم (أَعمَال الرُّسل ١١: ١٤). وَكتَب بُطرُس عن «كَلِمَةِ اللهِ الْحَيَّةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى الأَبَدِ» وَأطلَق على هَذِه اَلكلِمة بِأنَّهَا «هِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي بُشِّرْتُمْ بِهَا» (بُطرُس اَلأُولى ١: ٢٣-٢٥). كَتَب يَعقُوب عن «كَلِمَةِ الْحَقِّ» وعن «الْكَلِمَةَ الْمَغْرُوسَةَ الْقَادِرَةَ أَنْ تُخَلِّصَ نُفُوسَكُمْ» (يَعقُوب ١: ١٨، ٢١). كَتَب بُولُس كَيْف أنَّ كَلمَة اَللَّه «تَعْمَلُ أَيْضًا فِيكُمْ أَنْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ» (تسالونيكي اَلأُولى ٢: ١٣).

لَقد فَهِم الرَّسول بُولُس بِوضوحٍ اَلقُوَّةَ الفعَّالة لِلْكلِمة فِي تطْبيقهَا على اَلكلِمة المكْتوبة وَكذَلِك اَلكلِمة المنْطوقة. ولاَ يَهُمُّ مَا إِذَا كان حاضرًا لِمخاطبة أَهل كُورنثوس شخْصيًّا أو أنَّ رِسالَته قد قُرِئَت فِي الكنيسة. فَيقُول: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْسِبُ نَفْسَهُ نَبِيًّا أَوْ رُوحِيًّا، فَلْيَعْلَمْ مَا أَكْتُبُهُ إِلَيْكُمْ أَنَّهُ وَصَايَا الرَّبِّ» (كُورنثوس اَلأُولى ١٤: ٣٧). هَكذا الرَّسول نَفسه اَلذِي اِشْتَاق إِلى الكرازة فِي رُومَا، مُدْرِكًا أنَّ الإِنْجيل هُو «قُوَّةُ اللهِ لِلْخَلاَصِ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ» (رُومية ١: ١٦)، يُمْكِنه أَيْضًا أن يَكتُب إِلى تِيموثاوس عن «الْكُتُبَ الْمُقَدَّسَةَ، الْقَادِرَةَ أَنْ تُحَكِّمَكَ لِلْخَلاَصِ، بِالإِيمَانِ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» سَوَاء كَانَت مَنطُوقة أو مَكتُوبة، فَهِي كَلمَة اَللَّه وَهذِه اَلكلِمة قَويَّة. فَهِي تُؤهِّل خَادِم اَللَّه لِكلِّ عملٍ صَالِحٍ (تِيموثاوس الثَّاني ٣: ١٥، ١٧).

إِنَّ أَكمَل عِبارة فِي العهْد اَلجدِيد عن فَعَّالِيَّة الكتَاب اَلمُقدَّس تَأتِي مِن الكَاتِب إِلى العبْرانيِّين. فَيقُول مُحَذِّرًا مِن خُطُورَة رَفْض الاسْتماع والْعصْيان: «لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ

وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ» (العبْرانيِّين ٤: ١٢). إنَّ تَأْثِير كَلمَة اَللَّه عميقٌ. وقد نَتَحدَّث عن قُدْرتِهَا على «اِختِراق أجْسادنَا»، وَلكِن أَكثَر مِن ذَلِك، إذ هِي تَكشِف مَا هُو مَخفِيٌّ بِعمْقٍ فِي دَاخِلِنا. فَهِي قَادِرة على اِختِراق كُلِّ عَقبَة تَقُوم فِي وجْهِهَا وإِحْبَاط كُلِّ مُحَاولَةٍ لِإِخْمادهَا. إنَّ كَلمَة اَللَّه هِي «سَيْفَ الرُّوحِ» (أَفسُس ٦: ١٧)، وَأَحَد تِلْك الأسْلحة اَلتِي يُصِرُّ بُولُس على أَنَّهَا «قَادِرَةٌ بِاللهِ عَلَى هَدْمِ حُصُونٍ» (كُورنثوس الثَّانية ١٠: ٤). إنَّ هَذِه اَلكلِمة قَويَّة بِمَا يَكفِي لِإعادة تَوجِيه قَلْبِ الإنْسان.

إنَّ قُوَّة كَلمَة اَللَّه تَرتَكِز على قُوَّة اَللَّه صَاحِب اَلكلِمة؛ اَللَّه الثَّالوث اَلقدِير. تقْليديًّا، تُوصَف هَذِه اَلسمَة الإلهيَّة بِأَنَّهَا اَلقُدرة المُطْلقة. فليْس هُنَاك أحدٌ مثل إلهنَا (اَلخُروج ٨: ١٠؛ المزامير ٨٦: ٨؛ إرْميَا ١٠: ٦). فَهُو فريدٌ فِي اَلقُوَّة، كمَا أَنَّه فريدٌ فِي الحِكْمة والصَّلاح الخالص. مِن اَلمُهِمِّ أن نَتَذكَّر تَماسُك صِفَات اَللَّه وبساطته، الأمْر اَلذِي يَتَطلَّب أَلاَّ تَكُون تِلْك الصِّفَات «أَجزَاءً» مِن اَللَّه، بل شخْصيَّته الوحيدة المتَّسقة اَلتِي يُنظَر إِلَيْهَا مِن نِقَاط مَرجعِيَّة مُختلفَة. فِي هذَا يُمْكننَا أن نرى لِماذَا لاَ تَتَدهوَر قُوَّته المُطْلقة وغيْر المُقيَّدة إِلى طُغْيانٍ: بِالتَّحْديد لِأنَّ مُمارستهَا فِي العالم هِي دائمًا فِي نَفْس الوقْتِ مُمَارسَة لِصلاحه، فضْلاً عن بِرِّه ورحْمَته. وَهُو فِي قُوَّة دِينونْته المُخيفة يُخلِّص أيْضًا، كمَا يَشهَد سِفْر الرُّؤْيَا مِرارًا وتكْرارًا. إنَّ اَلصلِيب هُو دليل على المحَبَّة اَلقويَّة (رُومية ٥: ٨) وأيْضًا على اَلبِرِّ (رُومية ٣: ٢٥-٢٦). يُمَارِس اَللَّه نُفُوذَه فِي كُلِّ مِن اَلخَلْق والْفداء بِسهولة مُتلائلة. لَيْس هُنَاك شيْءٌ يَصعُب عليْه (التَّكْوين ١٨: ١٤؛ أيُّوب ٤٢: ٢؛ إِرْميَا ٣٢: ١٧؛ لُوقَا

١: ٣٧). لاَ شَيْءَ يُبْطِل قَصدَه (إشعِياء ٤٦: ١٠)، ولاَ شَيْءَ يَستطِيع أن يُقَاوِم إِرادَته (رُومية ٩: ٩)، ولاَ أحد يَستطِيع أن يُقَاومَه (أَخبَار الأيَّام الثَّاني ٢٠: ٦).

وَفِي هذَا الصَّدد يَكُون اِسْتخْدامه لِلْكلمات مُهمًّا. فَهُو «الَّذِي يُحْيِي الْمَوْتَى، وَيَدْعُو الأَشْيَاءَ غَيْرَ الْمَوْجُودَةِ كَأَنَّهَا مَوْجُودَةٌ» (رُومية ٤: ١٧). ومَا عليْه إلاَّ أن يَتَكلَّم لِيَكن مَا يَقُول. ومع ذَلِك، فِي كُلِّ مُنَاسبَة، فَإِنَّ هَذِه اَلكلِمة اَلقوِيَّة تَكُون مَصحُوبةً بِروحه.

اَلكلِمة والرُّوح لاَ ينْفَصِلاَن

إِنَّ عدم اِنفِصال كَلمَة اَللَّه عن رُوحِ اَللَّه هُو تَعبِيرٌ خاصٌّ عن عدم اِنفِصال أَقانِيم الثَّالوث. فإرْساليَّة الابْن بِاعْتباره اَلكلِمة المتجسِّد لَم تَكُن شيْئًا يُمْكِن القيَام بِه بِمعْزِلٍ عن اَلآب أو الرُّوح اَلقُدس. إِنَّنا نُوَاجِه الرُّوح اَلقُدس فِي أَوقَاتٍ حَرِجَة في أَثنَاء خِدْمَة يَسُوع على الأَرْض: فقد مَكَّن الرُّوح الحَبَلَ العذْراويَّ (لُوقَا ١: ٣٥)؛ وَنزَلَ الرُّوح على يَسُوع عِنْد معموديَّته (متَّى ٣: ١٦-١٧)؛ واقْتَاد الرُّوح اَلقُدس يَسُوع إِلى البرِّيَّة لِيُجرَّب (مَتَّى ٤: ١)؛ وَطَبَّق يَسُوع على نَفسِه النُّبوَّة المتعلِّقة بِالْمبشِّر بِخلاص اَللَّه الممْسوح بِالرُّوح (لُوقَا ٤: ١٧-٢١)؛ وأَوْضح أنَّ عَملَه فِي إِخرَاج الشَّياطين هُو «بِرُوحِ اَللَّهِ» (مَتَّى ١٢: ٢٨)؛ وَوعَد أَنَّه سَيرسِل الرُّوح مِن اَلآب (يُوحنَّا ١٤: ٢٦؛ ١٥: ٢٦؛ ١٦: ٧)؛ وَعلَى اَلصلِيب قَدَّم يَسُوع نَفسَه لِلَّه بِلاَ عَيْبٍ «بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ» (العبرانيِّين ٩: ١٤).

هذَا لاَ يَعنِي أنَّ عملَ يَسُوع كان غَيْر فَعَّالٍ وَكَان بِحاجة إِلى جَعلِه فعَّالاً بِواسِطة الرُّوح اَلقُدس. فَهُو الابْن اَلذِي هُو «حَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ

بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ» (العبْرانيِّين ١: ٣). ومع ذَلِك فَإِنَّ إِرْساليَّتَيْ الابْن والرُّوح لَيْستَا مُنْفصلَتيْنِ أو مُسْتقلَّتيْنِ. بِمعْنًى آخر، عمَلُ اَلكلِمة المتجسِّد وَعمَلُ الرُّوح لاَ ينْفصلان. لَيْس مِن المفاجئ إِذًا أن نَجِد اَلكلِمة المكْتوبة وقد رافقَهَا الرُّوح اَلقُدس دائمًا: «تَكَلَّمَ أُنَاسُ اللهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (بُطرُس الثَّانية ١: ٢١)، والرُّوح هُو اَلذِي يَجعَل الحقائق الرُّوحيَّة تُقبَل لَدى مَن يسْمعون أو يقْرؤون (كُورنثوس اَلأُولى ٢: ٩-١٣).

كان عدم الفصْل بَيْن اَلكلِمة والرُّوح مَوضُوعًا رَئيسِيًّا خِلاَل عَصْر الإِصْلاح. بِالنِّسْبة إِلَى لُوثَر والْمُصْلحين الأوائل، كان مِن اَلمهِمِّ التَّأْكيد على أنَّ اِدِّعاء اِقتِناء الرُّوح بِشَكلٍ مُسْتَقِلٍّ عن اَلكلِمة، وَهُو اِدِّعاء قَدَّمَه بَعْض المُصْلحين الأكْثر تطرُّفًا، كان اِدِّعاءً خطيرًا. كَتَب لُوثَر: «علَيْنَا أن نَتَمسَّك بِقوَّة بِالاقْتناع بِأنَّ اَللَّه لاَ يَمنَح أحدًا رُوحَه أو نِعْمتَه إِلاَّ مِن خِلاَل اَلكلِمة الخارجيَّة اَلتِي تَسبِقه». لَقد حَذَّر لُوثَر مِن أُولئك، مِثْل تُوماس مُونتزِر Thomas Müntzer، الَّذين «يفْتَخرون بِأنَّهم يقْتنون الرُّوح اَلقُدس من دون اَلكلِمة وَقَبلهَا، وبالتَّالي يَحكُمون ويفسِّرون ويحرِّفون الكتَاب اَلمُقدَّس أو اَلكلِمة المنْطوقة وفْقًا لِرغْبتهم».[١٣] كان لَدى كَالفن قَلَقٌ مُمَاثِلٌ: «فَلأَن اَلرَّبَّ رأى مدى خُطُورَة الافْتخار بِالرُّوح من دون اَلكلِمة، فقد أَعلَن أنَّ الكنيسة بِالْفِعْل يَحكُمها الرُّوح اَلقُدس، وَلكِن لِكيْ لاَ تَكُون تِلْك الحاكِميَّة غَامِضةً وغيْرَ مُسْتقِرَّةٍ، ضَمَّهَا إِلى اَلكلِمة».[١٤] وَعلَى وَجْه اَلخُصوص، دَفَع كَالفن فِي الاتِّجاه المعاكس

13 Martin Luther, "The Schmalkaldic Articles (1536/7)," in William R. Russell, *Luther's Theological Testament: The Schmalkald Articles* (Minneapolis: Fortress, 1995), 145.

14 John Calvin and Jacopo Sadoleto, *A Reformation Debate: Sadoleto's Letter to the Genevans and Calvin's Reply*, ed. John C. Olin (Grand Rapids, MI: Baker, 1976), 60.

أيْضًا، وَأصَرَّ على **الرِّبَاط المُشْتَرَك** لِلْكلِمة والرُّوح:

> لِأَنَّه بِنَوعٍ مِن الرِّبَاط المُشْتَرَك، جَمَعَ اَلرَّبُّ بَيْن اَليقِين بِكلمَته وَروحِه، حَتَّى يُثْبِت دِين اَلكلِمة الكامل فِي أذْهانَنا عِنْدمَا يُضيء الرُّوح اَلذِي يجْعلنَا نَتَأمَّل وَجْه اَللَّه؛ وَلكَي نُعَانِق نَحْن بِدوْرِنَا الرُّوح دُون خَوْفٍ مِن الانْخداع عِنْدمَا نَتَعرَّف عليْه فِي صُورته، أيْ اَلكلِمة. هذَا هُو اَلْحال بِالْفِعْل. لَم يَأْتِ اَللَّه بِكلمَته بَيْن البشر مِن أَجْل عَرْضٍ مُؤقَّتٍ، قاصدًا مجيء رُوحه لِيبْطلهَا. بل أَرسَل الرُّوحَ نَفسَه اَلذِي بِقوَّته نَشَرَ اَلكلِمة، لِيكمل عَملَه بِالتَّثْبيتِ الفعَّال لِلْكلِمة.[١٥]

قَبْل ذَلِك بِبضْع سَنَوات، كَتَبَ كَالفن: «سَيكُون مِن غَيْر المعْقول أن نَفتَخِر بِالرُّوح من دون اَلكلِمة بِقَدر مَا سَيكُون مِن السَّخافة تَقدِيم اَلكلِمة نفْسهَا من دون الرُّوح».[١٦]

أَصبَحت هَذِه اَلقضيَّة محلَّ نِقَاشٍ حادٍّ بَعْد عِدَّة عُقُودٍ عِنْدمَا بدأَ قسٌّ لُوثَرِيٌّ فِي دَانزِيج Danzig بِتعْلِيم أَنَّه من دون عمل الرُّوح، سَيكُون الكتَاب اَلمُقدَّس مُجرَّدَ كَلمَةٍ خَارجِيَّةٍ، وبالتَّالي غَيْر فَعَّالٍ. أَوضَحَ هِرْمَان راتمَان Hermann Rahtmann وُجهَة نَظرِه بِالْإشارة إلى الفأْس: فَهُو فَعَّال فقط عِنْدمَا يَتِمُّ اِسْتخْدامُه بِواسِطة الذِّرَاع. وَقَال إِنَّ اَلكلِمة المكْتوبة لَيْس لَهَا قُوَّة فِي حدِّ ذاتهَا. المطْلوب لَيْس مُجرَّد القراءة أو الإعْلان، بل عمل الرُّوح المباشر المتميِّز، إن

15 John Calvin, *Institutes of the Christian Religion*, ed. John T. McNeill, trans. Ford Lewis Battles (Philadelphia: Westminster, 1960), 1.9.3.

16 Calvin and Sadoleto, *Reformation Debate*, 61.

لَـم يكُـن المسْـتقلَّ.[١٧] كـردِّ فِعْلٍ، بـدأ اللُّوثريُّـون الآخرون فِـي التَّأْكيد علـى اَلقُـوَّة الكامنـة فِـي الكتَـاب اَلمُقـدَّس، بـل وَفِـي بَعْـض الحالات جادلـوا بِـأنَّ هَـذِه اَلقُوَّة مَوجُـودة قَبْل اِسْـتخْدامه وَبمعْـزِلٍ عَنْه. هَذِه اَلكلِمـة لَيسَـت أبـدًا مُجـرَّد كَلمَة بَشَـريَّة، كمَا أَنَّهَـا لَم تَكُـن إِطْلاقًا غَيْر مُوحَـاَة فِـي أيِّ وَقْـتٍ. بِـشَكلٍ حَاسِـمٍ، فَـإِنَّ هَـذِه اَلكلِمـة لاَ تُصْبِـح شـيْئًا جديـدًا لَـم تَكُنـه مِـن قَبـل. والْمثال اَلـذِي قَدَّمَـه أُولئـك الَّذين عارضـوا راتمَـان كان رغيـف اَلخُبـز، اَلـذِي لَديْـه اَلقُـدرة علـى الارْتفـاع فِـي دَاخله.

إِنَّ القـراءة الأكْثـر ترفُّقًـا بالْجانبيْـنِ هِـي أنَّ أَحَدهمَـا كان يَسـعَى لِلدِّفَـاع عـن الاتِّحـاد الأساسـيِّ لِلْكلِمة والـرُّوح، بيْنمَا كان الآخر يَسـعَى لِلدِّفَـاع عـن قُـوَّة «كَلمَـة اَللَّـه الحيَّـة والْفعَّالـة». ورغْـم كُلِّ اَلحِـدَّة المُحْزنـة -وَكَان هُنَـاك بَعْـضٌ مِنهَـا بِالْفِعْـل- فقـد سَـاعَد النِّقَـاش فِـي تَوضِيـح عـدم الفصْـل اَلنقْـدِيِّ بَيْـن اَلكلِمـة والـرُّوح. فَفِـي النِّهايـة، فَـإِنَّ سُـؤَال الفعَّاليَّـة المتأَصِّلـة لَيْـس مَطرُوحًـا، لِأَنَّ اَلكلِمـة والرُّوح لاَ ينْفـصلان أبدًا. وَكمَا قـال يُوهان كُوينسـتيدت Johann Quenstedt:

> لاَ يَعمَـل الـرُّوح اَلقُـدس بِـشَكلٍ مُنْفَصِـلٍ ومسْـتَقلٍّ مـن دون اَلكلِمـة، ولاَ تَعمَـل اَلكلِمـة بِـشَكلٍ مُنْفَصِـلٍ ومسْـتَقلٍّ مـن دون اَللَّـه والـرُّوح اَلقُـدس فِـي هِدايـة الإنْسـان. لَكِنَّ الـرُّوح اَلقُدس يَعمَـل فِي نَفْـس الوقْتِ وباتِّحادٍ مع اَلكلِمـة، مِن خِلاَل اَلكلِمة، وَفِـي اَلكلِمـة كوسـيلته المعْتـادة؛ والْكلمـة تَعمَـل بِالـرُّوح جَرَّاء

---

١٧ التاريخ المُحزن لهذا النقاش، والذي كان مدفوعًا إلى حدٍّ ما بسوء الفهم والاختلافات في الشخصيَّة، يمكن العثور عليه في:
R. D. Preus, *The Inspiration of Scripture: A Study of the Theology of the Seventeenth Century Lutheran Dogmaticians* (Edinburgh: Oliver & Boyd, 1955), 175–79.

اَلقُـوَّة الممْنوحـة إلهيًّـا. وهكـذَا فإنَّهمَـا يُحقِّقَـان بِنَفس العمل تأْثيـرًا ونشـاطًا واحـدًا، وَهُـو اِهتِداء الإنْسـان.[١٨]

أَفعَال كَلاَم اَللَّه الفعَّالة

لَقـد زوَّدنَـا التَّطْبيـق اَلحدِيث لِنظرِيَّـة الكلاَم-الفعْل علـى عَقِيدَة الكتَـاب اَلمُقـدَّس بِطـرقٍ جَدِيـدَةٍ لِتأْكِيـد فَعَّالِيَّـة الكتَـاب اَلمُقـدَّس والاتِّحـاد اَلـذِي لاَ يَنفَصِـل بَيْـن اَلكلِمـة والـرُّوح. لَقـد لاَحظْنَـا بِالْفِعْل تَطبِيـق نَظَريَّـة الكلاَم-الفعْـل الحديثـة علـى فهْمنَـا لِمَا نُؤَكِّـده عِنْدمَا نَقُـول إنَّ: «اَللَّـه يَتَكلَّـم». فالتَّكلُّـم والْكتابة هُمَا مِن أَعمَـال التَّواصل. إنَّ اَللَّـه يَفعَـل الأَشْـياء بِالْكلمـات. وَلكِـن كَيْف؟

يَقتَـرِح كِفِـن فانهـوزر أنَّ «اَلكلِمـة والـرُّوح معًـا يُشـكِّلاَن خِطَـاب اَللَّـه الفاعـل (فِعْـل الـكلاَم)».[١٩] حَتَّـى الآن، لَـم نَتَقـدَّم كثيـرًا إلـى مَـا هُـو أَبعَـد مِـن اِسْـتنْتاج كُوينسـتيدت. ومـع ذَلِـك، يَسـتخْدِم فانهـوزر الأدوات التَّحْليليَّـة لِنظرِيَّـة الكلاَم-الفعْـل لِشَـرح كَيفِيَّـة عمـل بُعـدَيْ تَواصُـل اَللَّـه معًـا. فِـي أيِّ فِعْـلٍ تواصُلـيٍّ هُنَـاك ثَلاثَـة أَجـزَاء رَئِيسِـيَّة: التَّعْبيـر Locution (الكلمـات اَلتِـي تُقَـال أو تُكتَـب مـع مَعْنَاهـا وإشـارتهَا: «نَعَـمْ! أَنَـا آتِـي سَـرِيعًا»؛ الرُّؤْيَـا ٢٢: ٢٠)؛ التَّمْثيـل Illocution (مَـا تَفعلُـه هَـذِه الكلمـات بِهَـذا المعْنـى فِعْليًّـا: الوعْـد)؛ والتَّأْثيـر Perlocution (مَفعُول أو أثر تِلْـك الكلمات: الرَّاحة،

18 Johann A. Quenstedt, *Theologia Didactico-Polemica sive Systema Theologiae*, pt. 4, chap. 7, sec. 1, thesis 16, as quoted in Robert D. Preus, *The Theology of Post-Reformation Lutheranism: A Study of Theological Prolegomena* (St. Louis: Concordia, 1970), 375.

19 Kevin J. Vanhoozer, *Is There a Meaning in This Text? The Bible, the Reader, and the Morality of Literary Knowledge* (Grand Rapids, MI: Zondervan, 1998), 428.

والطُّمأْنينـة).[٢٠] اِقتِـراح فانهـوزر هُـو أنَّ التَّأْثيـر هُـو النُّقْطـة اَلتِـي نرى فِيهَـا اِنخِـراط الـرُّوح بِـشَكلٍ مُبَاشِـرٍ.

> أوَّلاً، يُنيـر الـرُّوح اَلقُـدس القـارئ، وبالتَّالـي يُمَكِّنـه مِـن فَهْـم النُّقْطـة الخطابيَّـة، وإدْرَاك مَـا قـد يفْعلـه الكتَـاب اَلمُقـدَّس. ثانيًـا، يُبكِّـت الـرُّوح القـارئ بِـأنَّ النُّقْطـة الخطابيَّـة لِلنَّـصِّ الكتابـيِّ تَسـتَحِقُّ اَلـرَّدَّ المناسـب. إنَّ الـرُّوح لاَ يُغيِّـر دلالاَت الأدب الكتابـيِّ. فيبْقـى التَّعْبيـر والْخطاب كمَا هُـو مَكتُوب فِي الكتَـاب اَلمُقـدَّس دُون تَغيِيـرٍ. تَتَمثَّـل قُـوَّة الـرُّوح بِالْأَحْرى فِي إيصَـال النُّقْطـة الخطابيَّـة إلـى القـارئ وبالتَّالي تَحقِيـق التَّأْثير القضائـيِّ المقابـل؛ سَـوَاء كان الإيمـان أو الطَّاعـة أو الثَّنَـاء ومَا إلـى ذَلِك.[٢١]

لاَ يُوجَـد شَـيْءٌ نَاقِـصٌ فِـي اَلكلِمـة. وَعلَـى حـدٍّ تَعبِير يُوهـان بَاير Johann Baier، فَـإِنَّ اَلكلِمـة لَيسَـت «أَدَاة سَـلبِيَّة» بـل «أَدَاة نَشـطَة وتعاونيَّـة».[٢٢] فالْكلمـة والـرُّوح يعْـملاَن معًـا دائمًـا. وأيُّ مُحَاولَـةٍ لِلْفصْـل بيْنهمَـا تُـؤَدِّي دائمًـا إِلـى تَشـوِيه عمـل كِلَيْهِمَـا. إِنَّ الـرُّوح لاَ يُضيـف إِلـى اَلكلِمـة علـى هـذَا النَّحْـو. فَقَـد اِنخـرَط بِـشَكلٍ وثيـق فِـي إِنْتاجـه أَيْضًـا علـى أَيَّـة حالٍ. ومَـا يُقَال لاَ يَتَغيَّـر ولاَ يزيد. لَكِـنَّ اَلكلِمة

٢٠ أحد الأمثلة الأصليَّة لجون أوستِن John L. Austin كان على النحو التالي: «أَطلِق عليها النارا!» (التعبير)؛ «حثَّني على إطلاق النار عليها» (التمثيل)؛ «لقد تمَّ إقناعي بإطلاق النار عليها» (التأثير). Austin, *How to Do Things with Words* (Oxford: Clarendon, 1962), 101–2.

21 Kevin Vanhoozer, "God's Mighty Speech-Acts: The Doctrine of Scripture Today," in *A Pathway into the Holy Scripture*, ed. P. E. Satterthwaite and D. F. Wright (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1994), 177; see also Vanhoozer, *Remythologizing Theology: Divine Action, Passion, and Authorship* (Cambridge: Cambridge University Press, 2010), 374.

22 J. Baier, *Compendium Theologiae Positivae* (Jena: Tobias Oehrling, 1686), 142; Preus, *Inspiration of Scripture*, 171–72.

أيْضًا لاَ تَعمَل بِطريقة شِبْه سِحْريَّة، مِمَّا يُحْدِث تأْثيرًا إلى حدٍّ مَا بِشَكلٍ مُسْتَقِلٍّ عن اَلكلِمة المسْموعة أو المقْروءة. يُصِرُّ فانهوزر على أنَّ «دلالاَت الأدب الكتابيِّ لَم تَتَغيَّر». فلم يُصْبِح الكتَاب اَلمُقدَّس فَجأَةً شيْئًا لَم يَكُن عليْه مِن قَبْل. والْحقيقة أنَّ مَا يَتَكلَّم عَنْه فانهوزر يَتَداخَل بِشَكلٍ كبيرٍ جِدًّا مع عَقِيدَة اِسْتنارة الرُّوح اَلتِي ناقشتُهَا سابقًا. إذ يُنير الرُّوحُ عُقُولَ وَقلُوبَ الكائنات البشريَّة، ويخْلق مقرًّا لِلْكلِمة، وَيجلِب التَّبْكيتَ، والْحياةَ الجديدةَ، والتَّوْبةَ، والْإيمانَ. لَكِنَّ الوسيلة اَلتِي يسْتخْدمهَا هِي اَلكلِمة اَلتِي أوْجدَهَا ويصاحبهَا كُلَّ لَحظَةٍ.

إنَّ طَبِيعَة كَلمَة اَللَّه المكْتوبة، اَلتِي أَكَّدَها يَسُوع، وَالتِي شَهِد عليْهَا العهْد اَلقدِيم والْعَهْد اَلجدِيد، تَرتَبِط اِرْتباطًا وثيقًا بِشخْصِيَّة اَللَّه. إنَّ إنْجيل يَسُوع اَلمسِيح يُوجِّه اِنْتباهنَا دائمًا فِي النِّهاية إلى شَخْص اَللَّه الثَّالوث وأهْدافه. فَاَللَّه اَلذِي أعْطانَا هَذِه اَلكلِمة، مِن خِلاَل اَلقُوَّة البشريَّة الحقيقيَّة لِلْأنْبياء والرُّسل، هُو كَائِنٌ تواصليٌّ فَعَّالٌ. وَهُو الحقَّانيُّ اَلوحِيد دائمًا. فَهُو لاَ يَجهَل أو يُضلَّل أبدًا، ولاَ يَستطِيع أن يَكذِب. وَهُو يَعتَنِي بِمخْلوقاته البشريَّة بِسخاء، فَهُم مَوضُوعُ مَحبَّتِه. وكلمَته تُحقِّق دائمًا الهدف اَلذِي أُعطِيَت مِن أَجلِه. لَقد كان وِيلْيَام تِينْدَال على حقٍّ عِنْدمَا قال إنَّ «اَللَّه لَيْس سِوى كَلمَتِه».[٢٣]

23 William Tyndale, *The Obedience of a Christian Man*, in *Doctrinal Treatises*, ed. Henry Walter (Cambridge: Parker Society, 1848), 160.

٦

قِراءةُ الكتَاب اَلمُقدَّس كَتابِعٍ لِيسوعَ

إِنَّ العقيدة المسيحيَّة بِشَأن الكتَاب اَلمُقدَّس هِي وَصْفٌ مُتَكامِلٌ لِكلمة اَللَّه اَلحَيِّ المعْطاة لَنَا فِي شَكْلٍ مَكتُوبٍ مِن خِلاَل اَلقُوَّة الواعية والْإِبْداعيَّة والْأمينة لِخُدَّام بشريِّين مُسْتعدِّين خِصِّيصًا لِهَذا العمل، بيْنمَا يُصاحبهم الرُّوح اَلقُدس فِي كُلِّ نُقطَةٍ. وَهذِه العقيدة لاَ تَنشَأ مِن «نُصُوصِ إِثبَاتٍ» مَعزُولةٍ وغيْر عَادِيَّةٍ. بل إِنَّها بِالْأحْرى تَنبَثِق مِن لاَهُوتٍ كِتابيٍّ وَاسِعٍ وعميق يَرتَكِز فِي النِّهاية على كِيَان وَشخصِيَّة الإله الثَّالوث. فِي مَركزِها يُوجَد يَسُوع اَلمسِيح، اَلكلِمة المتجسِّد، اَلذِي هُو بِنفْسه لَجأً إِلى اَلكلِمة المكْتوبة، مُؤَيِّدًا العهْد اَلقدِيم ومتمِّمًا لَه، ومفوِّضًا رُسُله بِإِرْساليَّة العهْد اَلجدِيد مِن خِلاَل وَعْد رُوحه.

إِنَّ اَلموْقِف المسيحيَّ تُجَاه الكتَاب اَلمُقدَّس هُو جُزْءٌ مِن

التَّلْمذة المسيحيَّة. فاتِّبَاع يَسُوع يَعنِي اِتِّباعه فِي هذَا الصَّدد أيْضًا. وببساطة، نُريد أن يَكُون لَنَا نَفْس اَلموْقِف تُجَاه الكتَاب اَلمُقدَّس اَلذِي كان لَدى يَسُوع. لاَ يَنبَغِي لَنَا أن نضع سُلْطان يَسُوع –أو قُوَّة الرُّوح اَلقُدس– ضِدَّ تَعلِيم الكتَاب اَلمُقدَّس. فَقَد اِلتجَأ يَسُوع نَفسه إِلى الكتَاب اَلمُقدَّس بِاعْتباره اَلكلِمة الأخيرة: وَاضِحة وحقيقيَّة وَقَويَّة بِمَا يكفِي لِلتَّعْرِيف بِشَخص اَللَّه ومقاصده، ولتوْجيه اِسْتجابة أَمِينَة لِمَا فَعلَه اَللَّه مِن أَجلِنا فِي اِبْنِه. قال يَسُوع: «مَكْتُوبٌ». «لأَنَّهُ مَاذَا يَقُولُ الْكِتَابُ؟» هَكذَا سأل خادمُه اَلأمِين الرَّسول بُولُس.

وَهذَا مَا يُفسِّر لِماذَا يَتَّخِذ المسيحيُّون موْقفًا مُحَدَّدًا مِن جِهة الكتَاب اَلمُقدَّس، ولاَ يُنَصِّبون أَنفُسَهم عليْه كنقَّادٍ وقضاةٍ، مُقرِّرِين لِأنْفسنَا مَا هُو نَافِعٌ وحقيقيٌّ مُتجاهلين الباقي. بل بِالْأحْرى، فَإِنَّنَا نَتَحدَّث عن «اَلجُلوس تَحْت» كَلمَة اَللَّه، اَلتِي نَتَشكَّل ونُصَاغ بِهَا لِأَنَّهَا تُعيد صِياغة وُجهات نظرنَا وَتُحدِث تَوبَةً حَقيقِيَّةً فِي العقْل والْحياة. ونحْن نُدْرِك أَنَّنَا يَنبَغِي لنَا مُقَاومَة ميْلنَا نَحْو المَصْلحة الذَّاتيَّة، بِالْإضافة إِلَى تَفْضيلات وانْشغالات عَالَم يَرفُض حقَّ اَللَّه فِي تَوجِيه حَياتِنا الشَّخْصيَّة والْجماعيَّة. إِنَّنا نَأخُذ على مَحمَل اَلجِدِّ حَماقَةَ وَعبَثَ كُلِّ مُحاولات اِسْتبْعاد اَللَّه مِن الاعْتبار –سَوَاء كَانَت هَذِه المحاولات نَابِعة مِن أَنظِمة فَلسفِيَّة، أو هَياكِل سِياسِيَّة واجْتماعيَّة، أو إِجمَاعٍ عامٍّ– والضَّرر اَلعمِيق والدَّائم اَلذِي يُمْكِن أن تُسَبِّبه. وعوضًا عن ذَلِك، فَإِنَّنَا نَعتَرِف بِسلْطَان اَللَّه فِي تَوجِيه فهْمنَا لَه، واسْتجابتنَا المناسبة لَه، وَمَسار حَياتِنا بِأكْمَله اَلذِي نعيشه كمخْلوقاته المفْديَّة والْمحْبوبة بِشدَّة. ولاَ يَنبَغِي لِهَذا أن

يقودَنَا إِلى أُصولِيَّة ناموسيَّة مُتَذمِّتَة تَسعَى إِلى فَرْضِ الإِذْعان. فالطَّاعة الحقيقيَّة تَنبُع مِن الإيمان، والْإيمان هُو عمل الرُّوح فِي قَلْب الإِنْسان. كمَا قال لُوثَر ذات مَرَّة، فقط عِنْدمَا تَفُوز بِالْقَلْب تَكُون قد فُزْتَ بِالشَّخْص حقًّا.[1] لِذَلك، وَبِكُلِّ ثِقةٍ، نَمدَح كَلمَة اَللَّه لِكلِّ مَن حوْلنَا بِاعْتبارهَا كَلمَةً صَالِحةً. لَقد أَعْطانَا اَللَّه الكتَاب اَلمُقدَّس لِخيْرِنَا، كَجَماعَة وَكذَلِك كأفْرَاد. فَهُو يُلْقِي النُّور وسط الظَّلاَم وَيعلِن اَلحَقَّ الواهب لِلْحيَاة لِمواجهة الجهْل والْباطل والْخَوْف. إِنَّه يَجلِب اَلحُرِّيَّة الحقيقيَّة.

إِنَّ دِراسة الكتَاب اَلمُقدَّس تَكُون صَحِيحَةً متى اِتَّسمَت بِالتَّواضع والدِّقَّة الفكْريَّة، مع إِحسَاسٍ قَوِيٍّ بِأَنَّنَا فِي حَضرَة اَللَّه عِنْدمَا نَدرُس كلمته ونتحَمَّل مسْؤوليَّة اِسْتجابتنَا لَهَا. كمَا قال اَلرَّبُّ بِلسان إِشعِياء: «إِلَى هذَا أَنْظُرُ: إِلَى الْمِسْكِينِ وَالْمُنْسَحِقِ الرُّوحِ وَالْمُرْتَعِدِ مِنْ كَلاَمِي» (٦٦: ٢).

إِنَّ دِراسة الكتَاب اَلمُقدَّس هِي مَسْأَلة رُوحيَّة وأَخْلاَقيَّة، وليْستْ مُجرَّد مَسْأَلةِ فُضُولٍ فِكْرِيٍّ أو اِكتِسابٍ لِلْمعْرفة.[2] علَيْنَا أن نَتَذكَّر مَن هُو اَللَّه وأنَّ كُلَّ مَا نُفكِّر فِيه أو نَقُوله عن كَلمَتِه هُو فِكْرٌ أو قَوْلٌ صادرَانِ فِي حُضوره. لِهَذا السَّبب، مِن الأَفْضل أن نُقَارِب دِراسة الكتَاب اَلمُقدَّس فِي رُوح الصَّلاَة، بِالاعْتماد على نَفْس الرُّوح اَلذِي تَسبَّب فِي كِتابة الكتَاب اَلمُقدَّس فِي المقَام الأَوَّل.

---

1 Martin Luther, "Sermon for Monday after Invocavit, March 10, 1522," *Luther's Works*, ed. Jaroslav Pelikan and Helmut T. Lehmann, 66 vols. to date (St. Louis: Concordia; Minneapolis: Fortress, 1955–), 51:76.

2 John Webster, *Holy Scripture: A Dogmatic Sketch* (Cambridge: Cambridge University Press, 2003), 87–91.

وبالطَّبْع، لَيْس هـذَا موْقفًا دِفاعِيًّا بِـأيِّ حـالٍ مِـن الأحْـوال. إنَّهـا لَيسَـت عَبـاءَةً لِرَفـض مُوَاجهَـة الأسْـئلة الصَّعْبـة أو الصِّـرَاع مـع النُّصـوص اَلتِي، لِسَـببٍ أو لِآخـر، أَجِد صُعُوبَةً فِي فهْمهَـا أو التَّوْفيق بيْنهَـا وبيْـن مَـا قرأْتـه فِـي مَكَانٍ آخـر مِـن الكتَـاب اَلمُقـدَّس. إنَّ كَلمَـة الإلـه اَلحَـيِّ المكْتوبـة يُمْكنهَـا أن تَصمُـد أَمَـام أَكثَـر الأسْـئلة صَرامَةً، وَكمَـا ذكَّرنَـا وارفيلـد، فَهِي لاَ تَسـتَحِقُّ أقلَّ مِن ذَلِك. مِـن إِحْدى الزَّوايَا المُهمَّـة، فَـإنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس لَيْـس «مَأمُونًـا»، تمامًـا كمَـا أنَّ اَللَّـه اَلحَـيَّ لَيْـس «مَأمُونًـا». فَهُـو لَيْـس شـيْئًا يُمْكننَـا ترْويضـه أو إِتْقانـه أو تشْـكيله لِيناسـب تفْضيلاتنَـا الخاصَّـة. ولاَ يَنبَغِـي أن تَتَميَّـز دِراسـتنَا لِلْكتَـاب اَلمُقـدَّس بِنَـوعٍ مِـن الفرْدانيَّـة اَلتِي تَرفُـض الاسْـتماع إِلـى أُولئـك الَّذيـن قَـرؤُوا اَلنَّـصَّ مِـن قَبْلنَـا أو يقْرؤونـه بِجانبنَـا. يُمْكننَـا أن نَتَعلَّـم حَتَّـى مِـن أُولئك الَّذين قـد نَختَلِف مَعهُم فِـي نِهاية المطَاف. إذ قـد يُنبِّهوننَـا إِلـى نِقاطِنَـا العمْيـاء وتحيُّزاتنَـا المُسـبَّقة.

ومـع ذَلِـك، هُنَـاك جَانِـبٌ آخـر لِلْموْقف المسـيحيِّ تُجَـاه الكتَاب اَلمُقـدَّس وَالـذِي مِـن دونـه لَـن تَكُـون الصُّـورة نَاقِصـةً فحسْـب، بـل مُشَـوَّهَة أيْضًـا. إِنَّ الكتَـاب اَلمُقـدَّس لَيْـس عِبْئًـا، وليْس كِتَـاب قَواعِد يُقَيِّدنَـا، وليْـس كَلمَـة مُظْلِمـة غَيْـر وَدُودَةٍ تَترُكنـا مكسـورين دائمًـا. بـل هُـو مَصـدَرُ فـرحٍ عميـقٍ وَغنِـيٌّ ومليء بِالْفَـرح الغامـر. لَقد كتب اَلمَلِـك دَاوُد عـن الرَّجـل المُبَـارك اَلـذِي «فِـي نَامُـوسِ الـرَّبِّ مَسَـرَّتُهُ» (المزاميـر ١: ٢). وَفِـي وَقْـتٍ لاَحِـقٍ مِـن المزاميـر نَقـرَأ:

اكْشِفْ عَنْ عَيْنَيَّ فَأَرَى عَجَائِبَ مِنْ شَرِيعَتِكَ. (١١٩: ١٨)

لَقـد أذْهلَنـي سُـؤَالٌ سـمعْته مِـن إِحْـدى المنصَّـات مُنْـذ سَـنَواتٍ عَدِيـدَةٍ، قَبْـل وَقْـتٍ طويـلٍ مِـن إنجَـاب أطْفالـي. إذ سـأل أحـد

المتحدِّثين فِي المؤْتمر: «هل رآك أطْفالك يوْمًا تَقرَأ الكتَاب اَلمُقدَّس، لَيْس لِأَنَّه يَتَعيَّن عليْك إِعدَاد دَرْسٍ فِي الكتَاب اَلمُقدَّس أو عِظة، وَلكِن بِبساطة لِأَنَّك تُحِبُّ قِراءَته وَيجلِب لَك فرحًا عظيمًا؟» إِنَّه لَيْس اِلتزامًا أو عِبْئًا، بل فَرحَة حَقيقِيَّة؛ صدًى لِمَا قَالَه يَسُوع عن الرَّاعي: «وَالْخِرَافُ تَسْمَعُ صَوْتَهُ، فَيَدْعُو خِرَافَهُ الْخَاصَّةَ بِأَسْمَاءٍ وَيُخْرِجُهَا» (يوحنَّا ١٠: ٣).

وَمِن المناسب أن تَنتَهِي هَذِه المقدِّمة القصيرة لِلْعقيدة المسيحيَّة لِلْكتَاب اَلمُقدَّس حَيْث بَدأَت، بِكلمَات رئيس الأساقفة البروتسْتَانْتيِّ اَلشَّهيد تُوماس كرَنمر. لَقد شَجَّعَ تَرجمَةَ الكتَاب اَلمُقدَّس، وأَنْشأَ كِتَابَ القراءات (تَقويم قِراءَات الكتَاب اَلمُقدَّس)، وأَنْتجَ قُدَّاسًا مُشَبَّعًا بِالْكتاب اَلمُقدَّس، وَكتَبَ عِظةً عُنْوانهَا «إِرشَادٌ مُثْمِرٌ لِقراءة الكتَاب اَلمُقدَّس ومعْرفته». لَقد كان مُقْتنِعًا بِأَنَّ كَلمَة اَللَّه يُمْكِن أن تُغيِّر أُمَّةً بِأَكْملهَا وَكذَلِك قَلْبَ إِنسَانٍ وَاحِدٍ. وَكتَبَ، لاَ تَخَفْ مِن اَلوُقوع فِي الخطأ عِنْدمَا تقْرأْه.

> سأوضِّح لَك كَيْف يُمْكِنك قِراءَته دُون التَّعَرُّض لِخَطر الخطأ. اِقْرأْه بِكلِّ تَواضُعٍ بِقَلبٍ وديعٍ ومُنْسحق، لِكيْ بِمعْرفته تُمجِّد اَللَّه لاَ نَفسك. ولاَ تقْرأْه دُون الدُّعَاء اَليوْمِيِّ لِلَّه أن يُوجِّه قِراءَتك إِلى مَا هُو صَالِحٌ؛ وتأْخذ على عَاتقِك أَلاَّ تُفَسِّرَه بِمَا هُو أَبعَد مِمَّا يُمْكِنك فَهمُه بِوضوحٍ.[٣]

وقبْل قليلٍ فِي تِلْك اَلعِظة قالَ: «لاَ يُوجَد شَيْءٌ يَسعُه أن

3 Thomas Cranmer, "Fruitful Exhortation to the Reading and Knowledge of Holy Scripture," in *Certain Sermons or Homilies Appointed to Be Read in Churches in the Time of Queen Elizabeth of Famous Memory* (repr., London: SPCK, 1864), 7.

يُقـوِّي إِيمانـنَا وثقتنَـا بِاللَّه، أو يُحَافِظ علـى بَراءَة وَنَقـاء القلْب وَكذَلِك الحيَـاة ومحادثاتنَـا الخارجيَّـة المتَّسـمة بِالتَّقْـوى، أَكثَـر مِـن القـراءة المسْـتمرَّة لِكلمـة اَللَّـه وَحفظِهـا».[٤]

4 Cranmer, "Fruitful Exhortation," 4.

لمزيد من القراءة

Adam, Peter. *Written for Us: Receiving God's Words in the Bible.* Nottingham: .Inter-Varsity Press, 2008**.**

دراسة مفيدة للكتاب المقدس من الكتاب المقدس**.**

Carson, D. A., ed. *The Enduring Authority of the Christian Scriptures.* Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2016.

مجموعة من المقالات الأكاديميَّة حول الكتاب المقدس والقضايا ذات الصلة**.** وسرعان ما أصبح العمل المرجعيّ القياسيّ**.**

Feinberg, John S. *Light in a Dark Place: The Doctrine of Scripture.* Wheaton, IL: Crossway, 2018.

فحص مفصَّل لعقيدة الكتاب المقدس يغطي جميع الأساسيَّات.

Poythress, Vern Sheridan. *In the Beginning Was the Word: Language—A God-Centered Approach.* Wheaton, IL: Crossway, 2009.

دراسة متأنية لعنصر أساسيٍّ في العقيدة، فيها فحصٌ لخليقة الله واستخدام اللغة البشريَّة.

Thompson, Mark D. *A Clear and Present Word: The Clarity of Scripture.* Nottingham: Inter-Varsity Press, 2006.

دفاع أكثر تفصيلاً عن إحدى صفات الكتاب المقدس التي تشتدُّ الحاجة إليها في السياق الحاليّ.

Ward, Timothy. *Words of Life: Scripture as the Living and Active Word of God.* Nottingham: Inter-Varsity Press, 2009.

كتاب متوسط رائع في هذا الموضوع.

الفهْرِس العَام

«اسم الربِّ»، ٧٣

«أَفَمَا قَرَأْتُمْ [...]» ٤٩، ١٩٢

«الجلوس تحت» كلمة الله، ٢٢٠

«انعدام الوساطة الوحييَّة»، ١٠٥

«تَذْكَارًا فِي الْكِتَابِ»، ١٠٦، ١٠٩

«تعاقُبٍ منطقيّ جيِّد وضروريّ»، ٢٠٢

«ثيودراما» الكتاب المقدَّس، ٨٢

«سيف الروح»، ٢١١

«كَلاَم الرَّبِّ»، ٧٣، ٢٠٨

«كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ»، ٢١٠، ٢١٥

«كَلِمَةُ الْمَسِيحِ»، ٢٤

«كَلِمَةَ الْوَعْظِ»، ١١٧

«مَكْتُوبٌ»، ٤٤، ٥٩، ١٠٣،

«نسخة الكتاب المقدَّس المعيبة (١٦٣١)»، ١٣٩

إبراهيم، الوعد له، ٧٢

الابن؛

إرساليَّته، ٢١٢-٢١٣

علاقته الفريدة بالآب، ٦٢

في قلب تعاملات الله مع الخليقة، ٦١-٦٢

هو صورة الله غير المرئيِّ، ٦١

ابن الإنسان، ينبغي أن يُرفَع، ٤٦-٤٧

أبوكريفا، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٤ح٣٨، ١٣٦ح٤٢

أثناسيوس، ١٣٣

الاحتكام إلى سلطات خارجيَّة، ٢٦

الاحتمالات النصِّيَّة، ١٣٨، ١٣٩

الأدلَّة الأثريَّة، ١٨٧-١٨٨

إدواردز، جوناثان، ٧٧

الآراميَّة، ١٩، ١٢٢، ١٢٤، ١٨٨، ٢٠٠

الإرساليَّة؛

في طور الانطلاق خروجًا من المركز، ٣٢

في طور التمركُز، ٣٢

اِسْتقامة السُّلوك Orthopraxis، ١٧٥

اسْتقامة العقيدة Orthodoxy، ١٧٤

استقامة القلب Orthokardia، ١٧٥

استنارة، ١٦١-١٦٥

إسرائيل، شعب كثير النسيان، ١١٠

أسطوانات نابونيدوس، ١٨٦

إصبع الله، ١٠٧

الإصلاح؛

عن عدم انفصال الكلمة والروح، ٢١٣-٢١٥

عن قانونيَّة الكتاب المقدَّس، ١٣٣-١٣٤

عن وضوح الكتاب المقدَّس، ١٥٣-١٥٤

الأصوليَّة، ٢٢١

الأعراف الأدبيَّة، ١٨٢

الإعلان التدريجيُّ، وكفاية الكتاب المقدَّس، ١٩٥

أوغسطينوس، ١٩، ١١٩، ١٢٣، ١٣٧، ١٦٠، ١٦٨ح٣٦

إغناطيوس الأنطاكيُّ، ١٣٣

أفلاطون، ٧٨

إقرار الإيمان الهلفيتيُّ الثاني، ١٣٤

إقرار إيمان وستمنستر، ١١٤ح١٢، ١٣٥ح٤٠، ١٤٠، ١٥٥، ١٦٣ح٣٣، ٢٠٢

أمبروزيوس، ١٦٨

الأمثال، ٥٥-٥٦، ٥٨-٦٣

مثل الزارع، ٦٣، ٦٩

مثل السامريِّ الصالح، ٤٥، ٥٨

مثل الغنيِّ ولعازر، ٦٠-٦١، ١٤٤، ١٨٤،

١٩٢

إملاء، ٩٠-٩٤

أنابابتست، ١٤٥، ١٩٧

الأناجيل، ٣٢

الأنبياء، ٦٦-٦٧، ٧٤، ٨٧-٩١

أوزياندر، أندرياس، ١٨٢

أوستِن، جون، ٨١، ٢١٧ح٢٠

أُوِن، جون، ١٣٧، ١٧٣ح٣٨

إيرازموس، ١٣٧، ١٥٧، ١٦٠

إيفانز، ليولين، ١٢٧

بارت، كارل، ٢٠، ١٠٤، ١٠٥

باكر، جيمس، ١٤٧

بانِنبِرغ، وولفهارت، ٨٠

باير، يوهان، ٢١٧

برج بابل، ٧٦، ١٢٤

برونر، إميل، ٧٦، ٨٠

بريغز، تشارلز، ١٢٧

بطرس، عن كفاية الكتاب المقدَّس، ١٩٣

بِكتِت، بنديكت، ١٥٦-١٥٧، ١٩٧

بلوخر، هنري، ٥٢ح٦، ٩٠

بليني الأصغر، ٢٩

بِنغل، يوهان ألبرِخت، ١٦

بنود العقيدة التسعة والثلاثون، ١٦ح٢، ١٣٤، ١٣٦ح٤٢

البهاغافاد غيتا، ٢٧

بولس؛

تدريبه الربِّينيُّ، ١٢٠

رسائله يصعب فهمها، ١٥٩-١٦٠

سلطته ومؤهِّلاته الرسوليَّة، ٩٠، ١٣٠

عن التبرير، ١٨٣

عن الكتاب المقدَّس العبريِّ، ٢٢

عن فعَّاليَّة الكلمة، ٢٠٩-٢١٠

عن كفاية الكتاب المقدَّس، ١٩٣

بولينغر، هينريخ، ١٤٠، ١٥١

بونافنتورا، ٧٨

بونجور، لورنس، ٣٠ح١٧

التأثير Perlocution، ٢١٦

تاسيتوس، ٢٩

تأليه الكتاب المقدَّس، ١٤٦، ١٤٧

التبرير بين بولس ويعقوب، ١٨٣
التجسُّد، ٢٨
ترتليانوس، ٢٠٥
ترجمة الكتاب المقدَّس، ١٢٣-١٢٤
التزامن والتوافق، ٩٢، ٩٦-٩٧، ١٢٠
تشيلينغوُرث، ويليام، ٢٥
التعبير، ٢١٦
تعليم الكتاب المقدَّس، ١٦٦-١٦٨
التقليد، تبجيله، ١٩٩
التكيُّف، ٨٤-٨٥، ١١٢، ١٧٧
التلمذة والموقف تجاه الكتاب المقدَّس، ٢١٩
التمثيل Illocution، ٢١٦
تِندَل، ويليام، ٢١، ١٠١،
التنوير، ١٧٢
تواصل/تشارُك، ٧٥
التواضع المعرفيُّ، ١٨٥
التواضع في قراءة الكتاب المقدَّس، ٢٢١، ٢٢٣-٢٢٤
توريتِن، فرانسيس، ٧٨، ١١٢، ١١٤،
١٣٥ح٤٠، ١٣٨، ١٥٩
توما الأكوينيُّ، ٣٥ح٢٤، ٧٨
الثالوث، ٢٠٥-٢٠٦، ٢١٢
جنسن، بيتر، ٣٧، ١٠١،
الجُود (التواصل/التشارك) داخل الثالوث، ٧٧-٨٣
جيروم، ١٣٤ح٣٨، ١٣٧
حجز الحقِّ، ١٦١-١٦٢
الحرِّيَّة المسيحيَّة، ١٧١
الحكم الشخصيُّ، ١٦٧
الحياة المسيحيَّة، ليست انعزاليَّة، ١٦٧
الحيَّة النحاسيَّة، ٤٦، ١٣٨ح٤٥
الخادم (العبد) المتألِّم، ٢٤، ٣٢، ٤٨
الخراف تسمع صوت راعيها، ١٣٤
الخروج، ٤٧
الخصي الحبشيُّ، ١٦٥-١٦٦
خطاب مفوَّض، ٨٩، ٩٤
الخلاف في معنى الكتاب، ١٦٩-١٧٢
داريوس المادي، ١٨٦-١٨٧
دانيال، موثوقيَّته التاريخيَّة، ١٨٦-١٨٧

داوود؛
خبرته كراعٍ، ١١٩-١٢٠
كتب العديد من المزامير، ١١٦
موثوقيَّته التاريخيَّة، ١٨٧-١٨٨
دفاعيَّات، ١٧، ٢٦، ٣٧-٣٨
دقَّة، ١٨٠-١٨١
ديونيسيوس الزائف، ٧٨
الذاكرة، باعتبارها انتقائيَّة وتفسيريَّة، ١٨٢
راتمان، هِرمان، ٢١٤-٢١٥
رايت، نيكولاس، ٣٣
رسالة كليمنضس الثانية، ١٣٣
الرسل؛
تفويضهم من المسيح، ٨٩-٩٠، ١٢٩-١٣٠
كشهود للمسيح، ٦٥-٦٨
الروح القدس، ٢٤، ٣٦، ٢٠٦
إرساليَّته، ٢١٢-٢١٣
إنارته، ١٦٣-١٦٦
في خدمة يسوع العلنيَّة، ٤٣
كتأثير، ٢١٦-٢١٧
كروح الحقِّ؛ ٥٦-٥٧، ١٤٣
كمعلِّم الكلمة، ٥٥-٥٦
وكتابة العهد القديم، ٥١-٥٢
وكلمة الله، ٢١٢-٢١٦
ونبوَّة، ٩٤-٩٥
يوحِّدنا بالمسيح وبكلِّ حسناته، ٦٢-٦٣
ريتشارد باكام، ١٨٢
زوينجلي، ١١٩، ١٧٣ح٣٨
السبت، ٥٣
سِرجِن، تشارلز، ١٧
السبعينيَّة، ١٢٤، ١٣٦ح٤٢
السداد، ١٧٢-١٧٣
السمع مع الفهم، ٥٥-٥٧
سميث، هنري بِرزِرفِد، ١٢٧-١٢٨، ١٧٤ح٣٩
سوتشينوس، فاوستُس، ٨٤ح٢٠، ١٢٦، ١٧٦-١٧٧
السيادة الإلهيَّة والإرادات المخلوقة، ٩٢

سيرل، جون، ٨١

شابٌّ غنيٌّ، ٥٣-٥٤

شلايرماخر، فريدريتش، ١٠٤، ١٤١

الشهادة الرسوليَّة، ٦٧-٦٨

شهادة شهود عيان، ٣٢، ٩٠، ١١٧، ١٨١-١٨٤،

شوايتزر، ويليام، ٨٣

الصدُّوقيُّون، ٤٩، ٢٠٣، ٢٠٧

صلاة رئيس الكهنة، ٦٤

طريق عمواس، ٤٨، ٩٧، ١٠٣

الطلاق، ٥٣

العامِليَّة الإلهيَّة والبشريَّة، ١٤٦

العامِليَّة المزدوجة، ٥٢ح٦، ١١٨

عبادة الكتاب المقدَّس، ١٠١

العشاء الأخير، ٤٧

العصمة، ١٧٢-١٧٣، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٥

العقيدة المسيحيَّة بشأن الكتاب المقدَّس، ٢١-٢٨، ٣٤، ٧٠، ٢١٩

عقيدة كتابيَّة عن الكتاب المقدَّس، ٢٨-٣٤

عقيدة لاهوتيَّة عن الكتاب المقدَّس، ٣٥-٣٨

العناية الإلهيَّة، ١٢٠

عهد، ٨٢، ١٤٨-١٤٩

العهد الجديد؛

التنوُّع ووحدة التركيز فيه، ٣٢

عن فعَّاليَّة الكلمة، ٢٠٩

قواعد الأدلَّة الخاصَّة به وأعرافه اللغويَّة، ١٨٠

كتحقيق للعهد القديم، ٣١

العهد القديم؛

الألقاب المسيَّانيَّة فيه، ٢٤

شرائع الطعام الخاصَّة فيه، ٥٠-٥١

الشهادة لشخص يسوع ورسالته، ٦٤

عيد الفصح، ٤٧

غاليليو، ١٨٤

غانتِن، كولِن، ٨٠، ١٠٥

غرودِم، وِين، ١٩٥-١٩٦

غريغوريوس الكبير، ١٥٩

غريكو، جون، ٣٠

فانهوزر، كِفِن، ٣٩، ٤١ح٢، ٧٧، ٨١، ٨٢، ٢١٦-٢١٨،

فاول، ستيفن، ٣٦ح٢٥

فاينبرغ، بول، ١٨٥

الفرح في قراءة الكتاب المقدَّس، ٢٢٣

الفردانيَّة في قراءة الكتاب المقدَّس، ٢٢٢

الفرِّيسيُّون؛

افتخارهم بمعرفة الكتاب المقدَّس، ٥٤

عماهم، ٢٠٨

كـ«مُبْطِلِينَ كَلاَمَ اللهِ» ٤٩

فريمر، جون، ٣٠، ١٤٩ح١٢

فقرات «نحن» من سفر أعمال الرسل، ١١٦

فكر المسيح، ٢٢

الفهم، النموُّ فيه، ١٦٥

الفولجاتا، ١٣٧

قراءة الكتاب المقدَّس، ٢١٩-٢٢٤

التواضع فيها، ٢٢٢-٢٢٤

المساعدات الخارجيَّة عليها، ١٩٩-٢٠٠

القراءة المسؤولة، ١٥٠ح١٣

القرآن، ٢٧

قربان (نذر)، ٤٩

قوانين وإقرارات الإيمان، ليست «موحى بها من الله»، ١١٩

قيامة الاموات، ٥٣

كالفِن، جون؛

عن الابن ككلمة أخيرة، ٩٩

عن التبرير، ١٨٣ح٤٩

عن التكيُّف، ٨٤ح٢١، ١٧٧

عن الكتاب المقدَّس كونه مستوثَق ذاتيًّا، ٣٤، ١٣٥

عن شهادة الروح، ١٦٢-١٦٤

عن عدم انفصال الكلمة والروح، ٢١٣-٢١٤

عن كونه تلميذًا للكتاب المقدَّس، ٢٠

عن موثوقيَّة الكتاب المقدَّس، ٦٩-٧٠

كتاب أخبار نابونيدوس، ١٨٦

الكتاب المقدَّس؛

استيثاقه الذاتيُّ، ٣٥-٣٦، ١٣٥، ١٦٢-١٦٣

باعتباره «كلام-فعل الله القدير»، ١٤٦

نَفَّسه اللهُ، ١٠٣

الجانبان الجوهريّ والرسميّ، ١٩٧-١٩٨

حفظه، ١٣٦-١٤٢

حقَّانيَّته، ٥٦-٥٩، ١٤٣، ١٧٢-١٨٠

السرديَّة الرئيسيَّة الكبرى، ٣٠

سلطته، ١٥-١٦، ٢٥-٢٦، ٣٣

صفاته؛ ١٤٤-١٤٧

ضرورته، ١١٣-١١٥

العامليَّة المزدوجة، ٥٠-٥١،

فعَّاليَّته، ٦٣-٦٥، ٢٠٧-٢١٣

كأداة للتلمذة، ١٧

كُتَّابه المختلفون، ٣١

كجزء من تدبير الفداء، ٣٦

كسلطة نهائيَّة، ٢٠٠

كصوتٍ واحدٍ به العديد من الأصوات المتتامَّة، ٣٣

كفايته، ٥٨-٦٣، ١٩٢-١٩٩

ككلمة الله، ٤٨-٥١ انظر أيضًا كلمة الله مكتوبة

كمخلوق من إرادة الله، ١٩٦

كونه يفسِّر نفسه، ١٩٨

موثوقيَّته، ١٧٢-١٧٣

موثوقيَّته، ٧٠

والتلمذة المسيحيَّة، ٢٢

واللاهوت النظاميُّ، ٢٠١-٢٠٦

وحيه، ١١٥-١٢٩

وضوحه، ٥٣-٥٤، ١٥٠-١٥٨، ١٩٨

وضوحه، ٥٣-٥٧

الكتاب المقدَّس العبريُّ، ٢٢، ١١٠، ٢٩، انظر أيضًا العهد القديم

الكتاب المقدَّس مجرَّدًا *nuda Scriptura*، ٢٠٠

الكتاب المقدَّس وحده *Sola Scriptura*، ١٩٩-٢٠٦

كرَنمر، توماس، ١٥، ١٦، ٢٠، ١١٩

كروغر، مايكل، ١٣٩

كستنبرغر، أندرياس، ١٣٩

كلاين، ميريديث، ١٤٩ح١٢
كلمة الله، ٢٥، ٣٧
الاستجابة لها، ٦٨-٦٩
انظر أيضًا كلمة الله المكتوبة،
الطابع المستديم لها، ١١٠
كلمة الله المكتوبة، ٣٧، ٥١، ٦١، ٦٢، ١٠٣، ١٢٩، ١٤١، ١٤٤، ١٤٧، ١٥٩، ٢١٨
لا تُخلِّص في حدِّ ذاتها، ٦٢
ولغة الكلام، ١١١
الكلمة المنطوقة والكلمة المكتوبة، ١٠٧، ١١١
الكلمة والروح، ٢١٢-٢١٦
كلِّيَّة مور اللاهوتيَّة، ١٨
الكنيسة الأولى، «وعيها بالأسفار القانونيَّة»، ١٣٠
كنيسة روما الكاثوليكيَّة؛
الاحتكام إلى الأبوكريفا، ١٣٣-١٣٥
الاحتكام إلى التقاليد غير المكتوبة، ١١٢
عن سلطة الكنيسة، ١٤٥، ١٩٧
الكنيسة، وقراءة الكتاب المقدَّس، ١٦٧-١٦٨
كوبرنيكوس، ١٨٤
كونٌ مركزه الأرض، ١٨٤
اللاهوت النظاميُّ، ٣٥، ٣٨، ٢٠٠-٢٠٦
لاهوت كتابيٌّ، ٣٥، ٢١٩
لغات الكتاب المقدَّس، ١٢٣، ١٩٩
اللغة، ١٨٠، ١٨٤، ٢٠٠
أعرافها، ١٨٠-١٨١
قابليَّتها للترجمة، ١٢٤
اللغة الظاهراتيَّة للكتاب المقدَّس، ١٢٦-١٢٧، ١٨٤
اللغة العبريَّة، ١٢٣-١٢٤، ٢٠٠
اللغة اليونانيَّة، ١٢٣-١٢٤، ٢٠٠
لغة تشبيهيَّة، ٨٦
الله؛
«حضوره البارق»، ١٥٨
إحسانه، ١٥٧
استقلاله، ٣٩
إعلانه عن ذاته، ٣٥-٣٧
أَعمَال كَلاَم اَللَّه الفعَّالة، ٢١٦-٢١٨

حقٌّ بلا إمكانيَّة الخطأ، ٥٦-٥٧
شخصيَّته، ٥٧، ١١٢، ١٧٧، ١٩١-١٩٢، ١٩٦، ٢١٨،
الصفات القابلة للتشارُك، ١٤٦
صفاته؛ ١٩٧
قدرته المُطلقة، ٢١١-٢١٢
نشاطه التواصليُّ، ٨٣-٨٦، ٩٨، ١٥١
نفسه، ٨٢
يتحدَّث من خلال سفراء من البشر، ٨٦-١٠٢
يُسمَع بدلاً من أن يرى، ٧٣-٧٤
لوثر، مارتن؛
عن الأجزاء الصعبة في الكتاب المقدَّس، ١٥٩-١٦٠
عن الإيمان والطاعة، ٢٢٠
عن التبرير، ١٨٣ح٤٩
عن النهج التجسُّديِّ للكتاب المقدَّس، ٢٨
عن برِّ الله، ١٦٧
عن عدم انفصال الكلمة والروح، ٢١٣
عن كلمة الله، ١٩-٢٠، ٢٥، ١٠٠، ١٢٣، ١٧٢ح٣٨
عن مجلس فرميزة، ٢٠٢
عن وضوح الكتاب المُقدَّس، ١٥٤-١٥٥
لوقا، «كتب على التوالي»، ١١٧
ليندسل، هارولد، ١٨٣
ماتسِن، جون غريشام، ٢٣ح٨
ماستريخت، بِتروس فان، ٧٨، ١٤٥
متنفَّس به من الله *theopneustos*، ١١٨
متنفَّس به من الله، ١١٨-١٢٣، ١٢٧
مجمع ترنت، ١٣٤، ١٣٦ح٤٢، ١٩٩،
مجمع نيقية، ٢٠٥
المخطوطة الأصليَّة، ١٣٦-١٤٢
مرقيون، ١٣٣
المسيحيَّة كديانةِ كتابٍ، ٢٠، ١٠٤
المصلحون، ليسوا «من أنفاس الله»، ١١٩
معجزات، ١٧٠
المعلِّمون الكذبة والأنبياء الكذبة، ١٦٩
المعموديَّة، طريقتها، ١٧١

ملائكة الكنائس في الرؤيا، ٩١
منتدى راكو، ١٧٦
المنطق الدائريُّ، ٢٩-٣١
مواءمة الروايات المتوازية للأحداث، ١٨٢
الموثوقيَّة الرسوليَّة، ١٣٣ح٣٥
موثوقية الوكيل، ٣٠ح١٧
موسى، ٨٦-٨٧
تعليمه، ١٢٠
خطابه الوداعيُّ، ١٥١-١٥٢، ١٩٤-١٩٨
كَتَبَ أَسفَار النَّاموس، ١١٦
مولر، ريتشارد، ١٤٤ح٢، ١٤٦
ميلوش، تشيسلاف، ١٦ح٣
الناموس، والأنبياء، والكتابات (الهيكل الثلاثيُّ للكتاب المقدَّس العبريِّ)، ١٢٩
النبوَّة، ٩٥-٩٧
نصوص إثبات، ٢١٩
نظام إدارة الكنيسة، ١٧١
نظام الذبائح في العهد القديم، ٥٠
نظريَّة الكلام-الفعل، ٨١، ١٤٦، ١٤٨، ٢١٦-٢١٧
نوع النصِّ الأدبيُّ، ٣١، ١٤٨، ١٨٠، ١٨٤-١٨٥
والوحي، ١٢٥
نوكس، بروتون، ١٣٠، ١٣٢-١٣٣
نيكول، روجر، ١٢١
نينوى، ٥٨
هودج، أرشِبالد، ١١٩-١٢٠،
هورتون، مايكل، ١٤٩ح١٢
هيلاري مِن بواتييه، ٣٤، ٣٤ح٢٢
واحد في الجوهر *homoousios*، ٢٠٥
وارْد، تيموثي، ٦٧، ١٠٠، ١٥٦، ١٩٧
وارفيلد، بنيامين؛
عن الاحتمالات النصِّيَّة، ١٣٧-١٣٩
عن التجسُّد ككتاب مقدَّس، ٢٨ح١٤
عن التساؤلات الصارمة حول الكتاب المقدَّس، ٢٢٢
عن التفويض الرسوليِّ، ١٣٣ح٣٥
عن الوحي، ١١٩-١٢٠، ١٢٨، ١٧٣ح٣٨
عن حقَّانيَّة الكتاب المقدَّس،

١٨٩-١٩٠

وِبسْتِر، جون؛

عن «تأليه الكتاب المقدَّس»، ١٤٦-١٤٧

عن التكليف النبويِّ والرسوليِّ، ٦٦، ٩١

عن العقيدة المسيحيَّة، ٣٤

عن الوحي، ١٠٥ح٥

عن عمل الله التواصليّ، ٩٨

عن وضوح الكتاب المُقدَّس، ١٥٨-١٥٩

الوثوق بكلمة الله، ٤٤

وحي لفظيٌّ، ٨٠، ١٢١-١٢٤، ١٧٣ح٣٨

وحي محدود، ١٢٦

وحي مُطلق، ١٢٤-١٢٨

الوصايا العشر، ٩١، ١٠٦، ٢٠٨

الوضوح مقابل البساطة، ١٥٩-١٦١

الوعد والتحقيق، ٣٥

وعود الله، ٧٢، ١٠٠، ١٠٦

ولترستورف، نيكولاس، ٥٢ح٦، ٨٠-٨١، ٨٨، ٩٤،

ويتِكر، ويليام، ١٥٤، ١٥٥

ويكلِف، جون، ١٧٢ح٣٨

ياموتشي، إدوين، ١٨٧ح٥٤

يسوع المسيح؛

احتكامه إلى العهد القديم، ٥٧، ٥٩-٦٣، ١١٠-١١، ١٢٩، ٢٠٧

استشهد بانتظام بالكتاب المقدَّس، ١٥٠

ألوهيَّته وإنسانيَّته، ٢٨، ١٤٦

تجربته في البرِّيَّة، ٤٢-٤٥، ٤٥-٤٦، ٥٩، ٦٩، ١٠٣، ٢١٢

تكلَّم بالكلمات التي أُعطي ليتكلَّم بها، ٧٥

رأيه عن العهد القديم، ٢١-٢٢، ٤٢-٤٤، ٤٨-٥٠

سلطانه، ٢٤

العقيدة بشأن الكتاب المقدَّس، ١٠١

عن فعَّاليَّة الكتاب المقدَّس، ٦٣-٦٥

عن كفاية الكتاب المقدَّس، ٥٩، ١٩٢

كتحقيق للعهد القديم، ٤٦-٤٨، ٦٤-٦٥، ٢١٩

ككلمة الله، ٢٦، ٩٧-٩٨

كلَّف الرسل بكتابة العهد الجديد، ٢٢، ٢٦، ٤٢، ٦٥-٦٩، ٢١٩

كونه في مركز العقيدة بشأن الكتاب المقدَّس، ٢٣، ٢٧، ٣٨، ٣٩، ٤٢، ٧٠، ٢١٩

معموديَّته، ٤٢

موثوقيَّته، ٧٠

يوحنَّا المعمدان، ١١١

يوحنَّا، إنجيله، ١٧٥

يوحنَّا، روايته كشاهد عيان، ١١٦

يوسيفوس، ٢٩،

يوم الخمسين، ١٢٤

يونان، ٥٨، ٨٥

مَاذَا عَلَّم يَسُوع عن الكِتَاب اَلمُقدَّس؟

فِي هَذِه الإضافة إلى سِلْسلة دِراسَات قَصِيرَة فِي اللاَّهُوتِ النِّظامِيِّ، يُعلِّم مارك طُومسون بِوضوحٍ مَا عَلَّمه يَسُوع عن الكِتَاب اَلمُقدَّس، وكيْف يَتَكلَّم اَللَّهُ إلى شَعبِه مِن خِلالِه، والْعَمل الحاسم لِلرُّوح اَلقُدس فِي تطْبيقه. يَشرَح هذَا اَلعَمَل عَقِيدَة الكِتَاب اَلمُقدَّس كمَا علَّمتْهَا الكنيسة عَبْر اَلعُصور، مِمَّا يُعزِّز ثِقة اَلقُرَّاء بكَلمَة اَللَّه وتطْبيقهَا فِي حَياتِهم.

«إِنَّني، وَبِكُلِّ اِرتِياحٍ وَحَماسةٍ، أُوصي بِهَذا الكِتَاب الجوْهَريِّ اَلمُنظَّم بِعناية وَالذِي تَسهُل قِراءَته لِلْغاية.»

ديفيد دوكري

رَئِيسُ التَّحالُفِ الدوليِّ للتَّعليمِ المَسِيحيِّ
International Alliance for Christian Education

«لاَ أَستطِيع أن أُفكِّر فِي كِتَابٍ آخر عن الكِتَاب اَلمُقدَّس يَكُون فِي مُتَناوَل جميع المسيحيِّين، أمينًا فِي شَرحِه، وحكيمًا فِي اِسْتِنْتاجَاتِه.»

ستيفِن وِلَم

أستاذ اللاَّهُوتِ المَسيحِيِّ، كلِّيَّة اللاَّهُوت المَعمَدانيَّة الجَنوبيَّة The Southern Baptist Theological Seminary.

مارك طومسون (دُكْتُورَاه DPhil، جَامِعة أكسفورد) هو مُدِير كلِّيَّة مور اللاَّهوتيَّة في سيدني، أستراليا Moore Theological College in Sydney, Australia، حيث قام بتدريس العقيدة المسيحيَّة طيلة ثلاثين عامًا. وهو رَئِيسُ لَجنَة العَقِيدَة بإبرشِيَّة سيدني وعُضوٌ في مَجمُوعةِ المَوَارِد اللاَّهوتيَّة GAFCON. وهو مؤلِّف كِتَاب A Clear and Present Word. مارك مُتَزوِّج بكاثرين ولديهما أربَع بَنَاتٍ.)

تمَّ تصميم سلسة «دراسات قصيرة في اللاهوت النظاميِّ» لتمكين الكنيسة أن تفهمَ، وتُحبَّ، وتُعلِّمَ، وتُطبِّقَ بإخلاصٍ ما أعلنه الله في الكتاب المُقدَّس عن مجموعةٍ متنوِّعةٍ من الموضوعات اللاهوتيَّة.

اللاهوت النظامي

CROSSWAY
crossway.org

LUCERNA
PRESS